رسالة الكندي

www.muhammadanism.org
October 13, 2006
Arabic

THE APOLOGY OF AL-KINDY

رسَالة
عبد الله بن إسماعيل الهاشمي
إلى
عبد المسيح بن إسحٰق الكِنْدي
يدعوه بها إلى الإسلام
ورَسالة
الكندي إلى الهاشمي
يردُّ بها عليه ويدعوه إلى النّصرانيّة

في أيّام أمير المؤمنين الخليفة العبّاسي المأمون

سنة ٢٤٧ هجريّة و٨٦١ مسيحيّة

التكوين للنشر والتوزيع

دمشق ٢٠٠٥

رسالة الهاشمي إلى الكندي
ورسالة الكندي إلى الهاشمي
يرد بها عليه

رسالة
عبد الله بن إسماعيل الهاشمي
إلى
عبد المسيح بن إسحٰق الكِنْدي
يدعوه بها إلى الإسلام
ورسالة
الكندي إلى الهاشميّ
يردُّ بها عليه ويدعوه إلى النّصرانيّة

في أيّام أمير المؤمنين الخليفة العبّاسي المأمون

سنة ٢٤٧ هجريّة و٨٦١ مسيحيّة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

تقديم

إنّنا قد بذلنا الجهد في تصحيح هذه النسخة بمقابلتها مع نسخ خطية ومطبوعة. ولم ترِدْ فيها إلاّ بعض إيضاحات سطرناها بالهامش.

وأيضاً، إنَّ ما بين قوسيْن ( ) من أسماء السّور ليس هو من الأصل المخطوط بل من النسخ المطبوعة. كما أننا تسهيلاً لمراجعة القارئ قد حررنا الاقتباسات الإنجيلية من ترجمة سنة ١٨٨١ المطبوعة في بيروت.

يقول المتولي: إنّه ما حصل بيدي لهذا العلم إلاّ نسختان إحداهما منقولة على ما قِيل من نسخة من بعض مكاتب القسطنطينية والثانية عن نسخة من إحدى مكاتب مصر بلا اسم الناسخ ولا المستنسخ، لا تاريخ النسخ، والاثنتان في غاية التصريف مع الاختلاف العظيم في عدة مواضع اجتهدت في التأليف بينهما على قدر الإمكان ومنْ بذل وسعه فلا لوم عليه وإنْ قصّر.

هذا ووجدت في آخر النسخ المصرية الزيادة الأتي نصّها بحروفها « بلغنا أنه قد انتهى الأمر إلى المأمون في خبر الرسالتيْن فأمر بإحضارهما وقُرأتا عليه فلم يزل صامتاً حتى جاء إلى آخرهما فقال: ما كان دعاه إلى أنْ يتعرّض لما ليس من عمله وحتى أجاد (ولعلّ الصواب أجاز) كتاف نفسه: فإما النّصرانيّ فلا حجة لنا عليه لأن الأمر لو لم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يكن عنده هكذا لما أقام عليه دينه والدين دينان أحدهما دين الدنيا والآخر دين الآخرة، أما دين الدنيا فالدين المجوسي وما جاء به من دراسته (كذا ولعلّ الصواب ما جاء به زردشت) وأمّا دين الآخرة فهو دين النَّصارى وما جاء به المسيح وأما الدين الصحيح فهو التوحيد الذي هو دين صاحبنا فإنّه الدين الجامع الدنيا والآخرة ».

أما الرسالتان فقد ذكرهما العالم الشهير أبو ريحان محمد بن أحمد البيروني في كتابه المُسمَّى « الآثار الباقية عن القرون الخالية » إذ استشهد بكلام عبد المسيح على ذبح الصابئة الآدميين قرباناً للقمر فقال: « وكذلك حكى عبد المسيح بن إسحاق الكندي النصراني عنهم (أيْ الصابئة) في جوابه عن كتاب عبد الله بن إسماعيل الهاشمي أنهم يُعرفون بذبح الناس ولكن ذلك لا يمكنهم اليوم ».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بسم الله الواحد الصّمد

ذُكر أنَّه كان في زمن عبد الله المأمون رجلٌ من نبلاء الهاشميين وأظنه من ولد العباس، قريب القرابة من الخليفة، معروفٌ بالنسك والورع والتمسك بدين الإسلام وشدة الإغراق فيه والقيام بفرائضه وسننه، مشهور بذلك عند الخاصة والعامة. وكان له صديق من الفضلاء ذو أدب وعلم كِنْدي الأصل مشهور بالتمسك بدين النصرانية وكان في خدمة الخليفة وقريباً منه مكاناً. فكانا يتوادّان ويتحابان ويثق كل منهما بصاحبه وبالإخلاص له. وكان أمير المؤمنين المأمون وجماعة أصحابه والمتصلون به قد عرفوهما بذلك. وكرهنا أنْ نذكر اسميهما لعلةٍ من العلل[1].

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

أمّا بعد فقد افتتحت كتابي إليك بالسّلام عليك والرحمة، تشبُّهاً بسيدي وسيد الأنبياء محمّد رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فإنّ ثقاتنا ذوي العدالة عندنا الصّادقين الناطقين بالحقّ الناقلين إلينا أخبار نبينا عليه السّلام قد رووا لنا عنه أن هذه كانت عادته وأنه كان صلى الله عليه وسلّم إذا فتح كلامه مع الناس يبادئهم بالسّلام والرحمة في مخاطبته إياهم ولا يفرّق بين الذمّي والأمي ولا بين المؤمن والمشرك. وكان يقول إني بُعثت بحُسن الخلق إلى الناس كافة ولم أُبعث بالغِلظة

---

(١) هما عبد الله بن إسماعيل الهاشمي وعبد المسيح بن إسحٰق الكندي.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

والفظاظة. ويستشهد الله على ذلك إذ يقول ﴿ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴾[1] وكذلك رأيتُ من حضَرْتُه من أئمتنا الخلفاء المهتدين المهديين الراشدين رضي الله عنهم أجمعين أنهم كانوا لفضل أدبهم، وشرف حسبهم، ونبل همتهم، وكرم أخلاقهم يتتبعون أثر نبيِّهم صلى الله عليه وسلّم ولا يفرِّقون في ذلك ولا يفضّلون فيه أحداً فسلكتُ ذلك المنهج واحتذيت تلك السبل وأخذت ذلك الأدب المحمود فابتدأتك في كتابي هذا بالسلام والرحمة لئلا ينكرُ عليَّ منكرٌ يقع إليه كتابي هذا والذي حملني إليك وحثَّني على ذلك محبتي لك إذ كان سيدي ونبيي محمد صلى الله وعليه وسلّم يقول محبة القريب ديانة وإيمان. على أنّي كتبتُ طاعةً لرسول الله صلي الله عليه وسلم ولِما أوجبه لك عندنا حق خدمتك لنا ونُصحك إيانا وما أنت عليه من محبتنا وتظهره من مودتنا والميل إلينا وما أرى من إكرام سيدي وابن عمي أمير المؤمنين أيده الله لك وتقريبه إياك وثقته بك وحسن قوله فيك فرأيت أن أرضَى لك ما قد رضيته لنفسي وأهلي ووالديَّ مخلصاً لك النصيحة ومبذلها[2] كاشفاً عما نحن عليه من ديانتنا هذه التي ارتضاها الله لنا ولجميع خلقه ووعدنا عليها حسن الثواب في المعاد والأمن من العقاب في الآيات إذ يقول تبارك وتعالى ﴿ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً ﴾ (بقرة) ويقول عزّ وجلّ وقوله الحق ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ﴾ (الزخرف) ويقول أيضاً مؤكداً ﴿ ومَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلاَ نَصْرَانِيّاً وَلَكِنْ كَانَ

---

(١) أي محمّد.
(٢) صوابها وبادلها.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (آل عمران). فرغبت لك ما رغبت فيه لنفسي وأشفقت عليك لما ظهر لي من كثرة أدبك وبارع علمك، وحسن تهذيبك، وجميل مذهبك، وشرف حسبك، وتقدّمك على الكثير من أهل ملّتك أنْ تكون مقيماً على ما أنت عليه من ديانتك هذه فقلت اكشف له عمّا مَنَّ الله به علينا وأعرّفه ما نحن عليه بلين القول وأحسنه متَّبعاً في ذلك ما أدبني الله به إذ يأمرني، ويقول جلّ ثناؤه: ﴿ وَلاَ تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (عنكبوت). فلست أجادلك إلاَّ بالجميل من الكلام والحسن من القول واللّين من اللفظ لعلك تنتبه وترجع إلى الحق وترغب فيما أتلوه عليك من كلام الله عزّ وجلّ الذي أنزله على خاتم الأنبياء وسيد ولد آدم نبينا محمد عليه الصلاة والسّلام ولم أيئس من ذلك بل رجوته لك من الله الذي يهدي من يشاء وسألته أن يجعلني سبباً في ذلك ووجدت الله تبارك وتعالى يقول في محكم كتابه ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللهِ الإِسْلاَمُ ﴾ (آل عمران) ويقول الله أيضاً مؤكداً لقوله الأولّ ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ، وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ (آل عمران). ثمَّ أكّد ذلك تبارك وتعالى أمراً قاطعاً إذْ يقول ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران). وأنت الرجل عافاك الله من جهل الكفر وفتح قلبك لنور الإيمان تعلم أنّي رجل أتت عليَّ سنون كثيرة وقد تبحَّرْتُ في عامة الأديان وامتحنتها وقرأت كثيراً من كتب أهلها وخاصة كتبكم معشر النصارى فإني عُنيت بقراءة الكتب العتيقة والحديثة التي أنزلها الله

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

على موسى وعيسى وغيرهما من الأنبياء عليهم السلام فأما الكتب العتيقة التي هي التوراة وكتاب يشوع بن نون وسفر القضاة وسفر صموئيل النبي وسفر الملوك وزبور داود النبي وحكمة سليمان بن داود وكتاب أيوب الصدّيق وكتاب إشعياء النبي وكتاب الاثني عشر نبياً وكتاب إرميا النبي وكتاب حزقيال النبي وكتاب دانيال النبي فهذه هي الكتب العتيقة. فأمّا الكتب الحديثة فأولها الإنجيل وهو أربعة أجزاء الأول منها بشارة متى العشّار والثاني بشارة مرقس ابن أخت سمعان المعروف بالصفا والثالث بشارة لوقا المتطبّب والرابع بشارة يوحنا بن زبدي فهذه أربعة أجزاء منها بشارة رجليْن من الحواريين الاثني عشر الذين كانوا ملازمين للمسيح صلوات الله عليه وهما متى ويوحنا وبشارة رجليْن من الحواريين السبعين الذين كانوا للمسيح صلوات الله عليه بعثهم إلى الأمم دُعاةً له وهما مرقص ولوقا. ثم كتاب قصص الحواريين وأحاديثهم وأخبارهم من بعد ارتفاع المسيح إلى السماء الذي كتبه لوقا ورسائل بولص الأربع عشرة. فهذه كلها قد قرأتها ودرستها وناظرت فيها تيموثاوس الجثليق وقد علمت كيف تقدمه فيكم بفضل الرئاسة والعلم والعقل وناظرت فيها من أهل فرقكم هذه الثلاث التي هي ظاهرة أعني الملكية القابلين مركيانوس الملك على عهد الشقاق الواقع بين نسطوريوس وكيرللس وهم من الروم. واليعقوبية وهم أكفر القوم وأخبثهم قولاً وشرّهم اعتقاداً وأبعدهم من الحقّ القائلين بمقالة كيرللس الإسكندري ويعقوب البردعاني وساويرس صاحب كرسي إنطاكية. والنسطورية أصحابك وهم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لعمري أقرب بأقاويل المنصفين من أهل الكلام والنظر وأكثرهم ميلاً إلى قولنا معشر المسلمين، وهم الذين حمد نبينا صلى الله عليه وسلم أمرهم ومدحهم وأعطاهم العهود والمواثيق وجعل لهم من الذمة في عنقه وأعناق أصحابه ما جعل وكتب لهم في ذلك الكتب وسجل لهم السجلات وأكد أمرهم عندما صاروا إليه حين أفضى الأمر إليه واستوثق له، فأتوه وتحرموا بحرمته وذكروه بمعونتهم إياه على إعلان أمره وإظهار دعوته وما مكن الله صلعم. وذلك أن الرهبان كانوا يبشرونه ويخبرونه قبل نزول الوحي عليه بما مكن الله له وصار إليه. فلذلك كان صلى الله عليه وسلّم يُكثر توادّه لهم وإطالة محادثتهم، ويُرَى كثيراً عندهم مخاطباً لهم في تردّده إلى الشام وغيرها. وكان الرهبان وأصحاب الأديرة يكرّمونه ويحبّونه طوعاً ويخبرون أصحابهم بما يريد الله أن يرفع من أمره ويعلن من ذكره وكانت النصارى تميل إليه وتخبره بمكيدة اليهود ومشركي قريش وما يبتغونه له من الشرّ ويريدونه من الغوائل مع مودتهم له وإجلالهم إياه وأصحابه. فعند ذلك نزل الوحي على نبينا محمد عليه السلام وشهد الله لهم في القرآن قائلاً: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ والَّذِينَ أَشْرَكُوا (يعني مشركي قريش) ولَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً وَأَنَّهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ ﴾ (مائدة). وعرف النبي عليه السلام بما أُنزل عليه من الوحي صحة ضمائرهم ونياتهم، وأنهم أصحاب المسيح حقاً السائرون بسيرته الآخذون بسننه إذْ كانوا لا يرون القتال ولا يستحلّون المال

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ولا يغشّون أحداً ولا يريدون بالناس سوءاً ولا مكروهاً، وأنهم طالبو السّلامة ولا يضرون على حقدٍ ولا عداوة بل يعتقدون الفضل على الناس أجمعين. فأعطاهم نبينا عليه السّلام لذلك ما أعطاهم من العهود والمواثيق وجعل لهم من الذمة في رقبته ورقاب أصحابه ووصَّى بهم تلك الوصية عندما أطلعه الله على ما أطلعه عليه من أمرهم وبراءة ساحتهم. فنحن مقرُّون بذلك غير جاحدين ولا منكرين وناظرون لهذا الفعل وآخذون بهذه السُنَّة وقابلون لهذه الوصية وموجبون هذا الحق على أنفسنا. ولقيتُ جماعةً من الرهبان المعروفين بشدة الزهد وكثرة العلم ودخلتُ عماراً[١] وديارات[٢] وبيعاً كثيرة وحضرت صلواتهم تلك الطوال السبع التي يسمّونها صلوات الأوقات وهي صلاة الليل وصلاة الغداة وصلاة الثالثة التي هي صلاة السَحَر وصلاة نصف النهار أعني صلاة الظهر وصلاة التاسعة التي هي قريبة من وقت العصر وصلاة الغروب التي هي صلاة بين العصر والعِشاء وصلاة الشفع وهي صلاة العِشاء المفروضة وصلاة النوم التي يصلّونها قبل أخذهم مضاجعهم ورأيت ذلك الاجتهاد العجيب والركوع والسجود بإلصاق الخدود بالأرض وضرب الجبهة والتكتُّف إلى انقضاء صلواتهم خاصّة في ليالي الآحاد وليالي الجُمَع وليالي الأعياد التي يسهرون فيها منتصبي الأرجل بالتسبيح والتقديس والتهليل الليل كله ويصلّون ذلك بالقيام نهارهم

---

(١) العُمْر بضم فسكون البيعة والكنيسة.
(٢) الدير مقام الرّهبان وجمعه أديار وأديرة وديارات.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أجمع ويكثرون في صلواتهم ذكر الآب والابن والروح القدس وأيام الاعتكاف التي يسمونها أيام البواعيث[١] وقيامهم فيها حفاة على المسوح والرماد باكين بكاءً كثيراً متواتراً بانهمال دموع من الأعين والجفون منتحبين بسحق عجيب ورأيت عملهم القربان كيف يحفظونه في خَبْزهم إياه ودعائهم عند عمله الدعاء الطويل مع التضرع الشديد عند إصعاده على المذبح في البيت المعروف ببيت المقدس مع تلك الكؤوس المملوءة خمراً. ورأيت أيضاً ما يتدبره الرهبان في قلاليهم[٢] أيام صيامهم الستة، أعني الأربعة الكبار والاثنين الصغيرين وغير ذلك. فهذا كله كنت له حاضراً ولأهله مشاهداً وبه عارفاً عالماً. ورأيت أيضاً مطارنة وأساقفة مذكورين بحُسن المعرفة وكثرة العلم مشهورين بشدة الإغراق في الديانة النصرانية مظهرين غاية الزهد في الدنيا فناظرتُهم مناظرةً نصفة طالباً للحق مسقِطاً بيني وبينهم اللجاج والمراءاة والمكابرة بالسلطة والصلف والبذخ بالحسب وأوْسعتُهم أمناً أنْ يقوموا بحجّتهم ويتكلموا بجميع ما يريدونه غير مؤاخذٍ لهم بذلك ولا متعنّت عليهم في شيء كمناظرة الرعاع والجهال والسّقاط[٣] والعوام والسفهاء من أهل ديانتنا الذين لا أصل لهم ينتهون إليه ولا عقل فيهم يعولون عليه ولا دين ولا أخلاق تحجبهم عن سوء الأدب وإنما كلامهم العنَت والمكابرة والمغالية بسلطان الدولة بغير

---

(١) جمع باعوث سرياني وهو الاستمطار.
(٢) أي معابدهم.
(٣) بضم السّين وتشديد القاف جمع ساقط لئيم الحسب والنفس.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

علمٍ ولا حجة. وكانوا إذا أنا ناظرتُهم وسألتُهم مسألةَ بحث فاحصاً عن قولهم وكانوا لشدة ورعهم ودعتهم واعتقادهم وتحرّجهم يصدقونني عن أمرهم ولا يكذبونني في شيء مما كنت أسائلهم عنه وأجادلهم فيه وكنت قد عرفت من بواطنهم مثل الذي قد عرفته من ظاهرهم فكتبت إليك أصلحك الله بهذا الشرح وعددت ما عددته واقتصصت مما اقتصصته بعد الاستقصاء والبحث الشديد والامتحان له على طول الأيام لئلا يظن بي أني عميّ بالأمر بل ليعلم من وقع في يده كتابي هذا أني عالم بالقضية فيهم علماً بجميع أمر النصارى حقّ معرفته. فأنا الآن متع الله بك، أدعوك بهذه المعرفة كلها منّي بدينك الذي أنت عليه وما منحته إلى هذا الدين الذي ارتضاه الله لي وارتضيته لنفسي ضامناً لك به الجنة ضماناً صحيحاً والأمن من النار وهو أن تعبد الله الواحد الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يتخذ صاحبةً ولا ولداً ولم يكن له كفؤاً أحد وهي الصفة التي وصف نفسه جلّ وعزّ بها إذْ ليس أحدٌ من خَلْقه أعلم به من نفسه فدعوتك إلى عبادة هذا الإله الواحد الذي هذه صفته ولم أزد في كتابي هذا على ما وصف به نفسه جلَّ اسمه وتعالى علواً كبيراً عمَّا يشركون. فهذه ملّة أبيك وأبينا إبراهيم صلوات الله عليه فإنه كان حنيفاً مسلماً. ثم أدعوك حفظك الله إلى الشهادة والإقرار بنبوة سيدي وسيد ولد آدم وصفيّ ربّ العالمين وخاتم الأنبياء محمد بن عبد الله الهاشمي القريشي العربي الأبطحي التهامي صاحب القضيب والناقة والحوض والشفاعة حبيب ربّ العزة ومكلّم جبرائيل الرّوح الأمين

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الذي أرسله الله بشيراً ونذيراً إلى النّاس كافة ﴿ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴾ (توبة) فدعا الناس كلهم أجمعين أهل الشرق والغرب وأهل البر والبحر والجبل والسهل بالرحمة والرأفة وطيب القول وحسن الخلق واللين فاستجاب هذا الخلق كلهم إلى طاعة دعوته والشهادة له أنه رسول الله رب العالمين إلى من يريد انتصاحاً وأقرَّ الأنام كلهم طائعين مذعنين لما عرفوا من الحق والصدق من قوله وصحة أمره وما جاء به من البرهان الصريح والدليل الواضح وهو هذا الكتاب المنزَل عليه من عند الله الذي لا يقدر أحد من الإنس والجن أن يأتي بمثله، وكفى به دليلاً على دعوته وأنه دعا إلى عبادة إلهٍ واحد فرد صمد فدخلوا في دينه وصاروا تحت يده غير مُكرَهين ولا مُجبَرين، بل خاضعين معترفين مستنيرين بنور هدايته متطاولين باسمه على غيرهم ممن جحد نبوته وأنكر رسالته وردّ أمره مقاوماً ومتعالياً فمكن الله لهم البلاد وأذلّ لهم رقاب الأمم من العباد إلاَّ من قال بقولهم ودان بدينهم وشهد بشهادتهم فحقن بذلك دمه وماله وحرمته أن يؤدي الجزية[1] عن يدٍ وهو صاغر. وهذه الشهادة امتع الله بك، هي الشهادة التي شهد الله بها قبل أن يخلق الخلائق إذْ كان على العرش مكتوباً لا إله إلا الله محمد رسول الله. وأدعوك إلى الصلوات الخمس التي مَنْ صلاّها لم يخبْ ولم يخسرْ بل يربح ويكون في الدنيا والآخرة من الفائزين وهي الفرض فيها فرضان فرضٌ من الله وفرضٌ من رسوله مثل الوتر

(١) وهكذا بالأصل.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وهي ثلاث ركعات بعد العِشاء الأخيرة، وركعتان في الفجر وركعتان بعد الظهر وركعتان بعد المغرب فمن ترك شيئاً من هذه فليس بجائزٍ له ويجب على من تركها أياماً الأدب ويُستتاب منه. فأمَّا الفرض فهو سبع عشرة ركعة في اليوم والليل ركعتا الفجر وأربع ركعات الظهر وأربع ركعات العصر وثلاث ركعات المغرب وهي العِشاء الأولى وأربع ركعات العِشاء الآخرة وهي العتمة وقد نهى رسول الله أن يُقال العتمة وقال هي عتمة الليل وإنما سُميت عتمةً لتأخّرها في العِشاء وإبطائها. وأدعوك إلى صوم شهر رمضان الذي فرضه الدّيان ونزل فيه الفرقان شهر يشهد فيه الله أنَّ فيه ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر تصوم فيه نهارك كله عن جميع المطاعم والمشارب والمناكح إلى أنْ يسقط قرص الشمس ويدخل حدّ الليل ثم تأكل وتشرب وتنكح في ليلك كله حتى يتبيّن لك الخيط الأسود من الخيط الأبيض حلالاً مطلقاً هنيئاً طيباً من الله فإنْ أنت لحقت ليلة القدر بإخلاص نيَّتك كنت قد فُزْت في دنياك وآخرتك قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ أَيَّاماً مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضاً أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وَلِتُكَبِّرُوا اللهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُنَّ وابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَكُلُوا واشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ وَلا تُبَاشِرُوهُنَّ وَأَنْتُمْ عَاكِفُونَ فِي الْمَسَاجِدِ تِلْكَ حُدُودُ اللهِ فَلا تَقْرَبُوهَا ﴾ (بقرة). وكان النبي صلى الله عليه وسلم يقدم الفطور ويؤخر السحور. ثم أدعوك إلى الحج إلى بيت الله الحرام الذي بمكة والنظر إلى حرم رسول الله وإلى آثاره ومواضعه ورمي الجمار والتلبية والإحرام وتقبيل الركن والمقام ومشاهدة تلك المواضع المباركة وتلك المشاعر العجيبة. ثم أدعوك إلى الجهاد في سبيل الله بغزو المنافقين وقتال الكفرة والمشركين ضرباً بالسيف وسبياً وسلباً حتى يدخلوا في دين الله ويشهدوا أنْ الله لا إله إلاَّ هو وأن محمداً عبده ورسوله أو يؤدوا الجزية عن يد وهم صاغرون. وأدعوك إلى الإقرار بأن الله يبعث مَنْ في القبور وأنّه ديّانهم بالعدل فيكافي الحسنى بالحسنى ويجزي المسيء بإساءته وأنه يُدخل أولياءه وأهل طاعته الذين أقرّوا بوحدانيته وشهدوا أن محمداً عبده ورسوله وآمنوا بما نزل عليه من القرآن الجنة التي أعدَّ لهم فيها الطيبات ﴿ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤاً وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴾ (الحج). ﴿ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

مِنْ فَضْلِهِ لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾ (ملائكة). ﴿ أُولَئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَعْلُومٌ فَوَاكِهُ وَهُمْ مُكْرَمُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ لاَ فِيهَا غَوْلٌ وَلاَ هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ عِينٌ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ ﴾ (صافات). ﴿ لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِنْ فَوْقِهَا غُرَفٌ مَبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ وَعْدَ اللهِ لاَ يُخْلِفُ اللهُ الْمِيعَادَ ﴾ (زمر). ﴿ يَا عِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاَ أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (زخرف). ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ (دخان). وقال عزّ وجل ﴿ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ ﴾ (محمد). وقال عزّ وجلّ ﴿ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوابُ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ إِنَّ هَذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِنْ نَفَادٍ ﴾ (ص) وقال عزَّ وجلَّ في وصف الجنة: ﴿ وَلِمَنْ خَافَ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ هَلْ جَزَاءُ الإِحْسَانِ إِلاَّ الإِحْسَانُ فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُدْهَامَّتَانِ فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حِسَانٌ فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ حُورٌ مَقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ مُتَّكِئِينَ عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ ﴾ (الرَّحمٰن) وقال عزَّ وجلَّ ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴾ (الزمر) وقال عزّ وجلّ ﴿ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُوراً وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيراً مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لاَ يَرَوْنَ فِيهَا شَمْساً وَلاَ زَمْهَرِيراً وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلاَلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلاً وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا قَوَارِيرَا مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيراً وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْساً كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلاً عَيْناً فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلاً ﴾ (الإنسان) وقال عز وجل ﴿ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازاً حَدَائِقَ وَأَعْنَاباً وَكَوَاعِبَ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أَتْرَاباً وَكَأْساً دِهَاقاً لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ كِذَّاباً جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَاباً ﴾ (النبأ) وقال تبارك وتعالى ﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ مُتَّكِئِينَ عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْساً لاَ لَغْوٌ فِيهَا وَلاَ تَأْثِيمٌ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ فَمَنَّ اللهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ إِنَا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّه هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴾ (الطور) وقال تبارك وتعالى ﴿ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونَةٍ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ يَطُوفُ عَلَيْهِمَ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلاَ يُنْزِفُونَ وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ وَحُورٌ عِينٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْواً وَلاَ تَأْثِيماً إِلاَّ قِيلاً سَلاَماً سَلاَماً وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ وَظِلٍّ مَمْدُودٍ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ لاَ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ إِنَّا أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً عُرُباً أَتْرَاباً لأَصْحَابِ الْيَمِينِ ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ ﴾ (الواقعة). فهذه صفة الجنة التي أعدها الله للمؤمنين به وبرسوله وأعد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لهم فيها الطيّبات من الطعام والشراب وأنواع الفواكه والرياحين ونكاح الحور العِين اللاتي هن كأمثال اللؤلؤ المكنون بلا نهاية ولا انقطاع يأخذون كل ما تشتهي الأنفس وتلذ الأعين ولهم فيها الكرامة والحياة والجلوس على الأسرَّة متكئين على الأرائك عليهم ثياب الحرير اللّيِّن مسورين بالأسرة المكللة باللؤلؤ تُعرف في وجوههم نضرة النعيم يدور عليهم الوِلدان والوصائف والوصفاء الذين هم في جنسهم كاللؤلؤ المكنون يسقون من كأسات فيها الرحيق المختوم الذي ختامه مسك ومزاجه من تسنيم عيناً يشرب منها المقرَّبون يُحيَّون بها بأحسن التحية وأطيبها ويقولون لهم كلوا واشربوا وتنعَّموا هنيئاً لكم بما كنتم تعملون لا يسمعون فيها لغواً ولا يمسهم جوعٌ ولا لغوب فهم في هذا النعيم آمنون واثقون خالدون أبداً. وأمّا الكفار الذين أشركوا بالله واتخذوا معه الأنداد ولم يؤمنوا برسله وكذبوا بآياته وحرموا حدوده وحاربوه فهم أهل الكفر يلقونها كفاحاً في جهنم لابثين في نار لا تنطفئ وزمهرير لا يُوصف وهم فيها خالدون كلما احترقت جلودهم جُددت لهم جلود أخرى مقامهم في الجحيم وشرابهم المهل وطعامهم من شجرة الزقوم رفقاء لإبليس وجنود له وبئس المصير.

وقال عزّ وجل ﴿ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِنْ نَاصِرِينَ ﴾ (آل عمران) وقال تبارك وتعالى ﴿ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُواْ بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُواْ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً أُوْلَئِكَ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُّهِيناً ﴾ (النساء). وقال تبارك وتعالى ﴿ والَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾ (الملائكة) وقال أيضاً.. ﴿ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ فَإِنَّهُمْ لآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْباً مِنْ حَمِيمٍ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لاَلَى الْجَحِيمِ ﴾ (صافات) ثم ﴿ فويل للذين كفروا من النار.. وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴾ (ص) وقال: ﴿ لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ ﴾ (الزمر) وقال: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللهِ وُجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوىً لِلْمُتَكَبِّرِينَ والَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (الزمر) وقال ﴿ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَراً حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (الزمر) ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْماً مِنَ الْعَذَابِ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلاَلٍ ﴾ (المؤمن) وقال ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ إِذِ الأَغْلاَلُ فِي أَعْنَاقِهِمْ والسَّلاَسِلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴾

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

(المؤمن) وقال ﴿ الكافرون لهم عذاب شديد.. وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ ﴾ (شورى) وقال تبارك وتعالى ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ ﴾ (زخرف) وقال ﴿ إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الأَثِيمِ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴾ (دخان) وقال عز وجل ﴿ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ... ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ واللهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلاَئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللهُ أَضْغَانَهُمْ ﴾ (محمد) وقال ﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذ لِلْمُكَذِّبِينَ أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتاً أَحْيَاءً وَأَمْوَاتاً وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتاً وَيْلٌ يَوْمَئِذ لِلْمُكَذِّبِينَ انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاَثِ شُعَبٍ لاَ ظَلِيلٍ وَلاَ يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ وَيْلٌ يَوْمَئِذ لِلْمُكَذِّبِينَ هَذَا يَوْمُ لاَ يَنْطِقُونَ وَلاَ يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ وَيْلٌ يَوْمَئِذ لِلْمُكَذِّبِينَ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ والأَوَلِينَ ﴾ (مرسلات).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فهل سمعت عافاك الله يا هذا بوصف أحسن وأعجب من هذا من ترغيب وترهيب وترشيف وتهويل وتحريض ووعد ووعيد لكل جبار عنيد ولكل مصدق ومكذب ولكل مؤمن وكافر ولكل مقر وجاحد فلو لم ترغب إلاَّ في ذلك الوصف لكان ذلك فيه الغنم والفوز العظيم ولو لم ترهب إلاَّ من ذكر النار وأهوال جهنم لكان في تركك ذلك الخطب الجليل وعليك فيه الخسران المبين. قال الله تبارك وتعالى ﴿ وذَكِّرْ فإن الذكرى تنفع المؤمنين ﴾. فأما نحن فقد ذكّرناك فإنْ أنت آمنت وقبلت ما يُتلى عليك من كتاب الله المنزل انتفعت بما ذكّرناك وكتبنا به إليك وإنْ أبيت إلاَّ المقام على كفرك وضلالك وعنادك للحق كنا نحن قد أُجرنا إذ عملنا بما أُمرنا به وكان الحق هو المنتصف منك إن شاء الله. فهذه أنار الله قلبك هيئة ديننا القِيّم وهذه شرائعه وأعلامه وسننه فإذا أنت دخلت فيه وأقررت به وشهدت على شهادته وأحببت الدخول في ما دعوناك إليه من شرائعنا النيِّرة وأعلامنا الواضحة وسُننِنا الحسنة كنت مثلنا وكنا مثلك فحسْبك بنا شرفاً في الدنيا والآخِرة وإن نبينا عليه السلام يقول يوم القيامة كل أحد مشغول بنفسه من مَلَك مقرب ونبي مرسل سواه وهو يقول أهل بيتي أمتي أمتي فيُجاب أولاً في أهل بيته ثم في أمته ويقول الرَّحمٰن للملائكة إني أستحيي أن أردّ شفاعة صفيي وحبيبي محمد ثم تكون ممن يجب لك ما يجب وتصلي إلى قبلتنا التي ارتضاها الله لنا وتقيم الصلوات الخمس بعد إسباغ الوضوء إذا كنت صحيحاً وقائماً على رجليك وإذا كنت مريضاً أو ضعيفاً فجالس فإنْ كنت على سفرٍ فنصف ما تصليه وأنت بالحضر. قال الله عزّ وجلّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

﴿ وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ﴾ وأما الزكاة فهي رُبع العُشر إذا أتى على المال وهو في ملك صاحبه حولٌ كامل فتصرف ذلك على المساكين من ملّتك والفقراء من أهلك، وتنكح من النساء ما أحببت لا جُناح عليك في ذلك ولا لوم ولا إثم ولا عيب إذا أنت تزوَّجتها بولي وشاهديْن وآتيتها من المهر ما طابت به نفسك ونفسها مما تيسَّر ولك أن تجمع بين أربع نساء وتطلّق مَنْ شئت إذا كرهتها أو مللتها أو شبعت منها ولك أنْ تراجع بعد الاستحلال من أحببت منهن أيتهن تبعتها نفسك. قال الله عز وجل ﴿ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجاً غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا ﴾، وتتمتع من الإماء بما ملكت يداك وتختتن لتقيم سُنّة إبراهيم أبينا خليل الرَّحمٰن وسُنَّة اسماعيل أبينا وأبيك صلوات الله عليهما وتغتسل من الجنابة. ثم إنْ قدرت تصوم شهر رمضان وإلاَّ إنْ فطرت من علة أو مرض أو سفر بعد أن تتوي قضاء ذلك ﴿ فإن الله يريد لعباده اليُسْر ولا يريد لهم العسر ﴾. وإنْ حنِثْتَ في قسمك عملت بما أمر الله به في ذلك، إذ يقول تبارك وتعالى ﴿ لا يُؤَاخِذُكُمُ اللهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ واللهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴾ (بقرة) وكفارة الحنَث عندنا معاشر المسلمين قوله تعالى ﴿ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ واحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ (مائدة). والحج واجب عليك لأنه جل جلاله يقول ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ (آل عمران) وذلك إذا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لم يكن عليك دَيْن وكانت لك راحلة وكان عندك ثمن الزاد والغزو في سبيل الله فمعه الغنيمة في الدنيا عاجلاً والأجر العظيم في الآخرة آجلاً فقد سهل الله وله الحمد، على المؤمنين وإن الله تبارك وتعالى ليحب أن يؤخذ بعزائمه وتشديداته. ولو لم يكن في دين الإسلام شيء إلاَّ الطمأنينة والأمن وتسليم القلب لله والراحة والثقة بما ضمن الله لنا عن نفسه أنه هو يثيبنا على ذلك في الآخرة الأجر العظيم ويدخلنا جنات النعيم فنكون فيها خالدين وينصرنا فيها على القوم الظالمين لكان في دون هذا لنا الفوز العظيم. فقد تلوتُ عليك من قول الله تبارك وتعالى وهو قول الحق لا خلف لوعده ولا تكذيب لقوله فيما سلف من كتابي هذا ما في أقله كفاية فدعْ ما أنت عليه من الكفر والضلال والشقاوة والبلاء وقولك بذلك التخليط الذي تعرفه ولا تنكره، وهو قولكم بالآب والابن والروح القدس وعبادة الصليب التي تضر ولا تنفع فإني أرتابك عنه وأجلُّ فيه علمك وشرف حسبك عن خساسته، فإني وجدت الله تبارك وتعالى يقول ﴿ إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴾ (نساء). وقال ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ انْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الآيَاتِ ثُمَّ انْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (مائدة).

فدعْ ما أنت منه من تلك الضلالة وتلك الحمية الشديدة الطويلة المتعبة وجهد ذلك الصوم الآرم الصعب والشقاء الدائم والبلاء الطويل الذي أنت منغمس فيه الذي لا ينفع ولا يجدي عليك نفعاً إلاّ إتعابك بدنك وتعذيبك نفسك وأقْبِلْ داخلاً في هذا الدين القيّم السّهل المنهج، الصحيح الاعتقاد، الحسن الشرائع، الواسع السبيل الذي ارتضاه الله لأوليائه من عباده ودعا جميع خلقه إليه من بين الأديان كلها تفضّلاً منه عليهم به وإحساناً إليهم بهدايته إياهم ليُتمّ بذلك نعماه عندهم. فقد نصحت لك يا هذا وأدَّيت إليك حق المودّة وخالص المحبة إذْ أحببتُ أن أخلطك بنفسي وأنْ أكون أنا وأنت على رأي واحد وديانةٍ واحدة. فإنّي وجدت ربّي يقول في محكم كتابه ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ (بيّنة) وقالَ الله في محكم كتابه في موضع آخر ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ (آل عمران). وأشفقت عليك أبقاك الله أنْ تكون من أهل النار الذين هم شر البرية ورجوت أن تكون بتوفيق الله إياك من المؤمنين الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه وهم خير البرية ورجوت أنْ تكون من هذه الأمة التي هي خير أمة أُخرجت للناس

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فإنْ أبيت إلاَّ إلظاظاً ولجاجاً جهلاً وتمادياً في كفرك وطغيانك الذي أنت فيه وردَدْت علينا قولنا ولم تقبلْ ما بذلناه لك من نصيحتنا حيث لم نُرِدْ منك على ذلك جزاءً ولا شكراً فاكتبْ بما عندك من أمر دينك والذي صحَّ في يدك منه وما قامت به الحجة عندك آمناً مطمئناً غير مقصِّر في حجتك ولا مُكاتم لما أنت معتقده ولا فَرَق ولا وجَل فليس عندي إلاَّ الاستماع للحُجّة منك والصبر والإذعان والإقرار بما يلزمني منه طائعاً غير منكر ولا جاحد ولا هائب حتى نقيس ما تأتينا به وتتلوه علينا ونجمعه إلى ما في أيدينا ثم نخبرك بعد ذلك على أن تشرح لنا عليه وتدع الاعتلال علينا بقولك إن الفزع حجبك وقطعك عن بلوغ الحجّة واحتجت أن تقبض لسانك ولا تبسطه لنا ببيان الحجة فقد أطلقناك وحجتك لئلا تنسبنا إلى الكبرياء وتدَّعي علينا الجور والحيف فإنَّ ذلك غير شبيهٍ بنا. فاحتجَّ عافاك الله بما شئت وقل كيف شئت وتكلم بما أحببت وانبسط في كل ما تظن أنه يؤديك إلى وثيق حجتك فإنك في أوسع الأمان ولنا عليك أصلحك الله إذْ قد أطلقناك هذا الإطلاق وبسطنا لسانك هذا البَسْط أنْ تجعل بيننا وبينك حكماً عادلاً لا يجور ولا يحيف في حكمه وقضائه ولا يميل إلى غير الحق إذا ما تجنَّب دولة الهواء وهو العقل الذي يأخذ به الله عزّ وجل ويعطيّ فإننا قد أنصفناك في القول وأوسعناك في الأمان ونحن راضون بما حكم به العقل لنا وعلينا. إذْ كان لا إكراه في الدين وما دعوناك إلاَّ طوعاً وترغيباً في ما عندنا وعرَّفناك شناعة ما أنت عليه. والسّلام عليك ورحمة الله وبركاته.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فأجابه النّصراني

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

ربّ يسّر ولا تعسّر ربِّ تمم بالخير.

إلى فلانٍ بن فلانٍ من فلان بن فلان أصغر عبيد المسيح سلامة ورحمة ورأفة وتحيات تحلّ عليك خاصةً وعلى جميع أهل العالم عامةً بجوده وكرمه آمين.

أما بعد قد قرأت رسالتك وحمدت الله على ما وهب لي من رأي سيدي أمير المؤمنين ودعوت الله الذي لا يخيب داعيه إذا دعاه بنيَّةٍ صادقةٍ أنْ يطيل بقاء سيدنا أمير المؤمنين في أسبغ النعم وأدوم الكرامة وأشمل العافية بمنه ورحمته وشكرتُ أكرمك الله ما ظهر لي من فضلك بالعناية وما كشفتَه من لطيف محبتك وخصصتني به من المودة فقد كان العهد قبلاً عندي على هذا قديماً وقد زاده تأكيداً ما تبيَّن لي من شفقتك مستأنفاً وشكري يقصر عمّا فعلته ولم تتعدَّ ما يشبه كرم طباعك وشرف سلفك وأنا أرغب إلى الله جلّ اسمه الذي بيده الخير كله أنْ يتولى مكافأتك عني بما هو واسع له فإنه لا يعجز عن شيءٍ ويحسن جزاؤك عن نيتك فقد لعمري أفرغت مجهودك والنصيحة عند نفسك ولم تبقِ غايةً ووجب شكرك عليّ إذْ لم تأتِ بما أتيت به إلاّ على الإخلاص من المودّة وكان الذي حملك على ذلك فرط المحبة والألفة وفهمتُ أفهمك الله كل خير وهداك إلى سبيل الرّشاد ما اقتصَصْتَه في كتابك وتعمَّقت فيه من الدعوة وشرحتَه من أمر ديانتك هذه التي أنت عليها وما دعوتني إلى الدخول إليه

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ورغَّبتني فيه منها وقد علمتُ أصلحك الله علماً حقيقياً أنّ الذي دعاك إلى ذلك ما يوجبه لنا تفضلك من حق حرمتنا بك لما يظهر من رأي سيدنا وسيدك وابن عمك أمير المؤمنين فينا فهذا ما لا قوة لنا على شكرك عليه ولا عون لنا على ذلك إلاَّ الله تبارك وتعالى فإننا نستعينه ونسأله مبتهلين طالبين إليه أن يشكرك عنّا فإنه أهلٌ لذلك والقادر عليه فأمّا ما دعوتني إليه من أمر دينك الذي تنتحله ومقالتك التي تعتقدها وهي الحنيفية وأنك على ملة أبينا إبراهيم وما قلت فيه إنه كان حنيفاً مسلماً فنحن نسأل المسيح سيدنا مخلِّص العالمين الذي وعدنا الوعد الصادق وضمن لنا الضمان الصحيح في إنجيله المقدس حيث يقول: « وَمَتَى قَدَّمُوكُمْ إِلَى الْمَجَامِعِ والرُّؤَسَاءِ والسَّلاطِينِ فَلا تَهْتَمُّوا كَيْفَ أَوْ بِمَا تَحْتَجُّونَ أَوْ بِمَا تَقُولُونَ، لأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ يُعَلِّمُكُمْ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ مَا يَجِبُ أَنْ تَقُولُوهُ » (لوقا١١: ١٢ و١٢) أنا واثق بما وعدني به سيدي المسيح في إنجيله المقدس من إنجازه وعده لي وأدخل معك إلى المعركة مستعيناً بالله متكلاً عليه إذْ كنت أنا العاجز عن كل شيءٍ لا أتأخر عن دعوته المنيرة وعن دينه الأفضل وافتتح كلامي بما يلقنني به من صلاح القول ويعلمني من وثيق الحجة كعادته عند أوليائه وأرجو منه الظفر. وأقول مجيباً لك قد علمتُ أبقاك الله إذاْ زعمت أنك قرأتَ كتب الله المنزلة ونظرت في ديوان أسراره المقدسة التي هي الكتب العتيقة والحديثة أن التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى النبي وناجاه بجميع ما فيها وخبَّره أسراره مكتوب في السفر الأول من أسفارها الخمسة وهو المعروف

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بسفر الخليقة أنَّ إبراهيم كان نازلاً مع آبائه بحران وأنَّها كانت مسكناً لهم وأن الله تبارك وتعالى تجلّى عليه بعد تسعين سنة وآمن به وحُسب له ذلك براً فقد علمنا يرحمك الله أنَّ إبراهيم إنَّما كان نازلاً بحران مع آبائه تسعين سنةً لم يعبد إلاَّ الصنم المسمَّى العزَّى وهو المعروف بحران المتَّخذ على اسم القمر لأن أهل حران إنما كانوا يعبدون هذا الصنم وتلك البقية قائمة فيهم إلى هذه الغاية لا يكاتمون بها ولا يسترون منها شيئاً غير القرابين التي يتخذونها من الناس فإن ذبح الناس لا يتهيأ لهم اليوم جهراً بل يحتالون فيه فيفعلونه سراً فكان إبراهيم يعبد الصنم حنيفاً مع آبائه وأجداده وأهل بلده كما أقررت أنت أيها الحنيف وشهدت بذلك عليه إلى أن تجلّى الله عليه « فَآمَنَ بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرّاً » (تكوين ١٥: ٦). زال عن الحنيفية التي هي عبادة الأصنام وصار موحداً مؤمناً لأننا نجد الحنيفية في كتب الله المنزلة اسماً لعبادة الأصنام فورث ذلك التوحيد إسحٰق الذي هو ابن الموعد وهو الذي قرَّبه لله ففداه الله بالكبش من الفدية لأنه هكذا أمره الله وقال « خُذِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ الَّذِي تُحِبُّهُ إِسْحٰقَ واذْهَبْ إِلَى أَرْضِ الْمُرِيَّا، وَأَصْعِدْهُ هُنَاكَ مُحْرَقَةً عَلَى أَحَدِ الْجِبَالِ الَّذِي أَقُولُ لَكَ » (تك ٢٢: ٢) ومن نسل إسحٰق من سارة الحرة خرج المسيح مخلِّص العالم. فلهذه الأسباب وغيرها ورَّثه إبراهيم أبوه التوحيد ثم ورَّثه إسحٰق يعقوب ابنه الذي سماه الله إسرائيل ثم ورَّثه يعقوب الاثني عشر سِبطاً فلم يزل ذلك التراث في بني إسرائيل حتى دخلوا أرض مصرَ أيام الفراعنة بسبب يوسف ثم لم يزل ذلك التراث ينقص ويضعف قرناً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بعد قرن حتى اضمحل كاضمحلاله الذي كان في عصر نوح إذْ كان التوحيد أوّل من عرفه أبونا آدم ثم ورثه شيث ثم ورّثه أنوشَ ابنه فكان أنوش أوّل من أعلن ذكر التوحيد ودعا إليه ثم ورثه ولده وولد ولده ثم اضمحلّ إلى زمن إبراهيم فتجدد ذلك التراث لإبراهيم ولم يزل يتجدد إلى أنْ وُلد يعقوب الذي هو إسرائيل ثم اضمحل حتى تجدد عندما بعث الله موسى فإن الله تجلى عليه بالنار في العوسجة وقال في مناجاته إياه ومخاطبته له ما معناه « إنك ترسلني إلى قوم غُلْف القلوب إنْ هم سألوني وقالوا ما اسم الذي وجَّهك علينا، وبماذا وجَّهك حتى نصدقك فماذا أقول لهم فقال الله: هكذا تقول لبني إسرائيل الذين أنا مُرسلك إليهم وبهذا القول تخاطب فرعون إذا دخلت إليه أهيه أشِراهيه أرسلني إليكم. وتفسيره ذلك الأزلي الذي لم يزل إله آبائكم إله إبراهيم وإله إسحٰق وإله يعقوب أرسلني إليكم »[1] فجدَّد في هذا الموضع في الظاهر ذكر التوحيد واللغز عن سرّ الثالوث حيث قال إله إبراهيم وإله إسحٰق وإله يعقوب فيكون بذلك القول ذكر الثلاثة الأقانيم بعد ذكر التوحيد كما كان قديماً فهو واحد ذو ثلاثة أقانيم لا محالة لأنه أجمل في قوله إله آبائكم ثم قال مكرراً اسم الجلالة ثلاث مرات فتقول إنها ثلاثة آلهة أم إله واحد مكرراً ثلاث مرات فإنْ قلنا إنها ثلاثة آلهة أشركنا وجئنا بأشنع القول وأمحله وإنْ قلنا إله واحد مكرراً ثلاث مرات فنكون قد نخعنا الكتاب حقه لأنه قد يمكنه أنْ يقول إله آبائكم إبراهيم وإسحٰق ويعقوب وإنما كرر ذلك

---

(١) قابل إصحاح ٣: ١٥ من الخروج.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

للإشارة بأن في هذا الموضع سراً وهو أن الله واحد ذو ثلاثة أقانيم فثلاثة أقانيم إله واحد وإلـــه واحد ثلاثة أقانيم فأي دليل أوضح وأي نور أضوى من هذا إلاَّ لمن عاند الحق وأرد أنْ يغـــشَّ نفسه ويعمي عين تمييزه ويصمّ سمع عقله عن استماع سرَّ الله الذي أودعه فـــي كتبـــه التـــي أنزلها على أنبيائه وهي أكرمك الله في أيدي أصحاب التوراة إلى هذه الغاية لم يكونوا يفهمونه حتى جاء صاحب السرّ الذي هو المسيح سيدنا وكشفه لنا وأفهمناه فقد علمنا الآن أن إبـــراهيم كان منذ وُلد إلى أن أتت عليه تسعون سنة حنيفاً عابد صنم ثم آمن بالله إلى أنْ قُـــبضَ فأنـــت أصلحك الله تدعوني إلى دين إبراهيم وملّته فليت شعري إلى أي مذهبيْه ودينيْه تدعوني وفـــي أيّ حالتيْه تُرغّبني أَحَيث كان حنيفاً يعبد الصنم المعروف بالعُزَّى مع آبائه وأهل بيتـــه وهـــو بِحران أم حيث خرج عن الحنيفية ووحَّد الله وعبده وآمن به وانتهى إلى أمره عندما أمـــره أن ينتقل عن بلده فانتقل طائعاً عن حران دار الكفر ومدينة الضلالة فلا أظنك تستجيز في عقلـــك، وحسن تمييزك، وجودة معرفتك التي زعمت بالكتب المنزلة ودراستك إياها أنْ تـــدعوني إلـــى مثل حال إبراهيم في كفره وضلاله من عبادة الأصنام التي هي الحنيفية وإنْ كنت تدعوني إلى حاله وقت إيمانه وما حُسب له من البرّ وقت توحيده فاليهودي ابن إبراهيم أَوْلى بهذه الـــدعوة منك لأنه صاحب تراث إسحٰق الذي ورث هذا التوحيد عن إبراهيم أبيه وهو أولى منك وأحـــقّ بهذا الأمر فما لك والظلم والحيف والجنف وطلب ما لم يجعله الله لك حقاً فأنت دائماً تنسب

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ذاتك إلى العدل وتصفها بهذه الصفة وصاحبك يقرّ في كتابه ويقول طائعاً أنه قِيل له ﴿ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام) أفلا ترى أنه أوّل من أظهر الإسلام وأن قبله إبراهيم وغيره لم يكونوا مسلمين لأن صاحبك قد أقرَّ بأنه هو أوّل من أسلم وفي هذا الجواب لهذا الباب كفاية وأمر مقنعٌ لذوي الألباب. فإن أبيْت أصلحك الله إلاَّ الوكالة بالخصومة والاحتجاج عن اليهود فأنت تعلم ما يجب لنا عليك في الحكم إذا نحن طالبناك بإقرار اليهودي بتوكيله إياك فإنْ ثبتت وكالتك له فبتملهنا عليك ومسامحتنا لكَ في هذا الموضع أنْ نأخذ منك إقرارك أنك أقمت نفسك ونصَّبتها منصب الخصم عن اليهود وأنا لا أرى لشرفك وحسَبك أن أحلّك هذا المحل وأقيمك هذا المقام وإنْ كنت أنت أحللته نفسك وإنّي أسألك عن هذا الواحد الذي دعوتنا إلى الإقرار بوحدانيته كيف تفهمنا أنه واحد وعلى كم نحوٍ يُقال للواحد واحداً فإذا أنبأتنا بذلك علمنا أنك صادق فيما ادَّعيت من عبادة هذا الواحد وإنْ ألفيت غير عالمٍ به فأين تبصرك ألا تعلم أنّ الواحد لا يُقال له واحداً إلا على ثلاثة أوجه إمّا في الجنس وإمّا في النوع وإمّا في العدد ولستُ أرى أحداً يدَّعي غير هذا أو يقدر أنْ يجد غير هذه الأوجه الثلاثة إنْ كان ذا لبٍّ وإدراكٍ لما يقول وإنّما أناجيك بهذه المناجاة وأخاطبك بما يخُاطب به ذو العقل والرأي الرّاسخ في العالم الداخل في الأمور بدارية فهمٍ لأنك أيدك الله لست عندي من الجّهال الذين إذا أوردت عليهم مسألةً غامضة تلطف عن غلظ طباعهم وجفاء أذهانهم عجزوا عن فهمها وانقطعوا عن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الإجابة عنها لقلة علمهم فلم يكن لهم ولا عندهم من الجواب فيها غير سبحان الله. نعم سبحان الله أبداً حتى تنصرم الدنيا ما دامت الآخرة من كلِّ لسانٍ ناطق وشفةٍ متحركةٍ فعلى أي وجه تصف الله عزَّ وجلّ واحداً من هذه الوجوه التي ذكرتها لكّ أفي الجنس أم في النوع أم في العدد فإن قلت إنه واحد في الجنس صار واحداً عاماً لأنواع شتى لأن حكم الواحد في الجنس هو الذي يضمّ أنواعاً كثيرة مختلفة وذلك مما لا يجوز في الله تعالى وإنْ قلت إنه واحد في النوع صار ذلك نوعاً عاماً لأقانيم شتى لأن حكم النوع يضم أقانيم كثيرة في العدد وإنْ قلت إنه واحد في العدد كان ذلك نقضاً لكلامك أنه واحد فرد صمد لأني لا أشكّ في أنّه لو سألك سائل عن نفسك كم أنت لا تقدر أن تجيبه بأنك واحد فرد فكيف يقبل عقلك هذه الصفة التي لا تُفضِّل إلهك عن سائر خلقه وليتك مع وصفك إياه بالعدد كنت وصفته أيضاً بالتبعيض والنقصان أتراك لا تعلم أنت الرّجل الذي فتشت الكتبَ وقرأتها وناظرت أهل الملل المختلفة وفهمت اعتقاداتهم أنّ الواحد الفرد بعض العدد لأن كمال العدد ما عمَّ جميع أنواع العدد فالواحد بعض العدد وهذا نقضٌ لكلامك فإنْ أنتَ قلت إنه واحد في النوع فالنوع ذوات شتى لا واحد فرد وإنْ قلت واحد في الجوهر وجب أنْ نسألك هل تخالف صفة الواحد في النوع عندك صفة الواحد في العدد أو إنّما تعني واحداً في النوع واحداً في العدد لأنه عام فإنْ قلت قد تخالف هذه تلك قلنا لك حدّ الواحد في النوع عند أهل الحكمة العارفين بحدود الكلام والعالمين بقوانين المنطق اسمٌ يعمّ أفراداً شتى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وواحد الواحد ما لا يعمّ غير نفسه المقرّ أنت أنّ الله واحد في الجوهر يعمّ أشخاصاً شتى إنّما تصفه شخصاً واحداً وإنْ كان معنى قولك إنّه واحد في النوع واحد في العدد فإنّك لم تعرِّف الواحد في النوع ما هو وكيف هو ورجعت إلى كلامك الأول أنه واحد في العدد وهذه صفة المخلوقين كما قدمنا أنفاً وإنْ قلتَ هل تقدر أنت أن تصف الله واحداً في العدد إذا كان كزعمك الواحد في العدد بعضاً وليس بكامل قلنا لك إننا نصفه واحداً كاملاً في الجوهر مثلّثاً في العدد أي في الأقانيم الثلاثة، فقد كملت صفته من الوجهيْن جميعاً أمّا وصفنا إياه واحداً في الجوهر فلاعتلائه جلّ وعزّ عن جميع خَلْقه وبريته محسوسةً كانت أو غير محسوسة لا يشبهه شيء منها ولا يختلط في غيره بسيط غير كثيف، وروحاني غير جسماني، أب على كل شيء بقوة جوهره من غير امتزاج ولا اختلاط ولا تركيب وأمّا في العدد فلأنه عام لجميع أنواع العدد لأن العدد لا يُعد وإنْ تكن أنواعه نوعيْن زوجاً وفرداً فقد دخل هذان النوعان في هذه الثلاثة فبأي الأنحاء وصفناه لم نعدل عن صفة الكمال شيئاً كما يليق به ذلك لتعلم أنّ وَصْفنا الله واحداً ليس على ما وصفته أنت أكرمك الله وأرجو أن يكون هذا الجواب مقنعاً لك وللناظر في كتابنا هذا إذا نظر بعين الإنصاف إنْ شاء الله. واعلمْ أصلحك الله أنّه يمكننا أن نعقّد الكلام في هذا الفصل من كتابنا وكان ذلك مما يحتمله الموضوع لكننا أحببنا أنْ يكون كلامنا سهلاً يفهمه كلّ مَنْ قرأه واستملى منه وكي لا تستثقله الأسماع وينفر منه الذهن وينبغي لكَ أصلحك الله أنْ تعلم أنّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

مناضلتنا في هذا الأمر كمناضلة الأخوة المشتركين في بضاعة واحدةٍ ورثوها عن أبيهم فكلّ فيها مشترك ليس بعض فيها دون بعض فأنت ونحن في الكلام سواء فما جاء من الجواب وكان فيه بعض مرارة توجب الحقّ فينبغي لكَ أنْ تعترفَ به ولا تنكره فإنّا لا ندعْ الاستقصاء وبلوغ الغاية القصوى في اللبس عن حقنا ودحض حجة من أراد إبطال حجتنا وأمرنا وحاول ظلمنا. وأما قولك إنه لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً ولم يكن له كفؤاً أحد فإنْ أنت أبقاك الله أنصفتنا، والإنصاف أشبه بك وأولى كما ضمنت عن نفسك وعدلت في القول وألزمتنا قانون الحق أقررتَ لي بهذا أنَّ الذي ألزمه أن له خليلاً وله حبيباً وله صفياً هو الذي شنع عليه وألزمه أن له صاحبةً وأنّه اتّخذ ولداً وكان له أكفاء وأما نحن أصلحك الله فلا نقول إنَّ الله تبارك وتعالى كانت له صاحبة ولا إنه اتخذ ولداً ولا إنه كان له كفؤاً أحد ولا نصف الله عزّ وجلّ بمثل هذه الرذائل والخسائس من صفات التشبيه وإنما هذه الشُبهات لكم من قِبل اليهود حيث أرادوا كيدكم بذلك فلفَّقوا هذه القصص التي يقصّونها على ظهر الطريق وفي الشوّارع فيتكلمون بالعظائم وبكلّ شنيع من الكلام وإلاّ فأنت تعلم إذْ كنتَ ذا علمٍ بالكتب أنْ ليس في كتبنا المنزلة لهذا ذكرٌ فتقبله عقولنا أو نتكلم به وإنما هو كتابك الذي أكثر التشنيع علينا وادَّعى على المسيح سيدنا ومحيي البشر الدعاوي التي لم يقلها قطّ مما أكره تطويل كتابي به وتعريف القصة في تناقضه والإخبار بأسبابه وكيف كان ذلك من حيلة وهَب بن منبه وعبد الله بن سلاّم وكعب المعروف

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بالأحبار أولاد اليهود وكيدهم ونعتهم وكيف احتالوا في إدخال ذلك وغيره من التشنيعات علينا بل وعليكم وإنْ فحصت عن ذلك في كتابك عرفت حقيقته. فأمّا نحن فلم نقلْ قطّ ولا نقول أبداً إنّ الله تبارك وتعالى اتّخذ صاحبةً وولد ولداً وليس قولنا إنَّ لله ابناً وهو الكلمة الخالقة قول من قال إنه اتّخذ ولداً وأنت حرسك الله تعلم ما في هذا الكلام من الشّناعة والتناقض والفرية على الله وعلى كلمته وعلى روحه ونحن نقول إن الله الأزلي بكلمته لم يزل حليماً رؤوفاً وإنما وصفناه تبارك وتعالى بالرحمة والرأفة والملك والعزّ والسّلطان والجبروت والتدبير وما أشبه هذه الصفات لما يظهر لنا من أفعاله وقد أخبَرتْ عنها عقول الناس واشتقّوها له اشتقاقاً لأجل فعله إياها فاستوجبها عزّ وجلّ بالكمال والحقيقة كما استوجب جميع ما سُمّي به من أجل فعله له. فأمّا صفات ذاته تبارك وتعالى فجوهر ذو كلمة وروح أزلي لم يزل متعالياً مرتفعاً عن جميع النعوت والأوصاف. ولننظرْ الآن في هذه الصفات من حيٍّ وعالم أَهي أسماءٌ مفردة مرسَلة أم أسماء مضافةً تدلّ على إضافة شيء إلى شيء ويجب علينا أنْ نعلم ما الأسماء المضافة وما الأسماء المفرَدة المرسَلة فأمّا الأسماء المرسَلة فهي كقول القائل أرض أو سماء أو نار أو ماء أو كل ما كان قيل شبيهاً مما لا يُضاف إلى غيرها وأما الأسماء المضافة إلى غيرها كالعالم والعلم والحكمة والحكيم وما أشبه ذلك فالعالم عالمٌ بعلمه والعلم عِلمُ عَالمٍ. والحكمة حكمة حكيم. وهذا القول نظير لِما وصفنا ونقتصر عليه لئلا يخرج بنا اتّساع الكلام إلى الكثرة. فإذا قد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بيّنا ما الأسماء المفردة وما الأسماء المضافة المنسوبة إلى غيرها وجب أنْ نسألك عن الموصوف بهذه الصفة ألازِمَةٌ هي لجوهره في أزليته أم اكتسبها له اكتساباً واستوجب الوصف بها من بَعْدُ كما استوجب أنْ يوصف أنَّ له خليقةً حيث خُلق وسائر ذلك مع ما لم أذكر من أسماء يُسمَّى بها وصفات تجلّى بها لفِعْله إياها. فإذا قيل كما يُوصف تعالى إنّه كان ولا خَلْق حتّى أتى على ذلك بالفعل كذلك يجوز أنْ يُقال إنه كان ولا حياة له ولا علم ولا حكمة حتى صارت الحياة والعلم والحكمة لديه موجودة وهذا محال من الكلام أنْ يكون الله عزّ وجل طرفة عينٍ خلواً من حياةٍ وعلم وإنْ قلتَ إنَّ الأمرَ غير ما ظننت ووصفت لما يلزمك من الشنعة لأنه قد يُوصف أنّ لله خليقة قبل أنْ يقارن شيئاً منها بالفعل قلنا إنّما هما وجهان إمّا أنْ يكون الله وحده أزلياً وما سواه محدَثاً أو أنْ تزعم أنَّ البرية والخلائق أزلية أيضاً غير محدَثة فلا أحسبك إلاّ ناقضاً على مَنْ يصف الخلق بشيء من ذلك فإذَنْ لا محالة يُقال إنَّ الله وله الحمد قد كان من غير أن يكون شيء من الخلائق موجوداً فكيف جاز أنْ يوصف بأن له خليقةً إذْ لم يخلق بعد حتّى أتى الوقت الذي فيه شاء أنْ يخلق ما خلق فخلق فإنْ قلتَ من أجل أنه قادرٌ على أنْ يخلق إذا أراد وجب أن يُوصف بأن له خلقاً منذ الأزل قلنا يلزم على هذا أنه قد أقام القيامة وأحيى الموتى وبعث مَنْ في القبور وقد أدخل الجنة جميع الأبرار وملأ جهنّم بمَن كان مستوجباً لذلك منذ الأزل لأنه قادر على ذلك مع أنّي لا أظنّ أنَّ أحداً من العقلاء يقول بهذه الصّفة فينبغي أنْ نرجعَ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أصلحك الله إلى ما يوجبه العقل في المناظرة ونعلم أن الصّفات في الله تبارك اسمه وتعالى صفتان مختلفتان صفة طبيعية ذاتية لم يزل متَّصفاً بها وصفة اكتسبها له اكتساباً وهي صفة فعله فأمّا الصّفات التي اكتسبها اكتساباً من أجل فعله فمثل رحيم وغفور ورؤوف وأمّا الصفات المنزلة التي هي الصّفات الطبيعية الذاتيّة التي لم يزل جلّ وعزّ متَّصفاً بها فهي الحياة والعلم فإن الله لم يزل حياً عالماً فالحياة والعلم إذن أزليان لا محالة. فقد صحَّت نتيجة هذه المقدمات أنّ الله واحد ذو حكمةٍ وروح في ثلاثة أقانيم قائمة بذاتها يعمّها جوهر اللاّهوت الواحد فهذه هي صفة الواحد المثلث الأقانيم الذي نعبده وهذه الصّفة التي ارتضاها لنفسه ودلّنا على سرِّها في كتب ديوانه المنزلة على ألسن أنبيائه ورسله فأوّل ذلك ما ناجى به موسى كليمه حيث أعْلمه كيف خلق آدم فقال في السفر الأول من كتاب التوراة « في البدء الآلهة[1] بَرَاَ السّموات والأرض » فبهذا يشير الكتاب المقدس إلى تثليث الأقانيم ووحدة الطبيعة لأنه بقوله الآلهة بصيغة الجمع يشير إلى الأقانيم الثلاثة وبقوله بَرَاَ بضمير المفرد يشير إلى وحدة الطبيعة والجوهر الذي هو الأقانيم الإلهية الثلاثة وقال أيضاً في هذا السفر إن الله قال عند خلقه آدم « نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا » ولم يقل عزَّ وجلّ أعمل على صورتي وشبهي. وقال تبارك

(١) لأنَّ الأصل العبراني (ألوهيم) وهي تفيد الجمع وحيث أنَّ الجمع العبراني لا ينطبق على الجمع العربي قد تُرجم في ترجمة سنة ١٩٨٦ بصيغة المفرد هكذا « في البدء خلق الله السّموات والأرض ».

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وتعالى في الإصحاح الثاني من هذا السفر عندما أراد أنْ يخلق حواء « لا يحب أن يكــون آدم وحده فلنجعل[1] له معيناً مثله » ولم يقلْ اجعل وقال جلّ وعزّ أن آدم « قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا » توبيخاً له من أجل خطيته ومعصيته الوصية في أكله من ثمر الشجرة التي أمره الله ألاَّ يأكــل منها فعصاه وأكل فورث بذلك موت الخطية ولم يقلْ تبارك وتعالى مثلي. وقال عزَّ وجلَّ فــي موضع آخر أيضاً من هذه السّفر « هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ » وذلك أنّهم اجتمعوا ليَبْنــوا صرحاً يكون رأسه في السماء ففرَّق الله ضعف رأيهم وقلة عقولهم في ما فكروا فيه من بنــاء صرحٍ شامخٍ يصير لهم ملجأً ومهرباً من الطوفان إذا جاءهم مرّة أخرى والله تبــارك وتعــالى عالمٌ أنَّه قد كان عاهد نوحاً أنَّه لا يأتي الطوفان مرةً أخرى على وجــه الأرض وكــان بنــاء هؤلاء والفكر فيه سخفاً وسفهاً فغير ألسنتهم ليتعطلوا عن إنفاذ فكرهم الذي لا معنى له ولم يقلْ أنزل فأبلبل. فهذا ما ناجى الله به موسى فخبَّرنا بهذا السرّ في الأقانيم الثلاثة عــن الله تبــارك وتعالى أفترى لنا أصلحك الله أنْ ندع كلام الله عزّ وجلّ والسرَّ الذي أودعــه موســى نجيّــه وتصحيح موسى ذلك بالعلامات العجيبة والآيات الباهرة التي لا يمكّن أحداً مــن الآدميــين أنْ يأتي بمثلها وتصريحه لنا هذا التصريح عن تعليم الله له ونقبل قول صاحبك بلا حجةٍ ولا آيــةٍ ولا أعجوبةٍ ولا دليل واضح ولا برهان ساطع حيث يقول إن الله فردٌ صمد ثم يرجع فينــاقض قوله ويقول إن له روحاً وكلمة فهو قد وحَّد وثلَّث من حيث

(١) هكذا بالعبراني معناه وفي الترجمة الحالية فاصنع بصيغة المفرد على ما علمت.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لم يعلم وما أظنك ترى ذلك صواباً إذا أنت أنصفتنا. ودانيال النبي يخبرنا في كتابه أنّ الله قال لبختنصر لك يقولون يا لوخذ نصر ولم يقل لكَ أقول. وفي كتابك أيضاً شبيه بما ذكرنا من قول موسى ودانيال عن الله تعالى فعلنا وخلقنا وأمرنا وأوحينا وأهلكنا ودمرنا مع نظائر لهذه كثيرة أَفيشكّ أحدٌ في أن هذا القول قول شتى لا قول فرد فإنْ ادَّعيت أن العرب قد أجازت هذا القول واستعملته في كلامها ومخاطبتها تريد به التفخُّم قلنا لك أيها الملفق للكلام أنه لو كانت العرب وحدها هي التي ابتدعته كان لك في كلامك تعلّق فأما إذْ قد سبق العرب العبرانيون والسريانيون واليونانيون وغيرهم من ذوي الألسنة المختلفة على غير تواطؤ فليس ما وصفت من إجازة العرب ذلك حجّة مع أنه من أين أجازت العرب هذا فإن قلتَ بلى قد أجازته حيث يقول الرجل الواحد منهم أمرنا وأرسلنا وقلنا ولقينا وما أشبه ذلك نقول لك إن ذلك صحيح جائز في المؤلَّف من أشياء مختلفة والمركَّب من أعضاء غير متشابهة لأن الإنسان واحد كثيرة أجزاؤه فأول أجزاءٍ من الإنسان النفس والجسد والجسد مبني من أجزاء كثيرة وأعضاء شتى، فلذلك جاز له أنْ ينطق بما وصفتَ من قلنا وأمرنا وأوحينا إذْ هو عدد واحد كما ذكرت فإن قلت إن ذلك تعظيمٌ لله جل وعزّ وإجلال له وتفخيم أنْ يقول أرسلنا وأمرنا وأوحينا قلنا لك لعمري لو لم يقلْ ذلك من ليس بمستحقٍّ للتعظيم لجاز قولك ولكن الله سبحانه وتعالى ليعلّمنا أنه واحد ذو ثلاثة أقانيم قد نطق بكلتا الصيغتيْن من أمرتُ وأمرنا وخلقتُ وخلقنا وأوحيتُ وأوحينا فإنَّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الأولى دليل على الوحدانية والثانية على تعدد الأقانيم وبيان ذلك قول موسى النبي عن الله تعالى في التوراة التي أنزلها ما معناه أن الله تراءى لإبراهيم وهو في موضع بلوطات ممراً جالساً على باب خبائه في وقت استحرار النهار فرفع إبراهيم عينيْه فرأى ثلاثة رجالٍ وقوفاً بإزائه فبادر إليهم واستقبلهم قائلاً: « يَا سَيِّدُ إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلا تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ » ألا ترى أن المنظور إليه من إبراهيم ثلاثة وأن المخاطبة مخاطبة شخصٍ واحدٍ فسمّاهم رباً واحداً وتضرع إليه سائلاً طالباً أن ينزل عنده. فعدّه الثلاثة سرّ الأقانيم الثلاثة وتسميته إياهم ربّاً واحداً لا أرباباً سرّ لجوهرٍ واحدٍ فهي ثلاثة بحق وواحد بحق كما وصفنا. ثم إنَّ موسى أخبر أن الله قاله له « اسمع يا إسرائيل، الرب إلهنا رب واحد » معنى ذلك أن الله الموصوف بثلاثة أقانيم هو رب واحد. وداود النبي يقول في المزمور الثالث والثلاثين عن الله تعالى « بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَوَاتُ وَبِنَسَمَةِ فَمِهِ كُلُّ جُنُودِهَا » فأفصح داود وصرح بالثلاثة الأقانيم حيث قال الله وكلمته وبنسَمة فهل زدنا في وصفنا على ما قال داود ثم إنَّه قال في موضع آخر في كتابه تحقيقاً بأن كلمة الله إله حقٌّ « لكلمة الله أسبّح » فإنْ كان داود عندك يسبّح لغير الله ما أظنك تقول هذا. ثم إنَّه يقول في موضع آخر من كتابه « مبارك الربّ يوماً فيوماً يحملنا إله خلاصنا ». أفداود كان يطلب أنْ يبارك عليه إله واحدٌ أم آلهة ثلاثة ولكنه رمز في كتابه إلى ذكر الثلاثة أقانيم أنها إله واحد. وقال إشعياء النبي المحمود من الله تعالى في الإصحاح الثامن والأربعين « لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنَ الْبَدْءِ فِي الْخَفَاءِ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

مُنْذُ وُجُودِهِ أَنَا هُنَاكَ، والآنَ السَّيِّدُ الرَّبُّ أَرْسَلَنِي وَرُوحُهُ » وهذا هو قولنا ثلاثة أقانيم إله واحد ورب واحد لم نخرج عن حدود كتب الله المنزلة ولم نزِدْ فيها ولم نُنقص منها شيئاً ولا بدّلناها ولا حرّفناها كادعائك علينا بالتحريف والتبديل ولسنا ندعْ مناظرتك في التبديل والتحريف بما يعلم به العاقل إذا نظر في كتابنا هذا إنك ظلمتنا فيه بل ظلمت الحقّ وادّعيت علينا فعلاً ولم نكن نفعله ولا ندع تقرير ذلك عندك فيما بعد إنْ شاء الله تعالى.

ولنرجع الآن إلى كلامنا ولا نخرج منه حتى نستوفيه ونوفيك الشّهادات من كتب الله المنزلة ومن ديوان أسراره المقدّسة على صحة قولنا وحقنا الذي بأيدينا وصدق منهاجنا ونستعين بالله على ذلك. ثم وصف إشعياء النبي أن الله عزّ وجلّ تراءى له والملائكة حافّون به مقدّسون له قائلين « قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ » (إشعياء ص ٦، ع ٣) فتقديس الملائكة ثلاث مرات واقتصارهم على ذلك بلا زيادة ولا نقصان سرٌّ لتقديسهم الأقانيم الثلاثة إلهاً واحداً وربّاً واحداً وهذا شأنهم منذ خُلقوا إلى أبد الآبدين بلا انقطاع لذلك ولا غاية ولا منتهى ولو شئتُ أنْ أسطّرَ عليك الشّهادات من الكتب المقدسة المنزَلة بالتصريح والاجتهاد في القول في أنَّ الله جلّ وتعالى واحد ذو ثلاثة أقانيم، لفعلتُ ذلك لكنني أكره التطويل فاقتصرت على ما كتبتُ ولما ذكرتَه من أنك درستَ كتبَ الله المنزلة حقّ دراستها فإنْ كنت قد درستها كما ذكرتَ فقد استدللْتَ بيسيرٍ ما كتبتُ به إليك على كثير ما في كتب الله المُنْزَلة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

من أسرار أقانيمه وتوحيده. فأنا أبقاك الله أدعوك بعد هذا الشرح والبيان الذي أوضحته لكَ وكشفته بين يديك وصح عندك وفي ذكرك ورضي به عقلك إلى عبادة هذا الواحد الذي قد شرحت لكَ كيف هو واحد ثلاثة وثلاثة واحد وليس كدعائك إياي إلى أمرٍ مدغمٍ مبهمٍ مجهولٍ غير معقولٍ. فاستعمل أنار الله عقلك وقلبك ما ضمنته عن نفسك فإنَّ الوفاء من الله بمكان أو ينبغي لك أصلحك الله أنْ تميّز الكلام وتعالم كيف مخارجه ولا تعسف معانيه. وليس دعائي إياك إلاَّ إلى الله الواحد الذي هو ثلاثة أقانيم كامل بكلمته وروحه واحد ثلاثة وثلاثة واحد. ومن هذه الجهة ليس هو ثالث ثلاثة كما شنَّع في القول علينا صاحبك إذْ قال ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ واللهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (مائدة) فهذا قول صاحبك. ولقد كنتُ أحب أكرمك الله أنْ أعرفَ مَنْ هؤلاء الذين يقولون إنَّ الله ثالث ثلاثة أَمِنْ فِرق النصرانيّة هم أم لا وأنت قد ادّعيت معرفة الفِرق الثلاث وهي لعمري الفِرق الظاهرة فهل تعلم أن أحداً منهم يقول إن الله ثالث ثلاثة فما أظنك تعرفه ولا نحن نعرفه أيضاً اللَّهم إلاَّ أنْ يكون أراد صفاً يُسمَّون المركيونية فإنهم يقولون بثلاثة أكوان يسمّونها آلهة متفرقة فواحد عادل وآخر رحيم وآخر شرير وليس أولئك نصارى ولا يُسمّون بهذا الاسم فأمّا أهل النصرانية فكل منْ ينتحل هذا الاسم فهو بريء من هذه المقالة جاحد لها، كافر بها. وإنّما قولهم إنّ الله واحد ذو كلمة وروح من غير

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

افتراق وقد أقرَّ صاحبك بهذا إذ حثَّكم على الإيمان بالمسيح سيد العالم ومخلّص البشر وأمركم بذلك ودعاكم إليه بقوله ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلا تَقُولُوا عَلَى اللهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَآمِنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَيْراً لَكُمْ إِنَّمَا اللهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ ﴾ (نساء).

فافهمْ كيف أوجب أنَّ الله تباركَ وتعالى ذو كلمة وروحٍ وصرّح بأن المسيح كلمة الله تجسدت وصارت إنساناً فهل يكون من البيان والشرح أو من الإيضاح والتصريح أكثر من هذا. ثم ختم بقوله: ولا تقولوا ثلاثة آلهة أو يتوهم ذلك عن الله جلّ وعزّ بل انتهوا عنه فإنّه لعمري خير لكم ألاَّ تقولوا بمقالة مركيون الكلب الجاهل إنهم ثلاثة آلهة. فقد شرحتُ لك أكرمك الله كيف مذهبنا ومعنى قولنا إن الله واحد ذو كلمة وروح واحد ذو ثلاثة أقانيم وقد أوضحته إيضاحاً يكون فيه ذلك ولكل من نظر في جوابنا كفايةً ونفعٍ إذا لطف النظر ودقق الفكر ونصح لنفسه إنْ شاءَ الله تعالى.

فلنرجع الآن إلى الباب الآخر من كتابك ونجيبك عنه فأقول قد فهمتُ ما دعوتَني إليه من الشهادة لصاحبك والإقرار بنبوَّته ورسالته وما عظَّمتَ من أمره فأمّا تعظيمك إياه وتفخيمك أمره فلسنا نجادلك فيه ولا نرده عليك وليس عندنا فيه إلاّ تسليمه لك والسّكوت عنك إذْ كنت أَوْلى الناس بقرابتك وقرابتك أَوْلى الناس بك وإنّما نحن مناظروك فيما دَعوْتنا إليه من الإقرار بنبوَّته بأنّ ذلك حقٌ واجبٌ. فإنْ كان ذلك حقاً واجباً فليس ينبغي لنا ولا لأحدٍ ذي عقل أن يمتنع

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أو يمتعض من قبوله فإنّه لا يمتنع من الإقرار بالحقّ إلاّ ظالم معتدٍ أو جاهل بمعرفة قدْر الحق وإنْ كان ذلك غير الحقَّ فلا ينبغي لك أنْ تقيم على غير الحق فكيف تدعونا إليه فإنك إذا فعلت هذا كنت ظالماً لنفسك أولاً ثم متعدّياً على من تدعوه إلى غير الحّق فلنطرح الآن من بيننا العصبيّة ولنفحص عن أول قصة صاحبك هذا الذي تدعونا إلى الإقرار له بالنبوة ونشرحها من أولها إلى آخرها ونختبرها اختباراً شافياً أو نتناظر فيها مناظرة إنصافٍ كي لا نميل إلى الهوى الذي يرى بعينِ الغرض والجور. فإنَّ هذا أمرٌ جليل الخطب، عظيم القدر، شريف المنزلة، وعلى حسب ذلك يجب أن يكون النظر فيه والبحث عنه بتَأنٍّ وتَرَوٍّ.

ألستَ تعلم أكرمك الله ونحن معك أنَّ هذا الرجل كان يتيماً في حِجْر عمّه عبد مناف المعروف بأبي طالب الذي كفله عند موت أبيه وكان يعوله ويمنع عنه وكان يعبد أصنام اللاّت والعُزّى مع عمومته وأهل بيته بمكة على ما حكى هو في كتابه وأقرَّ به على نفسه حيث قال ﴿ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيماً فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى ﴾ (ضحى) أفلا ترى أنَّه أوجب بهذا القول الإقرار بأنَّه كان يتيماً فآواه وضالاً فهداه وعائلاً فأغناه. ثم نشأ في ذلك الأمر حتى صار في خدمة عِيرٍ لخديجة بنت خويلد يعمل فيها بأجرة ويتردّد بها إلى الشّام وغيرها إلى أنْ كان ما كان من أمره وأمر خديجة وتزوُّجه إياها للسبب الذي تعرفه. فلمّا قوَّته بمالها نازعته نفسه إلى أنْ يدَّعي المُلك والترؤُّس على عشيرته وأهل بلده فرأى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ذلك غير منتظم له ولم يتبعه عليه إلاّ قليلٌ من الناس بعد المواربة المجحفة وأنت أكرمك الله عالم بمرارة أنفس قريشٍ وشدّة إبائها لمثل هذا وشبهه من الضيم فعندما أيس مما سوّلت له نفسه ادَّعى النبوَّة وأنه رسولٌ مبعوثٌ من رب العالمين فدخل عليهم من بابٍ لطيف لا يعرفون عاقبته ولا يفهمون كيف امتحان مثله ولا ما يعود عليهم من ضرر منه وإنمّا هم قوم عرب أصحاب بدوٍ لم يفهموا شروط الرسالة ولم يعرفوا علامات النبوة لأنه لم يُبعَث فيهم نبي قطّ وكان ذلك من تعليم الرجل الملقِّن له الذي سنذكر اسمه وقصته في غير هذا الموضع من كتابنا وكيف كان سببه ثم إنّه استصحب قوماً فراغاً أصحاب غاراتٍ ممن يصيب الطريق على سُنَّة البلد وعادة أهله الجارية عندهم إلى هذه الغاية فانضمَّ إليه هذا الضرب وأقبل يبثث الطلائع ويدسس العيون ويبعث إلى المواضع التي ترِد القوافل إليها من الشام بالتجارات فيصيبونها قبل وصولها فيُغِيرون عليها ويأخذون العِير والتجارات ويقتلون الرجال. والدليل على ذلك أنّه خرج في بعض أيامه فرأى جِمالاً مقبلةً من المدينة إلى مكة وكانت الجمال لأبي جهل بن هشام ويُسمِّي ذلك غزواً على سبيل ما تُسمّيه أعراب البادية إذا أخرجت للغارة على السابلة وإصابة الطريق وكان أوّل خروجه من مكة إلى المدينة بهذا السبب وهو حينئذٍ ابن ثلاث وخمسين بعد أن ادّعى ما ادّعاه من النبوّة بمكة ثلاث عشرة سنة ومعه من أصحابه الذين قد ألفوا معه ولصقوا به أربعون رجلاً وقد لقي كل جهدٍ كل أذى من أهل مكة لأنّهم كانوا به عارفين فأظهروا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

له طرده لادّعائه النبوة وعقد باطنهم لما صح عندهم من إصابته الطريق. فصار مع أصحابه إلى المدينة وهي يومئذٍ خراب يباب ليس فيها إلاّ قوم ضعفاء أكثرهم يهودٌ لا حِراك بهم فكان أول ما افتتح به أمره فيها من العدل وإظهار صفة النبوة وعلامتها أنه أخذ المربد الذي للغلاميْن اليتيميْن من بني النجار وجعله مسجداً. ثم أنه بعث أول بعثة حمزة بن عبد المطلب في ثلاثين راكباً إلى العيص من بلد جهينة يعترض عِير قريش وقد جاءت من الشام فلقي أبا جهل بن هشام في ثلاثمئة رجلٍ من أهل مكة فافترقوا لأن حمزة كان في ثلاثين فخاف لقاء أبي جهل وفزع منه، فلم يكن بينهم قتال. فأين شروط النبوّة أصلحك الله في هذا الموضع من قول الله تبارك وتعالى في التوراة المنزلة من عنده لموسى حيث وعده أنْ يدخل بني إسرائيل الذين أخرجهم من مصر إلى أرض الجبابرة المُسمّاة أرض الميعاد وهي أرض فلسطين والشّام أنَّ الواحد يهزم ألفاً والاثنين يهزمان جيشاً لما ألقيت في قلوبهم من الفزع والرعب وكذلك فعل جلّ وعزّ بهم على يدي يشوع بن نون المتولّي إدخال بني إسرائيل أرض الميعاد ومحاربة أهل فلسطين. فهذا أكرمك الله حدُّ ما يُطالَب به في هذا الموضع من علامات النبوّة والرسالة لصاحبك. فلنرجع الآن إذْ ليس عندك في هذا جواب وكنت من ذلك صفراً مفلجاً أنت وجميع من يعتقد مثلك مقالتك فنقول إمّا أنْ يكون حمزة هذا رسول نبيٍ مبعوث وهو عمّه وعن أمره خرج ومعه ثلاثون راكباً وهو على حقٍ عند نفسه فانحاز فرَقاً من أبي جهل وهو كافر مشرك وإنّما معه

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ثلاثمئة رجل كفار مشركين عبّاد أوثان ولم يحاربه بل سالمه أو يكون هذا خلاف ما تدّعيه أنت أنه نبيّ مرسَل وأنّ الملائكة تؤيده وتقاتل دونه كما كانت تقاتل مع يشوع بن نون فإنه رأى ملكاً[1] في زيّ فارس فلم يعرفه يشوع فقال له أَمِنْ أصحابنا أنت أم من أعدائنا فقال له الملك أنا عظيم جيوش الرّبِ والساعة أقبلت، فخرَّ يشوع بوجهه على الأرض ساجداً وقال: « بماذا يأمر السيدُ عبدَه » فقال رئيس جيوش الرب « انْزع خفيك مِنْ قدميك، لأَنَّ الْمَكَانَ الَّذِي أَنْتَ فيه مَكانٌ مُقَدَّسٌ » فَفَعَلَ يَشُوعُ ذلِكَ. وفي هذا القول من الملك ليشوع سرٌّ ليس هذا موضعه وكان يشوع وقتها محاصراً أريحا فلمّا أتى على ذلك سبعة أيام فتح يشوع أريحا على غير عقد ولا عهد فقتل كل من كان فيها من ذكرٍ وأنثى كما أمره ملك الربّ فما أظنك أيدك الله أنك تجد في ذلك جواباً لأنك خلو من ذلك. ولنذكر أيضاً غزوة صاحبك الثانية لعله يكون لك فيها أدنى جواب. ثم بعث في الثانية كما علمت عُبيدة بن الحارث بن المطلب في ستين راكباً ليكون ضعف العدة الأولى فيقوّي قلوبهم إلى بطن رابغ بين الأبواء والجحفة، فلقي أبا سفيان بن حرب، وأبو سفيان في مايتي راكب فكان بينهم من الدماء ما قد علمت ثم رجعوا فما رأيت أحداً من الملائكة أعانهم على أمرهم بشيء وقد شهدت أنت أنَّ جبرائيل كان في صورة رجل راكب رمكة شهباء عليه ثياب خضر وقد ركب فرعون بجنوده على أربعمائة ألف حصان في طلب بني إسرائيل فلمّا توسط بنو إسرائيل البحر قحم

---

(١) قابل يشوع ١٣: ٥ ــ ١٥.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

جبرائيل في أثرهم قائلاً قدم خير فتبعته الخيل التي كان عليها فرعون وأصحابه، فنجا بنو إسرائيل وغرق فرعون وأصحابه. هذه شهادتك وإقرارك ببعض علامات موسى النبي التي أتى بني إسرائيل وأنت صاحبك خلو من هذا كله. ولا بدّ لنا أنْ نأتيك بالثالثة فاصبر لها طائعاً أو مكرهاً. ثمَّ بعث سعد بن أبي وقاص إلى الخرار خارج الجحفة في عشرين رجلاً فورد الموضع وقد سبقته العِير قبل ذلك بيوم ففاته أمله ورجع خائباً من رجائه. فهذه أكرمك الله خلاف آيات النبوة وعكس ما فعله نبي الله صموئيل بشاول ولست شاكاً في معرفتك بالقصة على ما حكيت أنك عارفٌ بالكتب المنزلة دارسٌ لها حقَّ دراستها وذلك أن قيساً أبا شاول غارت له أتن فوجَّه ابنه شاول في طلبها وصار شاول إلى صموئيل النبي فقال له في بعض قوله ما معناه وهو يخاطبه قبل أنْ يعلمه ما جاء لأجله أمّا الأتُن فرجعت إلى بيت أبيك وأمّا أبوك فقد شغله الاهتمام بغيبتك عن الأتن. فهكذا تكون شروط النبوة أصلحك الله التي هي علم الغيب الماضي وعلم الغيب المستقبل فتخبر الأنبياء عنه وتذكر كونه قبل وقوعه وتعلم حدوثه قبل مجيئه بما يُظهر لهم الروح القدس معطي علم الغيب الذي هو نهاية الدّلالات على النبوات. وقد قال المسيح الربّ في إنجيله النّير الطّاهر المقّدس ما معناه إنّ الشهادة العادلة الصّادقة هي الكائنة من قِبَل رجلَيْن عَدْلين صادقيْن أو ثلاثة عدُول فتلك واجب قبولها وقد أنبأناك في فصل كتابنا هذا بثلاث شهادات عدل لك فيهن مُقنع. فلننظر الآن بعد الغزوات الثلاث التي خرج فيها هؤلاء النفر ومن خرج

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

معهم بأمر صاحبك فانصرفوا فزعاً. وخرج بنفسه مع أصحابه يريد عِيراً لقريش فانتهى إلى ودان فوافاه مَجْشيّ بن عمرو الضمري فلم يطقه ورجع صفراً. ثم خرج ثانياً إلى بواط وهي طريق الشام في طلب عيرٍ لقريش فيها أمية بن خلف الجمحي ورجع ولم يصنع شيئاً. ثم خرج ثالثاً إلى أنْ وصل إلى يَنْبُع في طلب عيرٍ لقريش أيضاً يريد الشام وهي العير التي كان القتال ببدْرٍ بسببها في رجعتها فرجع صفراً ولم يصنع شيئاً. فأنْصِف أصلحك الله في هذه المواضع وأنت أهل لذلك إنْ كان صاحبك نبياً كما تدّعي، فما للأنبياء وشنّ الغارات والخروج لإصابة الطرق والتعرُّض لأخذ أمتعة الناس. وما الذي ترك صاحبك هذا للّصوص وقطاع الطريق. وما الفرق بينه وبين أتابك الحزّمي هذا الذي تناهى إلى سيدنا أمير المؤمنين وإلينا خبره بما عمل وارتكب من ظلم الناس. فأحببنا أنْ يكون عندك في هذا جواب واضحٍ. وإنّي لأعلم أنّه لا جواب عندك ولا عند غيرك ممن اعتقد مثل اعتقادك كما لم يكن عندك في غيره مما سلف. ثم لم يزل كذلك إلى أنْ وجد القوم الذين خرج في طلبهم في ضعف فاسْتاق عِيرهم وأخذ تجارتهم وقتل من أمكنه قتله من رجالهم وإنْ وافاهم وهم في منعة وقوة انحاز عنهم وولى هارباً إلى أن مات. فكانت مغازيه بنفسه ستاً وعشرين غزوة سوى السّرايا التي كانت تخرج في الليل والسواري الخارجة نهاراً والبعوث قاتل منها في تسع غزوات والباقية كان يبعث فيها أصحابه. ثم أعجب من هذا في قُبْح الأحدوثة والشّناعة في الفعل والفظاظة توجيهه إلى واحدٍ واحداً يقتله بالغِيلة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

كتوجيهه عبد الله بن رُواحة لقتل أسير بن دارم اليهودي بخيبر فقتله غيلةً وكبعثه سالم بن عمير العمري وحده إلى أبي عفك اليهودي وهو شيخ كبير ما به حراك فقتله بالغيلة ليلاً وهو نائم على فراشه آمناً مطمئناً واحتجَّ بأنه كان يعيبه فأعلمنا أكرمك الله في أيّ كتابٍ قرأت هذا، وأي وحيٍ نزل عليه به ومِن أي حُكم حَكم على مَن أعاب أنْ يُقتل فقد كان في تأديب هذا الشيخ على ذنبه شيء دون القتل وخاصة ليلاً وهو نائم مطمئن آمن على فراشه فإنْ كان أعابه بما كان فيه فقد صَدَق ولا يجب على من صدق قَتْل وإنْ كان كذب عليه في قوله فليس يجب على من كذب القتل بل يُؤدَّب لئلا يعود. وأنت تعلم أصلحك الله أنه ما ساغ لأحدٍ أنْ يؤذي الطير في وكرها ليلاً وهي آمنة مطمئنة فكيف إنسان يبعث إليه مَنْ يقتله وهو على فراشه لأنّه كان يعيبه أَلم يكن دون القتل شيء آخر. أمّا في أحكام الله فلا نجد هذا مطلقاً لأحدٍ ولا في أحكام العقل والطبيعة بل هذا لعمري فعل من الشيطان قديماً بآدم وذريته منذ نزل به ما نزل فأين قولك أصلحك الله إنه بُعث بالرحمة والرأفة للناس كافةً. وأما بَعْثه لعبد الله بن جحش الأسدي إلى نخلة وهو بستان ابن عامر في اثني عشر رجلاً من أصحابه ليأتيه بأخبار قريش، فلقوا بها عمرو بن الحضرمي في عير قريش وتجارة قد أقبل بها من اليمن فقتلوا عمراً واستاقوا العير إلى المدينة ولما وردوا أخرج عبد الله بن جحش مما أغار عليه هو وأصحابه الخُمس فدفعه إليه فهذا لا أقول إنّه حلال أو حرام حتى إذا ما نظر فيه العادل يقول ما يوجبه العدل والإنصاف وكذلك فعل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

في قينقاع حيث صار إليهم بغير ذنب ولا علّة إلاّ الرغبة في أموالهم فحاصرهم حتى نزلوا على حكمه واستوهبهم منه عبد الله بن أبيّ بن سلول فوهبهم له وأخرجهم إلى أذرعات بعد أنْ أخذَ أموالهم فقسمها بين أصحابه وأخذ هو الخُمس قائلاً هذا ما أفاء الله على نبيّه فليت شعري كيف طاب له هذا وبماذا استحلّ أنْ يأخذَ أموال قومٍ لم يؤذوه ولم يكن بينه وبينهم غلٍ وإنّما استضعفهم وكانوا كثيري الأموال فما هكذا تفعل الأنبياء ولا مَنْ يُؤمن بالله واليوم الآخر. وغير هؤلاء مّمن لا أحب تطويل كتابي بذكرهم فيملّ القارئ ويسأمه وفي ما وصفنا كفاية ليستدل به على غير من مناقبه فأما غزوة أحُد وما أُصيب فيها من كسر رباعيته السّفلى اليمنى وشقّ شفته وثلم وجنته وجبهته الذي ناله من عتبة بن أبي وقّاص وما علاه به ابن قميئة اللّيثيّ بالسيف على شقه الأيمن حتّى وقاه طلحة بن عبيد الله التّيمي بيده فقطعت إصبعه فهذا خلاف الفعل الذي فعله الربّ مخلّص العالم وقد سلَّ رجل بحضرته على رجل سيفاً فضربه على أذنه فاقتلعها فلمّا نظر المسيح مخلصنا إلى ذلك من فضله عمد إلى الأذن فَرَدَّها إلى موضعها فعادت صحيحة كالأخرى وإلاَّ حيث أصاب يد طلحة ما أصابها وقد وقاه بنفسه فلو دعا ربّه فردّ يده على ما كانت من صحتها لكانت هذه من إحدى علامات النّبوّة. وأين كانت الملائكة عن معونته ووقايته من كسر ثنيته وشق شفته ودمي وجهه وهو نبي من الأنبياء وصفيٌّ من الأصفياء ورسول الله كما كانت الأنبياء تُوقى من قبله كتوقية إيليا النبي من أصحاب أخآب الملك، ودانيال من أُسد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

داريوس وحنانيا وإخوته الفتية البررة من نار بختنصر وغيرهم من الأنبياء وأولياء الله سيّما ولم يخلقْ اللهُ جلّ اسمه آدم إلاّ لأجله ومكتوب اسمه على سرادق العرش كما تدّعون.

ولكننا ندع ذكر هذا الآن ونأخذ في قولٍ ثانٍ فنقول إنَّ صاحبك هذا وأفعاله خلاف قولك إنه بُعث بالرّحمة والرأفة إلى الناس كافةً لأنه كان الرجل الذي لم يكنْ له فكر واهتمام إلاّ في امرأة حسنة يتزوجها وقوم يُغير عليهم فيسفك دماءَهم ويأخذ أموالهم وينكح نساءَهم ويشهد على نفسه أنه حُبِّب إليه الطيب والنساء وأنّه من علامات نبوته أنه جعل في ظهره من القوة على النكاح مقدار قوة أربعين رجلاً فلعمري أنَّ هذا بعض آيات الأنبياء التي لا تكون إلاَّ في مثله فأمّا تلك الهنّات التي كانت بينه وبين زينب بنت جحش امرأة زيد فإني أكره ذكر شيء منها إجلالاً لقدر كتابي هذا عن ذكرها غير أني آتي بشيء مما حكاه في كتابه الذي يزعم أنَّه نزل عليه من السّماء إذ يقول: ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ واتَّقِ اللهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ واللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللهِ مَفْعُولاً مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ اللهُ لَهُ سُنَّةَ اللهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللهِ قَدَراً مَقْدُوراً ﴾ (أحزاب). ويكتفي كلُّ ذي عقلٍ من القصة بنموذجها إذْ لا يخيل[1] ذلك على المميزين. وكذلك هنّاته مع عائشة

(١) يشتبه.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وما كان من أمرها مع صفوان بن المعطل السلمي في رجوعهم من غزوة المصطلق بتخلُّفها عن العسكر معه وقدومه بها من الغد نحو الظهيرة راكبة على راحلته يقودها وما قذفها به عبد الله بين أبيّ بن سلول وحسان بن ثابت ومسْطَح بن أثاثة ابن خالة أبي بكر وزيد بن رفاعة وحمنة بنت جحش أخت زينب وتبليغ علي بن أبي طالب إليه كلام المتكلمين وعيب العائبين وأنَّ فيه مساغاً للقول والظنة وختم كلامه بعد التقريض والتعريض وهو كناية عن التصريح بالشيء قائلاً يا رسول الله لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثيرة فلم يلتفت إلى ذلك كله لشدة إعجابه بها لأنه لم يكن في من نكح من نسائه بِكْرٌ غيرها ولا أحدث سناً منها فكان لها من قلبه مكان وكانت خلابة[1] فرضي بما كان من ذلك الأمر كله وهذا كان سبب انعقاد تلك العداوة بين عائشة وبين علي إلى آخر حياتهما ثم ادّعى نزول براءتها في السورة المعروفة بسورة النور من قوله إن الذين جاءوا بالإفك عُصْبة منكم الخ فهذه القصة نعرفها كمعرفتك والخبر بها مستافضَ وعندنا مشروح مفسّر لا يجب كشفه وكانت نساؤه فيما يظهر كما قد علمت خمس عشرة حرّة وأَمَتيْن. أولهن خديجة بنت خويلد ثم عائشة بنت أبي بكر وهو عبد الله المعروف بعتيق بن أبي قحافة. وسودة بنت زمعة، وحفصة بنت عمر وهي التي كان بينها وبين عائشة تلك الهنّات العجيبة. وأم سلَمة واسمها هند بنت أبي أمية، وهي المخدوعة أم الأطفال التي زعم أنه يُذهب عنها الغيرة عندما امتنعت عليه واحتجَّت

(١) خداعة بلسانها.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بأنّها امرأة غَيْرَى وأنه يعول صبيتها لما اعتذرت أنها ذات صبية وأنها تخاف ألا يرضاه أهلها فضمن لها أن يكفيها ذلك حتى أجابت إليه ثم لم يفِ لها من ذلك الضمان بحرف واحد وهي التي نحلها جرَّتيْن ورحى ووسادة من أدم حَشْوها ليف فحصلت منه على الدنيا والآخرة. وزينب بنت جحش امرأة زيد التي بعث إليها نصيبها من اللحم ثلاث مرات فردَّته في وجهه فهجرها وهجر نساءَه بسببها وحلف أنّه لا يدخل عليهنّ شهراً فلم يصبر فدخل لتسعة وعشرين. وزينب بنت خُزيمة الهلالية وأم حبيبة واسمها رملة بنت أبي سفيان أخت معاوية. وميمونة بنت الحارث الهلالية. وجويرية بنت الحارث المصطلقية. وصفية اليهودية بنت حيي بن أخطب التي علّمها أن تفخر على نسائه عند تعييرهن إياها وتقول أنا التي هارون أبي وموسى عمي ومحمد زوجي. والكلابيّة وهي فاطمة بنت الضحّاك وقيل إنّها بنت يزيد عمرة الكلابية وحنة بنت ذي اللحية. وبنت النعمان الكِنْدية التي أنفت منه حين قال لها هبي لي نفسك فقالت وهل تهب المليكة نفسها للسوقة. ومليكة بنت كعب الليثية ذات الأقاصيص. ومارية أم إبراهيم ابنه. وريحانة بنت شمعون القريظية اليهودية. فهؤلاء نساؤه اللواتي كنَّ له، وأمَتَان. قال بولس رسول الحقّ رسول المسيح مخلِّص العالم ما معناه أنَّ الذي له زوجةً إنّما غايته أنْ يصرف عنايته إلى رضى زوجته والذي لا امرأة له فعنايته مصروفة إلى رضى ربّه وقد صدق وقوله الحق لأنه لا يحتاج أنْ يتشاغل بما يرضى امرأته وكما قال الربّ المسيح ما ترجمته لا يقدر العبد أنْ يخدم ربيْن في وقتٍ واحدٍ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ولا بدّ له من أنْ يلازم الواحد ويحتقر الآخر فإذا كان لا يمكن للرجل أنْ يخدمَ امرأةً واحدةً ويرضيها ولا يُسخِط خالقه فكم حريّ من يريد أنْ يصرف عنايته كلها إلى رضى خمس عشرة امرأة وأمَتين مع ما أنت عارف من شغله بغيرهنّ الذي كان منغمساً فيه من تدبير الحروب والتقدير على قتل الرِّجال وسبي الحريم وسلب الأموال وتوجيه الطّلائع وتعبئة الكراديس لإصابة الطرقات وشنّ الغارات فمتى كان يقع له مع الشغل الدائم المتصل بهذه الأمور الفراغ للصوم والصّلاة والعبادة وجمع الفكر وصرفه إلى أمور الآخرة وما شاكل ذلك من أعمال الأنبياء ولست أشك في أنه لا نبي قبله ابتدع مثل هذا ولكن فلندعْ الآن ذكر هذا ونأخذ في ذكر أعلام النبوة التي يجب معها الإقرار لمن أتى بها بأن يُسمَّى نبياً ورسولاً وننظر في ما أتى به صاحبك وهل يوافق أو يشبه شيئاً مما جاءت به الأنبياء ويشاكله وهل يجب علينا قبول ذلك منه أو ردّه عليه. فنقول إنّ النبي معناه المنبئ أي المخبر بالأمر الذي لم يكن أتى به مخبرٌ قبله فيخبر به قبل وقوعه أو بالأمر الذي كان ولم يُعرف كيف حدوثه وإنما يوثق بأخباره عن صحة ما يخبر به بالآيات التي تصدِّق حكايته وتشهد على صحة أخباره وذلك مثل موسى نبي الله الذي أخبرنا في السّفر الأول من التوراة المدعو سفر الخليقة كيف كان خَلْق السموات والأرض وما فيهما وكيف كان خلق آدم وحواء وما كان من قصتهما وقصة قابيل وهابيل وقوم نوح والطّوفان وقصة إبراهيم وولده. ولم يزل ينسق تلك الأخبار خبراً بعد خبر حتى انتهى إلى خبره وكيف تجلى الله له في

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

العوسجة ثم خبره مع بني إسرائيل وفرعون ومصر إلى أن توفاه الله ويخلط إنبائه ما وعد الله من إدخال بني إسرائيل أرض الميعاد وأنه مزمع أن يورّثهم أرض الجبابرة التي هي بلاد الشام وكان ذلك على ما ما أنبأ به وحقق ما أخبرنا به من الخبر الماضي بالآيات والأعاجيب التي فعلها فعلمنا أنه كان صادقاً بكل حكاياته وما جاء به عن الله عزَّ وجلَّ. فهذه شريطة المنبئ بما كان وما يكون من الأمور وعرفنا صدق ما قاله من الخبر المستقبل بصحة رأينا من وقوع الأمر وتمامه عند دخول بني إسرائيل أرض الجبابرة بالأيدي القوية فحصلت له بذلك شريطة المنبئ المخبر الذي لم يكن قبل حدوثه فقد وجب من هاتيْن الشريطتيْن أنَّ موسى نبي بالحقيقة. فأمّا المنبئ بالخبر الذي لم يكن قبل وقوعه فيكون ذلك على وجهيْن. إمَّا مع قرب الزمان وحضور الوقت وإمَّا على بعد الزمان وطول الأيام والدليل على ذلك تصحيحه الآيات والمعجزات والعجائب والجرائح التي هي أعلام النبوة إلى أنْ يصّحَ القول والإنباء مثل الذي تنبأ به إشعياء النبي لحزقيا الملك حيث ورد عليه سنحاريب ملكُ الموصل بجيشه فحاصره وكاتبه بما كاتبه به من البغي عليه والوعيد والاستطالة فشكا حزقيا ما دهمه به إلى الرب فأوحى الله إلى إشعياء النبي أني قد سمعتُ دعاء حزقيا فامضِ إليه وقلْ له يقول لك الربّ إله إسرائيل الليلة تكفي مؤونة سنحاريب فلمَّا كان تلك الليلة بعث الله ملكه فقتل من عسكر سنحاريب مئة ألفٍ وخمسة وثمانين ألفِ رجل مدجج. فلمّا أصبح سنحاريب ورأى ما نزل بأصحابه ولّى هارباً. ومثل قول إشعياء أيضاً لحزقيا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

حين كان مريضاً وقد أشفى، إنَّ الله قد أقالك من هذه المرضة وقد زاد في أجلك خمس عشرة سنةً ودليلك على ذلك أن الشمسَ راجعةٌ في مسيرها عشر درجات وكان ذلك كما قال النبي ورجعت الشمس وبرأ حزقيا من مرضه ذلك وما تُوفي إلاّ لتتمة خمس عشرة سنة فهذا إنباء مع آية ودليل في وقت واحد[١]. ومثله ما أنبأ به عن أمر الرّبِ المسيح السيد جلّ وعزّ أنّه يُولد من العذراء ويُدعى اسمه عمانوئيل تفسير ذلك إلهنا معنا[٢] وأنبأ أيضاً بأشياء كثيرة وأخبر بها على بُعد العهد وطول الأيام من خراب بيت المقدس وسبي بني إسرائيل إلى بابل وكان ذلك على بُعد العهد وتأخّره وصحّ كله وتم كما قال. ومثل ذلك ما أخبر به إرميا النبي عن خراب بيت المقدس أيضاً ودخول بختنصر إليه وهدمه إياه وسبيه بني إسرائيل ونقله إياهم إلى بابل وأنهم ماكثون ببابل في ذلك السبي سبعين سنة ثم يرجعون فيبنون بيت المقدس ويقيمون في مساكنهم فكان بعض ذلك وهو حاضر ثم تمت نبوته وظهر صدق قوله وصحة ما حكاه عن الله عزَّ وجلّ في ذلك الوقت عند تمام السبعين سنة التي حددها لمقامهم ببابل[٣] ومثلما تنبأ دانيال النبي عن رجوع بني إسرائيل إلى بيت المقدس وكان ذلك على ما حكاه وتنبأ لبيلشاصر الملك عن الرؤيا التي رآها بيلشاصر فخبَّره بالوحي عمّا كان مزمعاً أنْ يحل به فحل به ودانيال حاضر[٤] ومثلما

---

(١) قابل إشعياء (ص ٧) وأخبار الأيام الثاني.
(٢) قابل أشعياء (ص ٧).
(٣) قابل إرميا (ص ٣٥).
(٤) قابل خمسة إصحاحات من دانيال.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

تنبأ أيضاً على قتل المسيح وأنه لا تقوم لليهود بعد قتله قائمة وأنّهم يمزقون في البلاد كلَّ ممزقٍ ويبطل ملكهم وتضمحل رئاستهم وكان ذلك كما قال[1] وكذلك فعل جميع الأنبياء ومن استحق اسم النبوة بالحقيقة. وكذلك كانت الملوك والأمم يفعلون بمن ادّعى عندهم شيئاً من النبوّة لا يُقبل منه ذلك إلاّ بعد المحنة الشديدة والمناظرة الطويلة والمطالبة بالدليل والبراهين فمن جاء بدليل صحيح وبرهان واضح وحجة مقنعة قبلوا ذلك منه ومن لم يأتِ بشيء من هذا كذَّبوه ونكلوا به وإلاّ كان كلَّ من أتى بهذيانٍ أو بكلامٍ منثورٍ أو كهانة أو زجر أو قال كان داخلاً في جملة من تنبأ. وكانت الملوك تفعل ذلك بتوفيق الله. فأمّا المسيح الرب مخلِّص العالم فإنَّ قدْره يجلّ على النبوة لأن مرتبته أعلى وأشرف وأرفع من مرتبة الأنبياء فإنَّ الأنبياء عبيد الله تبارك وتعالى والمسيح هو الابن الحبيب كلمة الله الخالقة وهو الباعث الأنبياء والموحي إليهم والموجه الرّسل والمؤيد لهم بالكلمة المتجسدة فيه وقد تنبأ لليهود وللحواريين بما يدلّ دلاً قاطعاً على أنّه يعلم الغيب ويكتنه الضمائر وأنّه لا تخفي عليه خافيةً وأنّه خبير بالسرائر وبما هو مزمع أنْ يكونَ قبل كونه في الوقت الذي كان مقيماً معهم متردداً بينهم مثل قوله لهم وقد اجتمعوا حوله يرون بناء هيكل بيت المقدس ويعجبون من جودة بنائه وصحته وحسنه وتمامه: « اَلْحَقَّ اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ إِنَّهُ لا يبقى من هذا البناء حَجَرٌ عَلَى حَجَرٍ إلاَّ يُنْقَضُ[2] » ومثل إخبارهم بما هو

(١) قابل دانيال (ص ٩: ٢٦ ــ ٢٧).
(٢) قابل متى (ص ٢١: ٢).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

مصيبهم من البوار ونازل بهم من القتل والسبي فكان ذلك كقوله بعد صعوده ممجداً إلى السماء بأربعين سنة. ومثلما كان يخبرهم أيضاً بما في ضمائرهم وما يكتمونه في أنفسهم من تدبيرهم في قتله. ومثل قوله لتلاميذه وهم مقيمون في بيت المقدس إنَّ لِعَازَر صديقنا قد رقد. وكان لَعازَرُ هذا نازلاً في موضع يُعرف ببيت عنيا على فراسخٍ من بين المقدس فامضوا بنا نوقظه فقال له تلاميذه وقد كان اتصل بهم عظم مرض لِعَازَر أيّها السيد إنْ كان قد رقد فقد بَرأ على عادة المرضى أنهم إذا ناموا بعد السَّهر المقلق من شدة المرض فذلك دليل على عافيتهم فلمَّا لم يفهموا كلامه صرّح لهم القول معلناً أنَّ لِعَازَر صديقنا قد توفي فأنا ماضٍ لأبعثه حيّاً من بيت الأموات فمضى وهم معه فبعثه حياً ودفعه إلى أختيْه مريم ومرثا وذلك بعد أربعة أيام من موته[1] وكقوله لسمعان الصفا وقد قال لتلاميذه ليلة آخر عهدهم به أنَّ جميعكم في هذه الليلة يخذلني فقال له سمعان سيدي إنْ خذلك النّاس كلّهم فلا أخذلك أنا أبداً. فقال له السّيد المسيح الحق أقول لك ستجحد معرفتي الليلة ثلاث مرات قبل أن يصيح ديك فجزع سمعان لذلك جزعاً شديداً ونفر نفوراً عظيماً لقوله ذلك فلم يصحْ الديك في تلك الليلة حتى جحد سمعان معرفته ثلاث مرات في ثلاثة مواضع مختلفة حافظ بغليظ الإيمان على جحوده وإنكاره ونظر المسيح السيد إليه ففكر سمعان كلامه فبكى وندم على ما كان منه في جحوده وإنكاره (راجع متى ٢١).

---

(١) راجع يوحنا (ص ١١).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فهذه أصلحك الله شروط النبوةّ ودلائلها وعلاماتها. فعرّفنا هذا الذي أقررت لـــه بمـــا تنبأ وما نبوته التي ظهرت وبماذا استحقّ عندك أو عند غيرك اسم النبوّة ومـــا الـــدليل علـــى دعواه. فإنْ قلت إنّه أخبرنا بأقاصيص الأنبياء الذين كانوا قبله فـــي الزّمـــان السّـــالف كنـــوحٍ وإبراهيم وإسحٰق ويعقوب وموسى والمسيح وسائر الأولين الذين ذكرهم فـــي كتابـــه فجوابنـــا أكرمك الله الذي لا تقدر أنت ولا غيرك أنْ ينكره أو يدفعه هو أنّه إنّما أخبرنـــا بمـــا ســـبقت معرفتنا به ودرسته صبياننا وأطفالنا في المكاتب فإنْ ذكرت قصة عاد وثمود والناقة وأصحاب الفيل ونظائر هذه القصص قلنا لك هذه أخبار باردة وخرافات عجـــائز الحـــي اللّـــواتي كـــنّ يدرسنها ليلهنّ ونهارهنّ وليس ذكرها دليلاً على نبوته فقد سقطت عنه شريطة من الشريطتيْن اللتيْن توجبان النبوة. فإنْ قلت إنّه أخبر بما يكون قبل كونه ألزمناك توضيح ذلك لأن هذه نيف ومائتا سنة قد مضت منذ ذلك الوقت وكان يجب أن يصحَّ ويتحقق عندك شيء مما أخبرك أنه سيكون وأنت تعلم ونعلم بالحقيقة أنّه لم يأتِ في هذا الباب بشيء ولا نطق فيه بكلمة ولا تفـــوَّه بحرفٍ واحدٍ فسقطت عنه الشريطة الثانيّة من شريطتي النبوة وإذ قد خلا من الشريطتيْن اللتيْن توجبان اسم النّبوّة وأصفرَ[1] منهما وهما متضمنتان للآيات والعجائب الممتنعـــة فلننظـــر فـــي الآيات هل أتى من ذلك بشيءٍ فنقول إنّه زعم في كتابه أنَّه قيل له ﴿ وَمَـــا مَنَعَنَـــا أَنْ نُرْسِـــلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَلُونَ ﴾ (الإسراء). أيْ لولا أنْ يكذبوا بآياتك كما كذبوا

(١) الصفر بالكسر الخالي.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بالآيات التي جاءهم بها الأوّلون من قبلك لأعطيناك الآيات. فلعمري أنَّ هذا من الأجوبة الممتنعة عند منتقدي الكلام الناظرين في قوانين حدود المنطق وأنت تعلم أصلحك الله وكلُّ من يسمع هذا الجواب أنّ صاحبك أبرأ نفسه به من آيات النبوة لأنّه لم يقدر عليها وليس لمن مثلك في الإنصاف أنْ يعدلَ عن الحقّ. فإنْ ادّعيت أنَّ من الدلائل على نبوته ظفره وظفر أصحابه على ما كانوا عليه من القلَّة والضعف بملك فارس على عظمته وجلالة قدره وجودة تدبير أصحابه وحسن سياسة ملوكه مع كثرة العدد والسّلاح والرجال أجبناك بكلام اللهِ وقوله لبني إسرائيل[1] ليس لأنَّ الله أحبّكم أكثر من محبته لسائر الشعوب سلطكم على الأموريين والفرزانيين تقتلونهم وتخربون ديارهم وترثون بلادهم بل لآثام هؤلاء الشعوب وكثرة خطاياهم سلّطكم عليهم وأظفركم بهم. وكفعله ببيت المقدس أيضاً وقد أختاره من بين سائر الأرض كلها وأحلّ فيه اسمّه وأيده بالآيات والعجائب والجرائح المعجزة وأسكنه أنبياءَه المصطفين وكان يرتل فيه اسمّه بالتهليل والتّسبيح ليلاً ونهاراً وتستجاب فيه الدّعوات لأنه محلّ البركات فعندما طغى أهله وجعلوا لله أنداداً وغمطوا نعمه وجحدوا آياته وظنوا عند نفوسهم أنَّ الذي عمَّ فيه إنّما نالوه وصاروا إليه بأياديهم وقوتهم فقلَّ شكرهم لله جلّ اسمّه سلَّط عليهم شرّ خلقه وأرذلهم بختنصر عابد الصنم المشرك بالله عزَّ وجلَّ فقتل الرجال الذين كانوا أولاده وصفوته وخيرته من خلقه المعروفين بشعبه وسبى

---

(١) انظرْ تثنية (٩: ٤ ــ ٧).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ذراريهم وأخرب البيت الذي كان معروفاً باسمه ونقل الآنية التي كانت فيه إلى بابل النجسة بعبادة الأصنام. فهل تقول إنَّ بختنصر إنَّما ظفر ببيت المقدس وبلغ منه ومن أهله ما بلغ لأنه كان نبياً أم للسبب الذي ذكرناه آنفاً. فكذلك أيضاً كانت قصة صاحبك وأصحابه مع ملك فارس لأن أهل فارس كانوا مجوساً أنجاساً أرجاساً من أساقط الأمم وجهالهم يعبدون الشمس والنار وينكحون البنات والأخوات والأمهات وكانوا قد عتوا وعاندوا الحقَّ وتكبّروا فوق القدر بجهلهم وقلّة معرفتهم بأقدارهم وادّعوا الربوبية التي لم يجعلها الله لهم وابتذلوا نعمه كفراً وعدواً وسعوا في الأرض فساداً وظلماً وارتكبوا العظائم وتوهموا أنّ الذي هم فيه إنّما هو من صحة تدبيرهم وكثرة قوتهم وشدة نجدتهم وبطشهم فسلبهم الله نعمته وسلّط عليهم من أخرب بلادهم وقتل رجالهم وأخلى مساكنهم منهم وسبى ذراريهم ونهب أموالهم فلمْ يبقَ لهم امرأة إلاّ نُكحت ولا ولد إلاّ اُستعبد وبادوا بسخط الله ورجزه كذلك يفعل الله بالقوم الظالمين.

فلنرجع الآن إلى ذكر الآيات الموجبة لكل من أظهرها صحة ما يُدعى من نبوّة أو رسالة عن الله تبارك وتعالى وننظر في ذلك نظراً شافياً فنقول أمّا كتاب صاحبك الذي ادّعى أنّه منزل عليه من عند الله فليس فيه شيء من ذكر الآيات بل كما قلنا آنفاً زعم أنَّه لولا أنّهم كذبوا بآيات الأنبياء الأولين لأتاه الله الآيات ولكنّه كره أنْ يؤتيه بشيء منها فيكذّبون به. ولعمري أهذه حجة مقنعة وجواب صحيح يجوز عند ذوي العقل ويرضى به العلماء والفلاسفة والمنتقدون

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

للكلام والباحثون عن الأصول والأخبار فهذا ما شهد به كتابه. نعم إنَّ الأولين من اليهود كذبوا بآيات الأنبياء وردُّوها وأما الأعراب فبآيات من كذَّبوا ولم يُبعث فيهم نبي قطّ ولا وُجِّه إليهم رسولٌ لا بآية ولا بغير آية. ولعلّه لو كان جاءهم بشيء من الآيات لكانوا صدقوه ولم يكذبوه ألم ترَ أنَّ كثيرين منهم أجابوا دعوته ولم يروا منه آيةً ولا سمعوا عنه أعجوبةً ولكن أنت تعلم حفظك الله أنَّ هذه حجة مبهرجة تتلاشى عند المحن. فأمّا غير الكتاب فقد وجدنا لكم أخباراً وقصصاً هي كخرافات العجائز منها زعمهم أنّه كان من آياته العجيبة أنّه وقف بين يديه ذئب فعوى وبكى فالتفت إلى أصحابه قائلاً لهم هذا وافد السباع فإنْ أحببتم أنْ تفرضوا له شيئاً لا يعدوه إلى غيره وإنْ أحببتم تركتموه وتحرَّرتم منه قالوا ما نطيب له بشيء فأومأ إليه بأصابعه الثلاث أن خالسهم فولَّى وهو غائل. فهذه لعمري آية عجيبة لم يسمع السّامعون بمثلها قطّ ولم يرَ الراؤون أعجب منها تضلّ عندها عقول الفلاسفة والحكماء وتتحير منها العلماء وذوو الحيل والفطن الدقيقة أنّه عرف عواء الذئب وأنّه وافد السباع فليت شعري لو كان قال لهم إنّ هذا الذئب رسول رب العالمين إليه مَنْ كان يردُّ عليه قوله فواضح أنَّ هذا الخبر يا أخي وضعه لقوم لا محنة لهم ولا منتقد باحث فيهم. ومنها زعمهم أنَّ الذئب كلم أهبان بن أوس الأسلمي فأسلم ولو ادّعى أنَّ أهبان ذكر أنّ الأسد كلَّمه لكان عندي أعجب على أنّه ساوى بينه وبين نفسه فيهما بل فضَّله على نفسه إذْ الذئب معه عوى فادَّعى معرفة ما قال في عوائه إنّه وافد السباع

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فأمّا أهبان فزعم أنّ الذئب ناطقه بلسانٍ عربي والأعجب في ذلك أنَّ هاتيْن الآيتيْن لم تجريا إلاّ بواسطة الذئب الذي يُعرف بالخاطف من السّباع وهذا لقبه في كتب الله المنزلة. فمثلك أيدك الله لا يحيل[1] عليه مثل هذا الكلام وليست لنا حاجة إلى الإطالة فيه وكذلك قصة ثور دريخ وادّعاءهم مخاطبته دريخاً عندما ضربه إياه. وكتابه يشهد أنّ الأعراب أشدّ كفراً ونفاقاً. وأمّا شاة أم معبد ومَسْحه يده على ضرعها وما يلي ذلك من الخرافات الأخرى كدعائه الشّجرة فأسرعت إليه مقبلةً مجيبةً تجهد في الأرض فهذا أمر نؤخّره إذْ فيه نظر مع أنَّ أكثر المسلمين الراسخين في العلم لا يقبلونه بل يردّونه لا يصححونه. وكذلك السمّ الذي سمَّته به زينب بنت الحارث اليهودية زوجة سلاّم بن مشكم اليهودي في شاة مصلية أيْ مشوية فكلَّمته الذراع وأكل معه بِشرْ بن البراء بن معرور فمات وإنّ السمّ الذي لم يزل يدب في بدنه كان سبب موته. فليت شعري هل هو سمع الكلام من الذراع وحده أم سمعته الجماعة الذين كانوا بحضرته فإنْ كان سمعه هو وحده فلِمَ لم يمنع ابن البراء من أكل طعامٍ مسمومٍ حتى لا يموت وابن البراء رجل من أصحابه اختصَّه بالأكل معه وكيف استحلّ ذلك واستجاز كتمان قول الذراع له إنّها مسمومة وإنْ كان سمع ذلك من الذراع جميع من حضر فكيف لم يمتنع ابن البراء من الأكل وهو يسمع الذراع تقول لا تأكل مني فإني مسمومة وكيف امتنع هو من الأكل وترك ذلك الشقيّ يأكل من طعامٍ مسموم فقتله.

---

(١) من الاحتيال.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فليس يخلو هذا من أحد وجهيْن إمّا أنْ يكون سمعه هو وحده وكتم ذلك غدراً وإمّا أنْ تكون الجماعة سمعوه فلم يمتنع ابن البراء من ذلك الأكل حيث سمع ولا يموت وحيث مات ابن البراء من أكله السمَّ ولعلّه إنّما أكله ثقةً منه بأنّه يأكل مع نبيّ مُستجاب الدعوة ورسول رب العالمين مشفَّع عند ربه في جميع ما سأله لِمَ لَمْ يَدْعُ ربّه فيجيبه كعهدنا بالأنبياء المشفعين في إحياء الموتى فإنّ إيليا النبي قد أحيا ابن الأرملة بصرفة (ملوك أوّل ١٧) وهكذا أليشع تلميذ إيليا قد أقام ابن الشونمية من الموت حياً (ملوك ثانٍ ٤). وقد فعلت الأنبياء مثل هذا مراراً كثيرة وهم أحياء. وفعلت أيضاً القوة الحالّة في عظامهم كفعل عظام أليشع النبي حيث وُضع الميت عليها فعاش (ملوك ثانٍ ١٣). وأنت تعلم أنَّ هذا خبر صحيح في كتب الله المنزلة قرأته في سفر كتب الملوك مفسراً ليس فيه اختلاف بين النصارى أصلاً ولا بين اليهود وهما ملتان مختلفتان اجتمعنا نحن وهم على صحة ذلك. وكيف لم يأكل هو منها أيضاً ولم يصبه شيء فيكون ذلك آيةً له وشاهداً على صحة ما يدّعي من النبوة إنْ كان نبياً كما تقول لأنَّ الأنبياء بأسرهم موقون معصومون بالوقاية الحالّة عليهم من الله جلّ ثناؤه من الآفات التي تحتال الكفرة بها عليهم وعلى أولياء الله كقول الرّب المسيح لتلاميذه في إنجيله المقدّس ووعده لهم بما وفى لهم به إذْ يقول ما معناه إنْ أنتم شربتم السمَّ القاتل لم يضرّكم يعنى إذا أردتم إظهار دعواكم وما يعرفه الناس منكم من بشارتي كان ذلك جائزاً مطلقاً فقد كانوا يُمتحنون بمثل هذا وشبهه فتظهر صحّة دعواهم على المحنة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

والتجربة فانقادت لهم الملوك الجبابرة والعلماء الفلاسفة والحكماء أصحاب الحيل والقضاة بلا سوطٍ ولا عصا ولا سيف ولا رمح ولا عشيرة ولا ناصرة ولا حكمة دنيوية ولا فصاحة بدعة ألفاظ ولا حذقٍ بحجة ولا ترغيب في شيءٍ ولا تسهيل في شريعة بل لما كانوا يرون من إظهارهم الأفعال المعجبة التي يمتنع إمكانها في عقول الآدميين فكانوا يرفضون ملكهم وعتوهم ويدعون فلسفتهم ويزهدون في علمهم وحكمتهم ويخرجون عن نعمهم وإيثارهم ويتعبون أناساً فقراء الظاهر صيادي سمك وعشّارين لا حسب لهم ولا نسب غير انتهائهم إلى طاعة المسيح الذي أعطاهم السّلطان والقدرة على أفعال تلك العجائب. فهذه أصلحك الله دلائل النّبوّة وعلامات الرّسالة وصحة الدعوة إلى الله تعالى لا ما يدعيه صاحبك مما لا حقيقة له. وأمّا الميضأة وخبرها وأنّه أدخل يده فيها ففاض منها الماء حتى شربوا وشربت دوابهم فالخبر بذلك جاء عن محمد بن إسحٰق الزّهري وأمرها ضعيف عند أصحاب الأخبار ولم يجتمع أصحابك على صحته فكيفما أردت فأخبار صاحبك أصلحك الله ليس ينساغ منها شيء ولا يستوي ولا تصحّ دعوة واحدة مما سواها على أنَّه قد سبق فقطع الدعاوي وحذف ذكر الآيات بتةً فسقطت دعوى من ادّعى له آية وإنما بعث بالسيف زعم[1] تصليباً وأنَّ كلّ مَنْ لم يقرّ أنَّه نبيٌّ مرسلٌ قتله أو يؤدي الجزية ثمناً لكفره فيدعه فهل تريد أصلحك الله دليلاً أوضح أو حجة أقنع أو برهاناً أصحّ على بطلان ما جاء به

(١) هكذا بالأصل.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

صاحبك أكثر من هذا إنْ كنت أنصفت نفسك وصدقتها على أن صاحبك قد أقرَّ وقطع بـــإقراره كلَّ سبب بما نقلت عنه الثقاة الحاملون أخباره فإنّه قال قولاً مصرحاً غير مكاتم ولا مساتر أنّه « ليس من نبي إلاّ وقد كذبت أمته عليه ولست آمَن أن تكذب عليَّ أمتي فمـــا جـــاءكم عنـــي اعرضوه على الكتاب الذي خلفتُه بين أظهُركم فإنْ كان له مشاكلاً وكان له فيه ذكر فهو عنـــي وإني قلتُه وفعلته وإنْ لم يكن له ذكر في الكتاب فأنا بريء منه وهو كذب ممن رواه عني وما قلته ولا فعلته ». فانظرْ أصلحك الله في هذه الأخبار التي ذكرناها مما يقول أصحابك هل تجد لها أصلاً في الكتاب الذي في يدك فإنْ كان لها فيه أصل أو ذكر فهي لعمـــري صـــحيحة قـــد فعلها وأتى بها وإلاَّ فهو بريء منها وهي أباطيل وأكاذيب تقوّلوا بها عليه ثمّ أعظم مـــن هـــذا وأشنع أنَّه كان يقول لهم في حياته ويوصي إليهم إذا مات ألاّ يدفنوه فإنه سيُرفع إلـــى الســـماء كما ارتفع المسيح سيد العالم وإنّه أكرم على الله من أنْ يتركه على الأرض أكثر من ثلاثة أيام ولم يزل ذلك عندهم متمكناً في قلوبهم فلمَّا مات يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من ربيع الأول من سنة ثلاث وستين لمولده وقد مرض أربعة عشرة يوماً تركوه ميتاً يظنون أنه سيُرفع إلى السّماء كقوله فلمَّا أتت عليه ثلاثة أيام وانقطع رجاؤهم من ذلك وأيسوا من تلك المواعيـــد الباطلة دفنوه يوم الأربعاء وحكى بعضهم أنه مرض سبعة أيام بذات الجنُب وأنّه غرب عقلـــه وخلط في كلامه تخليطاً شنيعاً فغضب لذلك عليٌّ بن أبي طالب وأنكره فلما أفاق أخبـــره بمـــا كان فقال

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لا يبقينَّ في البيت أحدٌ إلاَّ العباس بن عبد المطلب فلما كان اليوم السَّابع من مرضه مات فربا[1] بطنه وانعكست إصبعه الشمال وهي الخنصر، وذكر ضمران أنه كان تحته في مرضه شملة حمراء وعليها مات وفيها أُدرج بعد موته ووُوري في التراب بغير غسل ولا أكفان وروى عمران بن خضير الخزاعي أنه غُسل وأُدرج في ثلاثة أقواب سجولية أيْ أثواب بيض يمانيّة وأنّ الذي تولى ذلك منه علي بن أبي طالب والفضل بن العباس بن عبد المطلب ابن عمّه. فلم يبقَ أحدٌ ممن كان تبعه إلاَّ ارتدَّ ورجع عما كان عليه غير نفرٍ يسير وشرذمة قليلة من أخصّ أهله وأقربهم نسباً إليه طمعاً بما كان فيه من تلك الرئاسة فكان لأبي بكر عتيق بن أبي قحافة في ذلك أعجب تدبير وألطف فعلٍ وأكثر رفقٍ فتولى الأمر بعده بذلك السبب فاغتاظ علي بن أبي طالب غاية الغيظ ودخل عليه ما يدخل على مَنْ يشكّك أنَّ الأمر صائر إليه فانتزع من يده كلّ ذلك حرصاً الدنيا ورغبة في الرئاسة فلم يزل أبو بكر برفقه وحسن مداراته يلطف بالمرتدّين إلى أنْ رجعوا بضروبٍ من الحيل والرفق والعدات والتشويقات والأماني والخداع وكان بعض ذلك بالخوف والفرق من السيف وبعض بالترغيب في سلطان الدنيا وأموالها وإباحة شهواتها ولذاتها فرجع من رجع في ظاهره لا في باطنه وما أشكّ أكرمك الله إلاّ أنك ذاكر ما جرى في مجلس أمير المؤمنين وقد قيل له في رجلٍ من أجلّ أصحابه إنه إنما يُظهر الإسلام وباطنه المجوسية القذرة فأجاب بما

---

(١) ارتفع وزال.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

علمته من الجواب حيث قال « والله إنّي لأعلم أنّ فلاناً وفلاناً حتى عدَّد جملة من خواص أصحابه ليُظهرون الإسلام وهم أبرياء منه ويراءونني وأعلم أنّ باطنهم يخالف ما يظهرونه وذلك أنَّهم قومٌ دخلوا في الإسلام لا رغبة في ديانتنا هذه بل أرادوا القرب منا والتعزيز بسلطان دولتنا لا بصيرة لهم ولا رغبة في صحة ما دخلوا فيه وإنّي أعلم أنّ قصتهم كقصة ما يُضرب من مثل العامة أن اليهودي إنما تصحّ يهوديته ويحفظ شرائع توراته إذا أظهر الإسلام وما قصة هؤلاء في مجوسيتهم وإسلامهم إلاّ كقصة اليهودي وإنّي لأعلم أنَّ فلاناً وفلاناً حتى عدَّد جماعة من أصحابه كانوا نصارى فأسلموا كرهاً فما هم بمسلمين ولا نصارى ولكنهم مخاتلون فما حيلتي وكيف أصنع فعليهم جميعاً لعنة الله أما كان يجب عليهم إذْ خرجوا من المجوسية النجسة القذرة التي هي أشرّ الأديان وأخبث الاعتقادات أو عن النصرانية التي هي أذعن الأقاويل إلى نور الإسلام وضيائه وصحة عقده أنْ يكونوا أشد تمسّكاً بما دخلوا فيه منه بما تركوه ظاهراً وخرجوا عنه رياءً ولكن لي قدوة برسول الله صلعم وأسوة به لقد كان أكثر أصحابه وأخصّهم به وأقربهم إليه نسباً يُظهرون أنهم أتباعه وأنصاره وكان صلعم يعلم أنّهم منافقون وعلى خلاف ما كانوا يظهرون له وصحّ ذلك عنده وأنّهم لم يزالوا يبتغون له الغوائل يريدون به السوء ويتطلبون له العثرات ويعينون المشركين عليه نظر العين حتى أنَّ جماعة منهم كمنوا له تحت العقبة واحتالوا في تنفير بغلته لترمي به فتقتله فوقاه الله كيدهم وشرّ ما

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

كانوا يبغونه له ثمّ كان يداريهم دائماً إلى أنْ قبضَ روحه على غاية ما يداري به الأعداء المكاشفين حذراً منهم أفما ينبغي لي أنا أن أشابهه صلعم هذا وكان حياً ملء ثيابه ثم ارتدّوا جميعاً بعد موته فلم يبقَ منهم أحدٌ كان يظن به رشداً إلاَّ رجع وارتدّ وحرص على تشتيت هذا الأمر وإبطاله ظاهراً وباطناً وعلانيّةً وسراً إلى أنْ أيَّده الله وجمع تفرُّقهم وألقى في قلوب بعضهم شهوة الخلافة ومحبة الدنيا فربط النظام وجمع الشّمل وألَّف التشتيت بالحيلة ولطف المداراة وأتمّ الله ما أتمّه وما المنّة في ذلك له ولا هو محمود عليه بل المنّة لله والحمد والشكر له على ذلك بأسره فلستُ أذكر ما أراه ويبلغني عن أصحابي هؤلاء لا أبعد الله غيرهم وما لهم عندي إلاَّ المداراة والصبر عليهم إلى أنْ يحكمَ الله بيني وبينهم وهو خير الحاكمين ». ولولا أنَّ سيدي أمير المؤمنين تكلم جهاراً على رؤوس الملأ في مجلسه أجلّه الله فذاع الخبر بذلك ونقله الشاهد إلى الغائب لما حكيتُه وأنت تشهد لي أني لم أتزيد في شيءٍ من ذلك وإنّما ذكرتك بما جرى من الكلام في ذلك المجلس وليس له مدة طويلة وأردت إعادته لأذكرك أمر الردّ وأنَّ القوم لم يكن ردهم إلى هذا الأمر إلاَّ رغبة في الدنيا ولإتمام هذا الملك الذي هم فيه وفي ذلك لذوي الألباب ممن ينظر في كتابنا هذا مقنع إنْ شاء الله. فلنرجع الآن إلى كلامنا الأوّل ونقول إنه كان عمره ثلاثاً وستين سنة، منها أربعون سنة قبل ادّعائه النّبوّة وثلاث عشرة بمكة وعشر في المدينة وهذا أصلحك الله ما لا تقدر أنتَ ولا غيرك ممن يدعي مثل ادّعائك أنْ ينكره أو يجحده والذي نقل إليك

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

دينك ووثقت به في جميع ما نقله عنه هو الذي نقل هذه الأخبار فهذه قصّته من أولها إلى آخرها.

فإنْ ادعيت أنَّ موسى النبي ويشوع بن نون ولي الله وخليفة موسى قد حاربا أهل فلسطين وضربا بالسيف وقتلا الرجال وسبيا وأحرقا القرى والمساكن بالنار ونهبا الأموال مما أنكرتُ على صاحبنا أمره وفعله قلنا لكَ إنّهما فعلا ما فعلاه عن أمر الله عزّ وجلّ لقوام ما أراده وقدّره وإنجاز مواعيده وفعله فإنْ ذلك كان في قوم طغوا وبغوا وتجاوزا الحدَّ فأحب الله تبارك وتعالى تأديبهم كتأديب الأب المشفق على ابنه. فإنْ قلت وما الدليل على ذلك منهما كان عن أمر الله سبحانه وتعالى وأنّ الذي فعله صاحبك لم يكن عن أمر الله قلنا إنَّ نبي الله موسى حيث جاء بالآيات العجيبة المعجزة التي فعلها بمصر بحضرة فرعون وجميع أهل مصر بعد ما فعل أهل مصر ببني إسرائيل ما فعلوه وبعد ذلك أخرج بني إسرائيل بتلك اليد الرفيعة والقوة المنيعة وفلق لهم البحر وأجازهم وغرق فرعون وأصحابه عندما تبعهم وضرب موسى الحجر الأصمّ فتفجَّر منه اثني عشر نهراً سقاهم منها وأنزل لهم المنّ والسلوى وما أشبه ذلك مما أتى به مما هو ممتنع في قدرة المخلوقين لا يقدر أحد أنْ يفعل ذلك غير الخالق جلّ وعزّ ومن أعطاه الرب القدرة على فعل مثله صارت هذه دلائل واضحة وشواهد له صادقة بأنَّ جميع ما حكاه وفعله هو عن أمر الله تبارك وتعالى وصحّ عندنا أيضاً من وجه آخر أنَّه لم يجئ من بعده نبيٌّ ولا رسولٌ من عند الله إلاّ ثبتّ له مقالته وصحح قوله وما جاء به وعلّمنا أنَّ قتالَ الكّفارِ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الذين قاتلهم وسبى ذراريهم وأحرق مساكنهم ونهب أموالهم حقّ من الله وكذلك ما فعل يشوع بن نون من استيقافه الشّمس وسط الفلك عن مسيرها إلى أنْ انتقم الشعب من أعدائه وكذلك توقيفه القمر بأمر الرب فوقف وشهد له الكتاب بأنّه لم يكن مثل ذلك اليوم فيما مضى ولن يكون في المستأنف لأنّها آيةٌ خصَّ بها يشوع بن نون فتكون شهادة له وجلالاً عنده إلى آخر الأبد وكذلك أفاعيل عجيبة غير هذه يطول شرحها وإذْ قلت إنّك قرأت كتاب يشوع ودرسته حقَّ دراسته فلا وجه لإعادتها ونحن واليهود المخالفون لنا متفقون على تصديقه عن غير تواطؤ وإنه حق في ديوان الله لا نشكّ فيه ولا نرتاب فأعطنا أنتَ أصلحك الله أدنى حجة أو آيةً أو لمعة أعجوبةً تومئ بها إلى صاحبك أنَّه فعلها أو يقرّ له كتابه بصحّتها حتى نصدّق نبوّته ونقرّ برسالته ونقبل دعوته ونعلم أنَّ ما فعله من قتل النّاس وسبيهم وأخذ أموالهم وإخراجهم من ديارهم كان عن أمر الله عزّ وجلّ كفعل أولياء الله ولكنّا نعلم حقيقة أنَّه لا جواب عندك في هذا وأنّك لا تقدر أنْ تأتي بشيء مما سُئلت عنه فلا ينبغي لكَ أصلحك الله أنْ تظلم وتذمم من ردّ عليك قولك وأنكر دعواك قائلاً إنَّ الله لم يبعث صاحبك رسولاً ولا نبيّاً ولا أمره بمحاربة أحد ولا موادعته وإنما هو رجل متغلّب ادّعى لنفسه ما ادّعاه فأعانه على ذلك قوم من عشيرته وأهل بيته وبلده فليس مَنْ جحد هذا وردّه لوم ولا عيب ولا ذنب بل إنْ أنصفتَ عذرته وأحمدت رأيه وارتضيت بصحة عزيمته وقلت بجودة فكره لإحادته عن القول المتناقض الشّاهد على نفسه ببطلانه وأنت تعلم علّمك الله كلّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

خير أنَّ العقل والنَّصفة يوجبان ذلك اللّهم إلاّ أنْ تستعمل المباهتة التي ليست من مذهبك ولا من أخلاقك بل هي سلاح العمه[1] اليهود والكفار والجّهال فإنَّ الكذب والبهت والمكابرة أصلُ قولهم ومتن كلامهم وعقد أمرهم لأنَّهم يشبهون الشّيطان أباهم الكاذب المخترع الكذب والبهتان كما شهد الرّب يسوع المسيح عليه في إنجيله المقدّس الطّاهر فإلام أرجع أصلحك الله من أمرك وكيف أقول وبما أحتجّ لكَ عند عقلي وهل ترى أنْ أقبل قولكَ من غير حجةٍ ولا برهانٍ ولا دليل مقنع أترى ذلك صواباً وما أظنّك يرحمك الله ترى لي ذلك كيف وسيدي المسيح قد قال في محكم إنجيله المقدّس ما معناه أنّ جميع الأنبياء إنّما تنبأت إلى وقت مجيئي وعند ظهوري زالت النبوات بأجمعها فلا نبي بعدي فمن جاء بعدي مدعيّاً نبوة فهو لصٌّ خاطفٌ لا تقبلوه فأشرْ عليّ يا خليل هل ترى لي أنْ أعدلْ عن وصيّة ربي المسيح مخلّص العالم وأقبل غرورك وخدعك وأمانيك وتشويقاتك بالدنيويات الزّائلة بغير دليل ولا حجة فما أظن مثلك من أخلّ التمييز العقل أشار بمثل هذا الخطأ العظيم ولا مثلي قبله وأصغى إليه. فارجعْ إلى عقلك يرحمك الله وأنصفه واستعمل القانون الحقّ ودعْ التّحامل للقرابة والعصبية للنّسب المضمحل فإنِّي لكَ ناصحٌ وعليك مشفق واذكرْ ما قرأته في الإنجيل الطّاهر حيث يقول السّيد المسيح لحوارية « إنَّ أنبياءً كثيرين وملوكاً أرادوا أنْ ينظروا ما أنتم تنظرون ولم ينظروا وأنْ يسمعوا ما أنتم تسمعون ولم يسمعوا » (لوقا ١: ٢٤) فهل ينبغي لكَ وأنت قرأت مثل هذه

---

(١) المتحرين.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أنْ تميل عنه إلى غيره من أمور الدنيا مع معرفة سرعة زوالها وفنائها. وبعد هذا كلّه كان ينبغي لكَ أنْ تعلمَ أنّنا إنّما صدقنا الأنبياء وقبلنا أقوالهم عندما جاءونا بشروط النّبوّة ودلائل الرّسالة وإعلام الوحي لا بالغلبة والقهر ولا بالحمية والعصبية ولا بالشرف في الحسب والنّسب ولا بكثرة العشيرة وصولة المنعة ووفور المال لا بتسهيل السنّن والشرائع ولا بإعطاء الجسد شهواته ولا لأجل الفرق في السّلطان والخوف من السّيف والسّوط بل بالآيات العجيبة التي لا يقدر الآدميون ولا يتهيأ في حيلِهم أنْ يأتوا بمثلها فهي دلائل واضحة إلهية مثل آيات الإنباء وعجائب ربنا المسيح وأفعال تلاميذه الحورايين التي كانت تضلّ عندها عقول الفلاسفة وحكمة الحكماء فقبلنا أقاويل هؤلاء وجميع ما جاءونا به وصدقناهم وأقررنا لهم به وأنّه حقّ منزل من عند الله عزّ وجلّ لكون مثل هذه الشهادات الصّادقة معهم وبراءتها في أيدينا وعندنا آثارهم قائمةً وأعلامهم نيّرة لا يجحد ذلك أحدٌ ولا يمكن غيرهم أنْ يدعيه ولا ينكره إلاّ من عاند الحقّ واستعملّ المباهتة وسوء التمييز. وقد اقتضانا أصلحك الله هذا الفصل من كتابنا هذا أنْ نناظرك فيه بعض المناظرة في ما أتاك به صاحبك الذي تدّعي له النّبوّة من الشرائع والأحكام فنقول إنَّ الشرائع والأحكام لن تخرج عن ثلاثة أوجه ولا يقدر ذو نطقٍ أنْ يأتي بزيادة فيها ولا تنقيص منها وذلك إمّا أنْ يكون الحكم حكماً إلهيّاً وهو حكم التفضّل الذي هو فوق العقل والطبيعة ويليق بالله جلّ اسمه لا بغيره ولا يشبهه سواه وإمّا أن يكون حكماً طبيعيّاً قائماً في العقل مولوداً في الفكر يقبله التمييز ولا ينكره

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وهو حكم العدل وإمّا أنْ يكون حكماً شيطانيّاً أعني حكم الجور وهو ضد الحكم الإلهي وخلاف الحكم الطبيعي فأمّا الحكم الإلهي الذي هو فوق الطبيعة وأشرف منها فهو التفضُّل الذي جاء به المسيح مخلّص العالم سيد البشر الذي أقرَّ صاحبك وشهد له إذْ يقول: ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَآتَيْنَاهُ الإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ ﴾ (المائدة) وذلك أنّ المسيح قال في إنجيله الطاهر « غالبوا الشرّ بالخير وأحسنوا إلى مَنْ أساء إليكم وتفضّلوا على النَّاس جميعاً وباركوا على مَنْ لعنكم وادعوا لمن أذنب إليكم وآتوا الجميل والمعروف من شتمكم لتشبهوا في ذلك فعل أبيكم الذي في السَّماء فإنَّه يجود بوابله على الأبرار والفجّار ويشرق شمسه على الأخيار والأشرار »[1] فهذا هو الحكم الإلهي وشرائعه فوق الطبيعة وأعلى من العقل الإنساني وهو حكم التفضّل والرّحمة والعفو والتّشبُّه بفعل الله تبارك وتعالى الرؤوف الرحيم والنحو الثاني هو الحكم الطبيعي والشريعة القائمة في العقل الجاري مع الغريزة الملايم الإنسانية وهو ما جاء به موسى النبي بقوله في حكمه ما معناه « العين بالعين والسنّ بالسنّ والنفس بالنفس والضربة بالضربة والجراح قصاص » فهذا حكم الطبيعة الداخل في قانون العقل وهو حكم العدل والنصفة أنْ تأتي الناس بمثل ما أتوا به إليك وتفعل بهم كما فعلوا بك إنْ خيراً فخير وإنْ شراً فشر وليس ذلك مضاهياً للحكم الإلهي ولا مما يسّنه الرّب الرحيم المتفضل الرؤوف

(١) قابل متّى٥: ٤٣ ــ ٤٨.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بخلقه. والنحو الثالث هو الحكم الشيطاني المحال الذي هو الجور والشر بعينه. فلا تلمْ أصلحك الله على إيجابنا الحجّة عليك في ذلك فإنَّك تعلم أننا معك في وسط المعركة لم نخرج عنها ولا ندع المجاهدة بما عندنا من السّلاح الرّوحاني ذباً عن دين الله القيم الذي نرجو به النصر والظفر على عدونا فإنَّك إنْ لمت في ذلك ظلمت على أننا لا نلتفت إلى لومك ولا لوم غيرك في ذلك. وأنا أرجع إليك بالمسألة سائلاً الله جلّ وعزّ إلهامك الإنصاف وتلقينك القول بالعدل في إعلامي أيْ هذه الأحكام الثلاثة التي ذكرناها وأي شريعةٍ جاء بها صاحبك فإنْ قلت إنه جاء بالأحكام الإلهية قلنا لك قد سبقه المسيح سيدنا إليها بستمائة سنة وبها يعمل أصحابه وتابعون منذ ارتفاعه ممجداً إلى السَّماء إلى هذه الغاية وإلى أنْ تنقضي الدنيا ولم نرَ أحداً من أصحابك علم شيئاً منها ولا كانت تستعمل في عهد صاحبك. وإنْ قلت وما أظنك قائلاً إنّه جاء بالأحكام الطبيعية وشرائع العقل وسنن العدل قلنا قد سبقه إلى ذلك موسى النبي وأوقفنا عليه وشرحه لنا شرحاً بيناً عن الله والتوراة وليس لأحدٍ أنْ يدعيه لأنه ناطقٌ قائمٌ له وحده مشاهد في كتابه اللّهم إلاَّ أنْ يكونَ المدّعي لذلك مكابراً للعيان ظالماً متعدياً بهاتاً يأتي إلى ما هو كضوء الشمس حقٌ قائمٌ في أيدي أهله وهو لهم وعندهم وفيهم فيروم أنْ يطمسه ويحاول بمباهتته إدعاءَه لنفسه. فهذان حكمان قد عرفنا أصحابهما وأقررنا لهم بهما. فقد بقي الحكم الثالث الذي هو حكم الشيطان وشريعة الجور. فانظرْ أصلحك الله نظراً شافياً بروية صحيحة وفكر لا يشوبه الميل والزيغ من القائم بهذا الحكم الناصر له

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المتمسك بشرائعه العامل به وإلاّ فأعلمنا أيْ حكمٍ جاء به صاحبك وأي شريعة أتى بهـا غيـر الحكم الثالث الذي شرحناه لك لنقبله منك إنْ أوجب قبولاً وتنقاد لكَ فيه فإننا لا نعاند الحقّ ولا نرده من حيث أتى. فهل تقول يرحمك الله إنه جاء بالحكميْن معاً يعني حكـم المسـيح وحكـم موسى وشرحهما في كتابه قائلاً: « النفس بالنفس والعين بالعين والسن بالسن الخ » كما قـال موسى ثم أَتْبعه بقول المسيح وإنْ غفرتم فإنّه ﴿ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى ﴾ (مائدة) فأنت تعلم أنَّ هذا كلام متناقض كقول القائل قائم قاعد وأعمى بصير وصحيح سقيم في حال واحدة فما أظنك تسـتجيز إطلاق هذا الكلام على هذا من الإطلاق لأنَّه محال ثم لا ينكتم أيضاً ولا يختفي على متـدبره ومتعقبه أنَّه كلام سرق من موضعيْن مختلفين أعنى التوراة والإنجيل ثم إنْ أنت أقـررت كـلَّ واحدٍ من هذين الحكميْن وادَّعيته فلا يقرُّك أصحابهما ولا يدعونك وذلك لأنَّه حقٌ لهم وهم أشدَّ تمسكاً به وصيانةً له من أنْ يسامحوك عليه لأنّهم ورثوه فصار في أيديهم إرثاً مقبوضاً وحقـاً مسلماً لهم ويقولون لك إنك متعدٍّ ظالم تروم أخذ إرثنا من أيدينا مع إقرارك أنت أنه لنـا غيـر جاحدٍ له فإنْ حاولت أخْذه فأنت غاصبٌ لا حقَّ لك. بل آتنا أنت بما في يدك وعندك مما لـيس في أيدينا ولا عندنا لنعلم أنك صادق في ادّعائك. أليسَ إنّما تلجأ إلى القول الثّالث الذي يقيمون عليك فيه البينة العادلة أنَّك أنت جئت به وعملت به ونصرته وكيف تقدر على جحود ما أنـت مقيم عليه مقرّ به وهو في يدك تناضل عنه وتخاصم فيه وهو شريعة لك أنت مسـتعملها ثـم ترجع فتنكر وتجحد ما أنت فيه من حكمك

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وتتبرأ منه وبعد هذا وقبله فلا أظنك ترضى لصاحبك أنْ يكون تابعاً للمسيح وموسى وأنت تزعم فيه ما تزعم وتدَّعي له ما تدعي من الحظوة والقدر والمنزلة عند رب العالمين وتجترئ على الله وتقول لولا صاحبك ما خُلق آدم ولا كانت الدنيا ولقد جئت يا هذا أصلحك الله بأمر ذي بهتٍ وكذبٍ بيّنٍ أدّعيت له من الآيات ما أدّعيت بقولك لولا أنْ يكذبوا بها كما كذب الأولون ولم تدع له ذلك في الشّرائع وأنه ما كان عليه أنْ يأتي بها فيبين بها بعض أمره أوليس لأنَّه لم تكن شريعة رابعة بقيت فلمّا لم يبقَ إلاّ الشريعة الثالثة وكان موسى والمسيح قد سبقاه إلى الشريعتيْن جاء هو بالشريعة الثالثة فلا أدري بأي قوليك آخذٍ ولا عن أيهما أجيب فأصدق نفسك يرحمك الله ولا تغشّها لأن ذلك حرامٍ عليك وليس الدين من الأمور التي يجوز أنْ يتوانى ذو اللبّ والعقل عن الفحص والبحث عنها ويتغافل عن التفتيش عنه والوقوف على أصوله وأسبابه وفقك الله إلى الحقّ وجنبك الباطل بحوله وقوته. وكأني بك وقد ألجئت إلى أنْ تقول إنَّ الحجة البالغة عندك هذا الكتاب الذي في يدك وإنّ الدليل على صحّة كونه مُنزلاً من عند الله ما فيه من الأخبار القديمة عن موسى والأنبياء وعن سيدنا المسيح وصاحبك رجلٌ أمّيٌّ لم يكن له معرفة ولا علم بتلك الأخبار فلولا أنه أُوحي إليه وأُنبئ به فمن أين عرف ذلك حتى نسقه وجاء به. ثم تقول لا يقدر إنسيّ ولا جنيّ أن يأتي بمثله ثم تقول ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ (بقرة) و﴿ لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

خَاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيَةِ اللهِ ﴾ (الحشر) ونظائر هذه الأغلوطات فهذا أعظم الدليل وأصحّ البرهان وأوضح الحجة بزعمك على نبوّته فكأنك جعلت هذا آيةً له وحجة مثل فلق البحر لموسى ووقوف الشمس ليشوع بن نون وإحياء الموتى للمسيح وأعاجيب الأنبياء السّالفين ولعمري أنَّ هذا الكلام قد أضلّ قوماً كثيرين وقد أويت من هذا الكلام إلى ركنٍ ضعيفٍ القواعد متداعي الدعائم وهي القوائم وجوابك في هذا قريب غير بعيد وحاضر غير غائب ولا متخلف ولا بديل لنا عن كشف هذه القصّة وإنْ كان في كشفها بعض المرارة عليك في بط[1] القروح النغلة[2] لا بدّ أنْ ينالَ صاحبها منه أذى وألم فأصبر لألم الحديد قليلاً تجد الرّاحة وحلاوة العافية عندما يتضح لكَ الحقَّ وتظهره لكَ فائدة هذا القول وتدليسه عليك تقول إنّه ينبغي لك أنْ تعلم أولاً كيف كان السبب في هذا الكتاب ثمَّ تدعي حينئذٍ مثل هذه الدعاوي المتدلسة[3] التي لا بقاء لها على المحنة ولا ثبات على الفحص وذلك أنَّه إنَّما كان رجل من رهبان النصارى يُعرف بسرجيوس أحدث حَدَثاً أنكره عليه أصحابه فحرموه وأخرجوه وقطعوه عن الدخول إلى الكنيسة وامتنعوا من كلامه ومخاطبته على ما جرت به العادة معهم في مثل هذا الضرب فندم على ما كان منه فأراد أنْ يفعلَ فعلاً يكون له بهِ تمحيص عن ذنبه وحجة عند أصحابه النصارى فذهب إلى بلد تُهامة فجالها

---

(١) شق.
(٢) الفاسدة الجلد.
(٣) المستترة عيوبها.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

حتى أفضى إلى تربة مكة فنظر البلد غالباً فيها صنفان من الديانة فكان الأكثر دين اليهود[1] والآخر عبادة الأصنام فلم يزل يتلطف ويحتال بصاحبك حتى استماله وتسمَّى عنده نسطوريوس وذلك أنه أراد بتغيير اسمه إثبات رأي نسطوريوس الذي كان يعتقده ويتديَّن به فلم يزل يخلو به ويكثر مجالسته ومحادثته ويلقي إليه الشيء بعد الشيء إلى أن أزاله عن عبادة الأصنام ثم صيَّره داعياً وتلميذاً له يدعو إلى دين نسطوريوس. فلما أحسّت اليهود[2] بذلك ناصبته العداوة فطالبته بالسبب القديم الذي بينهم وبين النصارى. فلم يزل يتزايد به الأمر إلى أنْ بلغَ به ما بلغ فهذا سبب ما في كتابه من ذكر المسيح والنصرانية والذبّ عنها وتزكية أهلها بالشهادة لهم أنّهم أقرب مودّة وأنّ منهم قسيسين ورهباناً وأنّهم لا يستكبرون (مائدة). فلمّا قوي الأمر في النّصرانيّة وكاد يتمّ تُوفي نسطوريوس هذا فوثب عبد الله بن سلاّم وكعب[3] المعروف بالأحبار اليهوديان بخبثهما ومكرهما فأظهرا له أنّهما قد تابعا على رأيه وقالا بقوله فلم يزالا على ذلك المكر والدّهاء والتدبير عليه بكتمان ما في أنفسهما إلى أنْ وجدا الفرصة بعد موته. فلمَّا تُوفي وارتدّ القوم وأفضى الأمر إلى أبي بكر وجلس علي بن أبي طالب عن تسليم الأمر لأبي بكر علما أنهما قد ظفرا بما كانا يطلبان ويريدان في نفسيهما فاندسَّا إلى علي بن أبي طالب فقالا له ألا تدَّعي أنت النبوّة

---

(١) كذلك في الأصل.
(٢) لعلّ ذلك بعد هجرته للمدينة.
(٣) لعلّ ذكره خطأ لأنَّه من التابعين ولم يرَ محمّداً وقد أسلم في خلافة عمر.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ونحن نوافقك على مثل ما كان يؤدب به صاحبك نسطوريوس النصراني فلست بـأخسَّ منـه وكان عليّ بن أبي طالب قد أحسّ بما كان نسطوريوس الرّاهب عليه إلاّ أنّه كان صغيراً وقتما صحبه إلاّ أنه أوعزا إليه ألاَّ يعلم أحداً بموضعه ولا يبلغ أحداً من أهل عليه فقبل علي منهمـا ذلك لصغر سنه وقلّة تجربته ومال إلى قولهما بسلامة قلبه وحداثة سنّه وقلّة تجربته فلمْ يـتمّم الله لهما ولم يبلغهما إياه لأنه اتصل بأبي بكر بعض خبرهما فبعث إلى علي فلما صـار إليـه ذكره الحرمة ونظر إلى أبي بكر وإلى قوته فرجع عما كان عليه ووقع بقلبه. وكانا قد عمـدا إلى ما في يد علي بن أبي طالب من الكتاب الذي دفعه إليه صاحبه على معنى الإنجيل فأدخلا فيه أخبار التوراة وشيئاً من جلّ أحكامها وأخبارٍ من عندهما بدلها وشنَّعا فيـه وزادا ونقصـا ودسّا تلك الشناعات كقولهما ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَـيْءٍ وَقَالَـتِ النَّصَـارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ فَـاللهُ يَحْكُـمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ (بقرة) ومثل الأعاجيب وذلـك التنـاقض الـذي لا يحيل على الناظر فيه أنَّ المتكلمين به قوماً شتى مختلفون كلٌّ منهم ينقض قوله صاحبه ومثـل سورة النحل والنمل والعنكبوت ومثل هذا وشبهه إلاَّ أن علياً حين أيس من الأمـر أنْ يصـير إليه صار إلى أبي بكر بعد أربعين يوماً وقال قومٌ بعد ستة أشهر فبايعه ووضع يدَه فـي يـدِه وقال له ما حبسك عنّا وعن مبايعتنا يا أبا الحسن فقال كنت مشغولاً بجمع كتاب الله لأن النبـي كان أوصاني بذلك. فانظرْ أيها العادل أنّ الحجاج بن

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يوسف أيضاً جمع المصاحف وأسقط منها أشياء كثيرة فكتاب الله أيها المغرور لا يُجمع ولا يُسقط منه شيء وأنت وأهل مقالتك عارفون بذلك غير منكرين لأنَّ الثّقات من رواتكم نقلوا هذه الأخبار وصححوها فليس بينهم فيها خلف وأنت تعلم أيضاً أنهم رووا أنّ النسخة الأولى هي التي كانت بين القرشيين فأمر علي بن أبي طالب بأخذها لما اشتد عليه الأمر لئلا يقع فيها الزيادة والنقصان وهي النسخة التي كانت محضة على معنى الإنجيل الذي دفعه إليه نسطوريوس وكان يسميه عند أصحابه جبرائيل مرة والرّوح الأمين مرة فلما قال علي بن أبي طالب لأبي بكر في البيعة الأولى إني شُغلت في جمع الكتاب قالوا فمعنا قول ومعك قول وهل يُجمع كتاب الله فاجتمع أمرهم وجمعوا ما كان حفظه الرجال من أجزائه كسورة براءة التي كتبوها عن الأعرابي الذي جاءهم من البادية وغيره من الشاذ والوافد وما كان مكتوباً على اللِّخاف[1] والعُسُب وهو جريد النخل وعلى عظم الكتف ونحو ذلك ولم يُجمع في مصحف وكانت لهم صحف وأدراج على منهاج أدراج اليهود وذلك من حيلة اليهوديْن وكان الناس يقرؤون مختلفين فقوم يقرؤون ما مع علي بن أبي طالب وهم أتباعه إلى اليوم وقوم يقرؤون بهذا المجموع الذي ذكرنا أمره وقوم يقرؤون بقراءة الأعرابي الذي جاء من البرية وقال إن معي حرفاً وآية وأقلّ وأكثر فكتب ولا يدري أحدٌ ما قصته ولا في ما أُنزل وطائفة تقرأ بقراءة ابن مسعود لقول صاحبك من أراد أن يقرأ القرآن غضاً طرياً كما أُنزل فليقرأ بقراءة

(١) بالكسر حجارة بيض رقاق واحدتها لخْفة وهي في حيث زيد بن ثابت جامع القرآن.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ابن أم عبد وكان يُعرض عليه في كل سنة مرة وفي السنة التي مات فيها عُرض عليه مـــرتيْن وقوم يقرؤون قراءة أُبيّ بن كعب لقوله أقرأكم أبيّ وقراءة أُبي وقراءة ابن مسعود متقاربتـــان فلما صار الأمر إلى عثمان بن عفان واختلف الناس في القراءة أقبل علي بـــن أبـــي طالـــب يتطلَّب العلل على عثمان ويتتبع العثرات ويعيبه ويخالف عليه ذلك تدبراً على قتله فكان الرجل يقرأ الآية ويقرأها الآخر قراءة مختلفة ويقول الرجل منهم لصاحبه قراءتي خيرٌ من قراءتـــك، ويحتجّ كلٌّ منهما لصاحبه بالذي يقرأ بقراءته ويقع في ذلـــك الزيـــادة والنقصـــان والتحريـــف والتبديل فقيل ذلك لعثمان إنّهم يختلفون في القراءة ويزيدون في الكتاب ويُنقصون ويتضاغنون في ذلك ويقع بينهم الشر والأخذ بالعصبية ولا نأمن أنْ يتطاول الأمر ويتفاقم فيقع بينهم القتـــل ويفسد الكتاب وترجع الرّدة فبعث عثمان فجمع كل ما أمكنه من تلك الأدراج والرِّقاع وما كتب أولاً ولم يتعرضوا لما في يد علي بن أبي طالب من مصحفه ولا لمن كان يقـــرأ بقراءتـــه ولا دخل معهم في هذا التأليف. فأمّا أُبيّ بن كعب فمات قبل هذا التأليف وأما ابن مسعود فطلبـــوا منه أنْ يدفع إليهم مصحفه فأبى فصرفوه عن الكوفة واستعملوا أبا موسى الأشـــعري وأمـــروا زيد بن ثابت الأنصاري وعبد الله بن عباس وقيل محمد بن أبي بكر بتأليفه وإصلاحه وحـــذف الفاسد منه كانا حديثي السّن وقالوا لهما إذا اختلفتما في شيء أو لفظة أو اسم فاكتبـــاه بلســـان قريش فاختلفا في أشياء كثيرة منها التابوت قال زيد هو التابوه وقال ابن عباس بل هو التابوت فكتباه بلسان قريش ونظائر هذه كثيرة فلما جمعوا هذا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

التأليف على ما في هذه المصاحف كُتبت أربعة مصاحف بخط جليل ووُجِّه أحدها إلى مكة وخلف آخر في المدينة ووجّه آخر إلى الشّام وهو اليوم بملطية باقٍ ولم يزل ذلك المصحف الذي كان بمكة إلى أيام أبي السرايا فلمّا كان في تلك الأيام وهو آخر سلب سلبت الكعبة (سنة ٢٠٠ هجريّة) ليس أبي السرايا سلبها بل في تلك الفتنة فقد قيل احترق في ما احترق وأمّا مصحف المدينة ففُقد في أيام الحيرة وهي أيام يزيد بن معاوية ووُجِّه المصحف الرّابع إلى العراق وكان بالكوفة وهي يومئذٍ قبة الإسلام ومجمع المهاجرين والصحابة ويُقال إن ذلك المصحف باقٍ إلى اليوم بالكوفة وليس بصحيح بل فُقد في أيام المختار ثم أمر بجمع ما جُمع من تلك المصاحف والأدراج التي جُمعت من البلاد وكتب إلى العمال أنْ يجمعوا ما أمكنهم منها وينقضوه حتى لا يعلم أن أحداً عنده منها شيء وتوّعد المخالف منهم فكلّ ما صار إليهم غلوا له الخل وسرحوه فيه وتركوه حتى تقطع واهترى ولم يبقَ شيء يعلم إلاَّ متفرقاً مثلما قيل عن سورة النور إنّها كانت أطول من سورة البقرة وكما قيل إنَّ سورة الأحزاب مبتورة ليست بتمامها وكذلك قالوا في براءة إنها لم يوجد بينها وبين الأنفال فصل يُعرف فلم يفصلوهما بسطر بسم الله الرَّحمٰن الرحيم ومثل قول ابن مسعود في المعوَّذتيْن لما أثبتوهما في المصحف لا تزيدوا فيه ما ليس فيه ومثل قول عمر على المنبر لا يقولُنّ أحد إنَّ آية الرجم ليست في كتاب الله فإنّا كنا نقرأ « والشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة » فلولا أنْ يُقال إنَّ عمرَ قد زاد القرآن ما ليس فيه لزدتُها فيه بيدي ومثل قوله في آخر خطبة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

خطبها إني لا أعلم أنّ أحداً قال إنَّ المتعة ليست في كتاب الله بل قد كنا نقرأ آية المتعة ولكنها سقطت فلا جزى الله من أسقطها خيراً فإنه أؤتُمن فما أدَّى الأمانة ولا نصح الله ولا رسوله فقد أسقط المموَّه عليه من القرآن شيئاً كثيراً وقوله أيضاً وما كان عليه أن يرخّص الله للناس وإنما بعث محمداً بالدين الواسع وقال أبيّ بن كعب سورتان كانوا يقرؤونهما فيه وإنما قال هذا في التأليف الأول ولم يدرك هذا التأليف وهما سورتا القنوت والوتر وهما اللهم إنّا نستعينك ونستغفرك ونستهديك ونؤمن بك ونتوكل عليك إلى آخر الوتر. وكذلك آية المتعة فإن علياً كان أسقطها بتةً وقيلَ إنَّه سمع رجلاً يقرأها على عهده فدعاه وضربه بالسوط وأمر الناس ألاَّ يقرأها أحد فكان هذا بعض ما شنَّعت به عليه عائشة يوم الجمل وقد دخلت منزل عبد الله بن خلف الخزاعي فقالت في بعض قولها إنه يجلد على القرآن ويضرب عليه وينهى عنه وقد بدَّل وحرَّف. وبقي مصحف عبد الله بن مسعود عنده فهو يُتوارث إلى الساعة وكذلك مصحف علي بن أبي طالب عند أهله ثم كانَ من أمر الحجاج بن يوسف ما كان إنّه لم يدع مصحفاً إلاَّ جمعه وأسقط منه أشياء كثيرة ذكروا أنّها كانت نزلت في بني أمية بأسماء قومٍ وفي بني العباس بأسماء قومٍ وزاد أشياء وكتبت نسخ بتأليف ما أراد الحجاج في ستة مصاحف فوُجّه واحد إلى مصر وآخر إلى الشام وآخر إلى المدينة وآخر إلى مكة وآخر إلى الكوفة وآخر إلى البصرة وعمد إلى المصاحف المتقدمة فغلى لها الزيت وسرَّجها فيه فتقطعت واحتذى في ذلك بما فعله عثمان. والدليل على ما كتبنا أنك الرجل الذي قرأت

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

كتب الله المنزلة وأنت تعلم كيف انتسقت الأخبار وكثر التخليط في كتابك الذي هو دليل على أنَّ الأيدي الكثيرة تداولته واختلفت فيه الآراء وزيد فيه ونقص منه وكلٌّ قال ووضع ما أراد وهوى وأسقط ما كره وسخط أفهذه عندك أكرمك الله شروط كتب الله المنزلة سيّما وصاحبك أعرابي جلف[1] يأوي البادية فخطر خاطر في قلبه فسجَعه بلسانه وصار به إلى قوم بَدْوٍ فتقرَّب به إليهم وهم يشهدون في كتابهم أن الأعراب أشد كفراً ونفاقاً ومن هو أشد كفراً كيف يُؤخذ عنه سرّ الله ووحيه وتنزيله على نبيّه وأنت تعلم ما كان بين علي وأبي بكر وعمر وعثمان من الإحنة والعداوة فقد زاد هؤلاء ونقصوا وزاد هذا ونقص وإنّما كان كل واحد منهم يريد الخلاف على صاحبه ومناقضته قوله ومباراته فمن أين نعلم أي الأقوال هو الصحيح وكيف يمكن لك أنْ تميّزه من السقيم وقد زاد فيه الحجاج ونقص منه وأنت عارفٌ بمذهب الحجاج في جميع أموره فكيف تستوثقه في كتاب الله وتعدله وتأمنه على ذلك وقد كان الرجل الذي يتقرب إلى بني أمية بكلِّ ما يجد إليه سبيلاً. هذا وقد كان اليهود البهت مخالطين لهم وكان بعضهم قد أظهر لهم الدخول معهم في المقالة وإنَّما كان ذلك مكراً منه وخديعةً وحيلة للفساد وتدبراً منه عليهم ليبطل الأمر ويضمحل فهذا أصلحك الله أصحّ دليل وأوضح برهان لا يحيل إلاَّ على من قد أعمى الجّهل بصره وطمس على قلبه وإلاَّ فأية حجةٍ أو أي شيء من الشّرح أكثر مما شرحنا، ولولا أنَّك الرجل الذي قرأت كتب سرائر الله ودرستها

---

(١) في الأصلية خلق.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

حق دراستها وأنّ الإنصاف أصل شيمتك لما شرحنا لكَ هذا الشرح والحــقّ رحمــك الله فيــه بعض المرارة عاجلةً وحلاوةً كثيرةً آجلةً فلهذا السبب قد اكتفينا بما ذكرناه فاصــبرْ للمــرارة اليسيرة من الدواء تعقبك حلاوةً كثيرة في العاقبة على أنَّك تعلم وكل من ينظر في كتابنا هــذا إننا لم نكتب إليك بشيءٍ زيادة على ما في كتابك من ذات أنفسنا بل ولم نثبت إلاّ الصحيح ممــا نقلته رواتكم العدول الثقات عندكم المأخوذ بقولهم المعوّل في الدين على ما نقلــوه مــن هــذه الأخبار وغيرها في صحتها وأنَّهم لم يتزيدوا فيها ولا مالوا إلى أحدٍ الفريقيْن وقد ثبتنا صدقهم وعرفنا حقيقة ما نقلوه بما شاهدنا من الكتاب إنَّه إنَّما هو كلام منثور لا نظام له ولا تأليف ولا معنى يتسق بل هو متناقض كلّه ينقض بعضه بعضاً فقد صحّ عندنا وعند كلِّ ذي لبٍ أن الذي نقلوه إلينا من خبره هو على ما حكوه ولولا كراهيتنا للتطويل لشرحنا من تناقضــه وتفــاوت معانيه وأخبار أصل جمعه أكثر مما شرحنا ولكن في ما أثبتنا كفاية لذوي الألبــاب والعقــول ومن أراد نصح نفسه فأيِ جهل أعظم من جهل من أدّعى أنَّ هذا الكتاب حجةٌ ودليل لمن جاء به وشاهد لنبوة نبي مبعوث مثل فلق البحر لموسى وإحياء الموتى وإبــراء الكمــه وتطهيــر البرص لسيدنا المسيح مخلّص العالم إن هذا حقاً لجاهلٍ مائق لأنه لم يعقل كيف يشبه ويقــرن بين الإشكال على أني لا أظن أحداً به أدنى مسكة من عقل أو له أدنى تمييز يجترئ أنْ يفكــرَ في هذا فضلاً عن أنْ يتفوّه به ولم يخطر مثل هذا قطّ إلاَّ على بال غبيٍ غارب العقل مخــتلس اللبّ ضعيف القلب. أفتراك أعزّك الله تحمل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

نفسك في صحة عقلك ودقة نظرك وكثرة فحصك على أنْ تحتجَ بمثل هذا الكتاب مع ما قد عرفت من أخباره وأسباب أصوله فهذه حجة منكسرة عند مثلي من ذوي التفتيش وباحث على أصول الأخبار. وأنت تعلم أني الرجل الذي قرأت الكتب وعنيت بمعرفة الأصول وكيف كانت من أولها إلى أخرها وأن المبهرج من الأخبار والمدلس من الأحاديث غير جائز على مثلي ولا نافع عندي. فأخبرني أصلحك الله عن قول صاحبك ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنْسُ والْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ (أسرى). أفتقول أفصح ألفاظاً منه فجوابنا لك في هذا نعم أفصح منه كلام اليونانية عند الروم والزوبة عند أهل فارس والسريانيّة عند أهل الرّها والسريانيين وعبرانيّة بيت المقدس عند العبرانيين فإنْ كل لسان له كلام فصيح عند أهله من سائر الألسن ولهم ألفاظ فصيحة يتخاطبون بها وهي عندك كلها أعجمية كما أن لسانك العربي الفصيح عندك أعجمي عندهم هذا إذا أطلقنا قولك إن كتابك أفصح ألفاظاً بالعربية وذلك أن صاحب فصاحةِ الألفاظ بأي لسانٍ كان هو الذي لا يحتاج إلى استعارة ألفاظ غيره ولا يستعين بها في خُطبه وكلامه بل يكون مستغنياً بمعرفته وفصاحته عن لسان غيره ونحن نرى صاحبك قد افتقر في كتابه إلى استعمال كلمات غيره وهو القائل: ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِيّاً لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ وقد خاطب به أعراباً عاربة فصحاء بلغاء أصحاب خطاب كقوله الإستبرق وسندس وأباريق ونمارق وأشباه هذه التي إنّما هي ألفاظ فارسيَّة ومثل المشكاة فإنها حبشيّة وهي الكوة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ومثل هذا كثير قد استعمله في كتابه فنقول إنَّ العربية ضاقت عليه فلم يكن فيها من الاتساع ما لا يلجأ معه إلى لسان غيره في هذه الأشياء سيما وأنت ترى أنها مُنزلة من عند رب العالمين على يد جبرائيل الملك الأمين. فإمّا أنك توقع النقص بالمرسِل أو بالرسول فإنْ كان من عند صاحبك فوقع النقص به لأنه لم يكن يعرف هذه الأسماء بالعربية ولم يدرك علمها فلذلك أعجزته فهذه ألفاظ امرؤ القيس وغيره من الشعراء والفصحاء والمتقدمين والمتأخرين الذين لا يُحصى عددهم وكلام الخطباء والبلغاء الذين كانوا قبل مجيء صاحبك أفصح ألفاظاً منه وأرق وأدق معانٍ بإقراره لأهلها حيث حاجّوه فقطعوه فقال ﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ لأنهم خصموه فكانوا خصماً بأصحّ حجة وأبلغ في الخطابة منه وهو القائل إن من البيان لسحراً فلا يخلو إذن أمر هذا الكتاب وما وُضع فيه من الألفاظ الأعجمية من أن يكون قد ضاق على صاحبك اللسان العربي مع علمنا نحن وأنت أنَّ لساننا العربي أوسع الألسن كلها أو أنْ يكون قد أُدخلت فيه الزيادة من قوم آخرين كما ذكرنا لك في أصل خبره وأنَّ الأيادي الكثيرة قد تداولته فأخبرني أصلحك الله أي القوليْن أحببت فإنّه لا محيص لك من أن تقول بأحدهما وأنت عارف بنتيجة ذلك إذا قلتَه فإنْ قلتَ إنّهم لا يقدرون أنْ يأتوا بمثل تنضيده وترصيعه قلنا لك إن تنضيد الشعراء لشعرهم ووزنهم له الوزن الصحيح الذي هو أصعب وأدق معنى لا يغادر بعضه فيه بعضاً واختيار الألفاظ النقية الصّافية العربيّة الخالصة مع انتساق المعنى الحسن أكمل في الأحكام وأصح في الصنعة لأنّ كتابك كله إنَّما هو

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

سجعٌ منكسر وكلام مختلف وتكبير معانٍ لا معنى لها. فإنْ قلتَ بل هو أصح معاني سألناك أي معنى غريب ظفرت به فيه أدللنا عليه وأعلمنا به حتّى نتعلمه منك وأي معنى صحيح وجدته فيه وغريت بمعرفته أخبرنا به وأوقفنا عليه وأي خبرٍ لم نسمعه على غاية التمام والكمال من الشرح والصّحة في شيءٍ من الكتب المتقدمة استفدته منه أليس هو الذي قرأناه درسناه وعرفنا تفسيره ووقفنا على معانيه وبحثنا عن أصوله وأسبابه وفتشنا عن خبره فصرنا في العلم به أرسخ كثير من أهله وأيْ شيءٍ هذا من الآيات العجيبة التي يعجز فعلها إمكان الآدميين حتّى تصير حجةً على بعثه نبياً يوجب الإقرار له بالرسالة والنبوّة والإيمان على الوحي والتبشير من عند الله حتى يقاس به أو يرى فيه آية مثل فلق البحر وإحياء الموتى وسائر آيات الأنبياء العجيبة وإنَّما صار هذا كذلك وجاز عليك بالتدليس والبهرجة ووصفه بالفصاحة وحسن التنضيد وجودة الإعراب وأنَّ الإنس والجن لا يقدرون على أنْ يأتوا بمثله لأنّه وقع في قومٍ أميين أنباط سقاط عجم علوج فعظم في أعينهم وكبر في صدورهم وإلاَّ فأنت إذا أصدقت نفسك تيّقنت كيف كان أصل القصة في هذا وأنَّ مسيلمة الحنيفية والأسود العنسي وطليحة بن خويلد الأسدي وغيرهم قد عملوا عمل صاحبك وأشهد أنّي قرأت مصحفاً لمسيلمة لو ظهر لأصحابك لردَّ أكثرهم إلاَّ أنَّه لم يتهيأ لهؤلاء أنصارٌ مثلما تهيّأ لصاحبك وكأني بكَ قد لجأت فذكرت اللغة واعتددت بها وجعلتها خبئة لكَ تستتر تحت فيئها فأنت تعلم أنَّ حجتنا في اللغة وحجّتك واحدة والأمر بيننا فيها

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

مشاع غير مقسوم وأننا فيها شركاء فليس لكَ علينا فيها فضلٌ ولا في يدك منها ما لـــيس فـــي أيدينا ولا علمك بأنفذ فيها من علمنا وأنك لتقرّ طائعاً أننا معشر العرب نرجع جميعاً في اللغـــة إلى يعرب بن يشجب بن ثابت بن إسماعيل أبينا وإنَّما هذه الحجة المبهرجة هي دعوى مدلّســـة تجوز على الأنباط والأسقاط والعجم والمغفلين والأغبياء الذين لا معرفة لهم باللسان العربـــي وإنَّما هم فيه دخلاء فلمَّا ورد عليهم منه ما لم يفهموه صدّقوه وتناولوه على قدر عجمتهم فإمَّـــا العرب العاربة كلها الذين هم البدويون فلسانهم واحدٌ ولغتهم واحدة وكـــلّ مـــنهم يفهـــم كـــلام صاحبه وأمَّا أهل الحضر ومن نشأ بين الأبيات من الأسقاط والأنباط وخالط العجم والأعـــلاج فلعمري لقد أفسدَ بعضهم كلامه لطول المعاشرة وغلبة العادة فليست بك حاجة إلى ذكر اللغـــة ولا لكَ في ذلك بلغةً ولا ملجأ. فإنْ قلتَ إنَّ قريشاً أفصح العرب وأنَّهم قومٍ خصمون بالحجـــة وهم فرسان البلاغة والخطابة عارضناك بما لا تقدر أنْ تنكره ولا تجحد صدقه وهو أن مليكة بنت النعمان الكنديّة حين اقتنصها صاحبك وصارت عنده قالت « أمليكة تحت سوقة » فأنـــت ونحن لا نشكّ أنَّ قريشاً كانت تجار العرب وسوقتها وكندة كانوا الملوك والمسلّطين على سائر العرب ولست أقول هذا افتخاراً عليك بشرف جنسي من الكنديّة ولا لموضع نسبي في العربية بل لكن تعلم أنَّ كندة كانوا أقوياء فصحاء بلغاء خطباء شعراء رجالاً للملك وقادة للجـــيش ذوو أنعامٍ وأفضالٍ حتّى لقد كانت العجم من الروم والفرس يرغبون فـــي مصـــاهرتهم ويفتخـــرون بحمل بناتهم إليهم هذا ما لا يدفعه إلاّ جاهل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ولقريشٍ من الفضل والسؤدد والكرم وخاصّة لهاشم ما لا ينكره إلاّ مَنْ قد أعمى الحسد بصرَه وطمس نور عقله وكذلك قولي في جميع العرب وسائر قبائلهم لأنَّ لهم الفخر والسبق بالفضل والكرم تخصيصاً من الله على سائر العجم. فإنْ أدّعيت أنَّ كلامَ العربِ مدونٌ في الشّعر وأنَّ أخبارها قد قيدت به فلا نماريك فيه ونسلّه لكَ ولا نلتفت إليه وذلك قلّة اكتراث لهذا القول وقلّة مبالاة به لأنه قولٌ لا يخفي فساده على ذوي الألباب وتدحض الحجة فيه ولا تثبت عند أهل النظر لأننا قد نجد كلّ مشغوفٍ مصروفٍ ودعي أعجمي قد قال الشَّعر فإذا نحن قرأنا شعره بشعر غيره من العرب العاربة أهلّ اللسان البدوي لم نجده مختلفاً عنهم ولا مجانباً لهم بل وجدناه سالكاً سبلهم محتذياً منهجهم وإذا كان هذا كذلك فليس تدوين العرب إذن أخبارها وتقييدها كلامها بالشّعر حجةً في كتب سرائر الله للقائل بها حجة ناطقة لأنَّه لا يؤمن أنْ يكون قد قيل من الشعر ما قد أشبه به شعر القدماء من العرب بما قد وقع فيه من الفساد والتغيير والزيادة والنقصان فليس إذن الشعر حجةً عند أهل الفحص والنظر ولا دعوى صحيحة بل هو عند الحكماء والفلاسفة هذيان الموسوسين غير أننا معشر العرب نقدم الشعر ونؤثره ونقول بمحاسنه ومفاخره ونذكر فضائله ونعلم أنّ ديوان العرب فيه آداب كثيرة وعلوم ظريفة وأحاديث عجيبة ولا نشك عند تحملنا الأمور إنْ صدقنا أنفسنا أنَّه قد أفسد وأدخل فيه ما ليس منه بالتشبيه والمقايسة لأنَّه كلامٌ لا يخطر عليه وإنَّما هو منصور من خواطر النفوس الفارغة وشاع بين الناس جميعاً يتناوله من أحب ويناله من طلبه تقرّباً به إلى

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الملوك للاكتساب والمواصلة إليهم بأسبابه فلهذا احتمل أنْ يدخل الفساد والتغيير والزيادة والنقصان فليس إذن الشعر حجة البتة في شيء من كتب سرائر الله إلاّ لغة فاسدة ناقصة العقل فاقدة التركيب. فلا تظلم أصلحك الله عقلك وتبخس تمييزك حقه بغلبة سلطان الهوى الجائر والعصبية فإنّه إنّما يجوز مثل هذا على الأغمار والجّهال والآفنين وأهل النقص في الرأي الذين لا عقل لهم ولا معرفة عندهم ولم يتخرجوا بمطالعة الكتب ومعرفة أصول الأخبار المتقدمة فهم همجٌ كأجلاف الأعراب المعتادين لأكل الضب والحرباء قد ربّوا على الفقر والمسكنة وشقاء العيش في البوادي والبراري تسفعهم سمائم الصّيف وزمهرير الشتاء وهم في غاية الجوع والعطش والعري فحيث لوح لهم بذكر أنهار خمر ولبن وأنواع الفاكهة واللحم الكثير والأطعمة والجلوس على الأسرة والإتكاء على فرش السندس والحرير والإستبرق ونكاح النَّساء اللواتي هنّ كاللؤلؤ المكنون واستخدام الوصائف والوصفاء والماء المعين المسكوب والظلّ الممدود التي هي صفات منازل الأكاسرة وقع هذا في خلدهم وكان بعضهم فقد رأي ذلك في اجتيازهم ومسيرهم إلى أرض فارس استطاروا فرحاً وظنوا أنهم قد نالوه فعلاً عند سماعهم إياه قولاً وظفرهم به فحملوا نفوسهم على محاربة أهل فارس لأخذ ذلك منهم وظفرهم به. وقد علمت أنَّ بعضهم قال لبعض في حربهم تلك وقد ظفروا بسلال فيها حلوى من خزائن الفرس فلمّا أكلوا وتطعموا حلاوة ما فيها قالوا: « والله لو لم يكن لنا ديانة نحارب فيها لوجب أنْ نحارب على هذا » فحاربوا أمة نجسة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

قذرة قد كانت طغت على الله وتجبّرت فسلّط جلّ وعزّ عليهم من لم يفكروا فيه قـطّ فقتلـوهم وأخربوا بيوتهم بما كانوا يظلمون ويسفكون الدماء الزكية وكـذلك حكـم الله وفعلـه بـالقوم الظالمين ينتقم ببعضهم من بعضٍ ومثل الأنباط والأسقاط الذين لا خلاق لهم قوم إنّمـا غـذوا بالشقاء وربوا مع البقر في السواد جورة[1] الحمير الذين لا أدب لهم ولا حسنى ولا علـم ولا معرفة فحيث تكلّموا بالعربية تنطقوا ببسط ألسنتهم واستعربوا عند أنفسـهم واسـتطالوا علـى الناس فأحدهم يدعي الإسلام قولاً بلسانه وفي قلبه بعض من مرض يهوديته ومجوسيته فهو لا يعرف من خلقه ولو قيل له ما الحدّ الذي تفرق به ما بين نفسك وخالقك والبهيمة لم يدرِ ولـم يحسن أنْ يميّز ولا يعلم ما هو ولا كيف هو الجواب فيه وإنَّما هم كالأنعام بل أضـل سـبيلاً وكالبهائم الهائمة على وجوهها يميلون مع كلِّ ريحٍ ولا يعلمون حقيقة ما دخلوا فيه مما كـانوا عليه أولاً مثل عبدة الأصنام والمجوسية وأوساخ اليهود وسفلتهم الذين إنمـا طلبـوا التعـزّز بالدولة والتطاول على الناس بالسلطان وبسط ألسنتهم على ذوي الأقدار وأولاد الأحرار وأهـل الحسنى والمعرفة وأهل الديانة والعلم والمروءة والصيانة والشرف والنسب ومثل أهل الريـب والخيانات أيضاً والجرائم الذين لم يكن يتهيأ لهم ارتكاب المحارم ونكاح الفروج التي حرمهـا الله عليهم مع بقائهم في الديانة النصرانية إلاّ بانصباب ذلك لهم بالدخول في هذه المقالة ومثـل من أباح لنفسه غاية الشره على الشهوات الجسدانية فمال إلى الدنيا ولذاتها

(١) جمع جائر وهو الحائد عن طريق السواء.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وزخرفتها طلباً للعزّ القليل الزائل الفاني وشيكاً الذاهب سريعاً منها وطرحاً للكثير الدائم الباقي الذي لا انقطاع له ولا زوال وهو في الآخرة فانحاز إلى هذا القول وجعله سبباً له وسلماً أوصله إلى ما أرد إذْ كان أقوى أسباب الدنيا يعبر منها ويعول عليها التي جعل سلطانها باب المدخل إليها والسبيل إلى ارتكاب الكبائر والمعاصي فيها ومال أيضاً إلى هذه المقالة من جعلها متجراً ومكتسباً لرزقه الذي قد كفاه ولقوته الذي قد فرغ له من الاهتمام به وألاَّ فهل رأيت أكرمك الله أو بلغك أنَّ من له بصيرة في الديانة أو علمٍ أو معرفة أو تحصيل للأمور أو قراءة الكتب وتفتيش لها واعتقاد صحيح أو نظر في حكمة أو مدعي فلسفة صحيح العقل والفكر انقاد إلى غير الديانة النصرانية وخرج منها جاحداً مقالته ناكراً معرفته من غير سبب دنيوي دعاه الاضطرار إليه ليجري بدينك وسلطانك على ما يريد من ركوبه وما تنازعه إليه نفسه من الأمور الخسيسة التي كانت الديانة النصرانية تحظرها عليه وتمنعه من الدخول فيها وتقبح له فعلها بل من لم يكن يتهيأ له ذلك ولا يمكن فعله دخل في دين هو مطمئن فيه لما يريد من ذلك آمناً غير خائفٍ تحت سلطان هذه الدولة مظهراً متابعة أهلها على قولهم. فهذه أكرمك الله أقوى أسباب هؤلاء الذين تراهم قد وافقوك على مقالتك واجتمعوا معك على اعتقادك وأكثرهم يعتقدون ويضمرون ويسّرون خلاف ما يظهرونه فمنهم من يزري على صاحبك في حسبه ونسبه ومنهم منْ يسبّه ويدّعي في ذلك الكذب والبهتان ومنهم من يزعم أنْ غيره كان أحق بالأمر منه ولكنه وقع إليه ذلك بالغلط وبعض يقول

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

إنَّ الروح القدس انقسم ثلاثة أقسام فقسم كان في عيسى وقسم في موسى وقسم في رجل آخر أكره ذكره.

وإنَّ صاحبك خلو من ذلك فهؤلاء عندي أجهل البرية وأشرّ من الزنادقة وأردأ مذهباً منهم وهم يظهرون الإسلام ويفتخرون به في ظاهرهم وكل ذلك ليتعززوا بسلطان الدولة على النَّصارى السليمة قلوبهم المشبهين الحملان بين الذئاب الخاطفة كما سبق قول سيدهم ومسيحهم ومخلِّصهم الذي أعلمهم بما هو مزمع أنْ يكونَ من أمرهم. ولو أسهبت لأصف لكَ مقالات أصحابك ومعاذ الله أنْ يكونَ لك أصحاباً بل هم أصحاب الشياطين وحزبه وشيعته وأولياؤه وما يروونه من الأحاديث الكاذبة الشنيعة التي تكاد تخزي الجبال منها للفرية التي فيها على الله جلّ ذكره أولاً ثم على صاحبك وما يقذفونه به من الأباطيل ويشنعون عليه به من الكذب الذي لم يخلق الله له أصلاً وصاحبك برئ منه كلّه لطال كتابي بذكره. فما قولك في من يروي عنهم أنَّهم يقولون لربما هوينا أمراً فوضعناً فيه حديثاً وما أظنك ممن يروي أنَّ الله جلّ وعزَّ عمّا يفترون بعث إلى أبي بكر يقول: « يا أبا بكر أما أنا فراضٍ عنكَ فهل أنت راضٍ عني » فحسبك بهذا دليلاً على فريتهم على الله جلّ وعزّ وكذبهم وشنيعتهم وكم مثل هذه الأحاديث قد زوروها وألّفوا عليها فلعمري لقد صدق صاحبك حيث قال إنّه ما من نبي إلاّ وقد كذبت عليه أمته وأنَّ أمتي ستكذب علي أيضاً ولكني لا أعرف أمةً كذبت على نبيها كذب اليهود ما أدري ما أقول في هؤلاء وفي كذبهم. وأمّا الخلاف في الأذان

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

والتكبير في الجنائز والتّشهّد وصلاة الأعياد وتكبير التّشريق ووجوه القراءات ووجوه النسيء والفتيا وما أشبه ذلك فإنَّه أمرٌ يطول خبره جداً ولولا أنني أعلم أنّك الرجل الذي قد فتشت أحاديثهم وانتقدتها وعرفت جميع عوارها وانكشفت لكَ مجاريها لكتب إليك في هذا الفنِّ أشياء يطول الخطب فيها لكنّي أعرفك عالماً بجميعها غير شاكٍ في ذلك وقد سبرت الدولة وظاهر قول الديانة واسم الإسلام والتّحلي به والأعاجيب من اعتقادهم وكذبهم على الله وأنبيائه ورسله وأوليائه وعباده الصّالحين وما يكتمون من النِّفاق ويظهرون أنَّهم النقية قلوبهم السليمة صدورهم وهم الدغلون الغاشّون لله جلّ ذكره ولأنبيائه ورسله إذْ كانوا يروون عن الله مثل هذه الأحاديث فكيف لا تأخذهم الرّجفة وكيف لا تطبق عليهم السّماء بالسخط والعذاب وهم ينطقون بمثل هذه العظائم ولكنه جلّ وعزّ لم يزلْ مستعملاً طول الإناءة والإمهال لأنه جلّ اسمه لا يخاف الفوت وهم إليه يرجعون فهو يمهلهم إلى يوم تتكشف فيه الستور ونعوذ بالله أنْ نكون من القوم الظالمين. وأما قولك أصلحك الله إنَّه مكتوب على العرش لا إله إلا الله محمد رسول الله فلقد كثُر تعجُّبي منك كيف جاز هذا عليك في فطنتك ودقة عقلك وصحة فكرك وكيف أمكن أنْ تتصور مثل هذا في عقلك أنه صحيح حتى ترويه وتكتب به إلى مثلي من أهل اليقين ومن تعرفه بصحة الانتقاد وشدة الاعتبار وجوابك في هذا عندي مما يتمثل به العامة أنك تخدع نفسك وتضع من عقلك وذهنك لأنّك في حكمتك لم تترك شيئاً للمشبهة اليهود الذين يحدّون الله ربَّهم أنه جالس على

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

عرشٍ محدود فلم ترضَ أنْ أجلسته على عرش محدود حتى تكتب على العرش اسمه واسم آخر من خَلْقه ليت شعري أهو كتب ذلك الكتاب أم كُتب له ولك كتب ذلك لنفسه لئلا ينسى اسمه أم لتعرفه الملائكة فقد كانت عرفته الملائكة حين أراد خلق النور فقال ليكن النور فكان النور وعند ذلك مدحته وسبحته قائلةً سبحان خالق النور وعلمت أنها مخلوقة وأنّ لها خالقاً فتلك المعرفة في الملائكة قائمة غير زائلة بأنه خالقها وليس لها حاجة إلى أنْ يكونَ لها كتاب نصب أعينها يذكرها لئلا تنسى اسم خالقها وهي تسبّح اسمه وتقدسه من غير فتورٍ ولا انقطاعٍ وتنفّذ أمره جلّ وعزّ في كل لحظة وإنْ كان إنَّما كتب ذلك للناس فهم غير منتفعين به لأنهم لم يروا ذلك العرش ولا قرأوا ما عليه من الكتابة، فإنْ قلت إنَّ ذلك كُتب ليُقرأ يوم القيامة فأقم لنا دليلاً وبرهاناً على ذلك صحيحاً مقنعاً على أنّك تعلم أنّ الناس كلهم يوم القيامة يُعطَون المعرفة الكاملة بخالقهم وتبطل في ذلك الوقت الشكّوك وتضمحل الظنون ويحصلون على اليقين الصحيح في يومٍ لا ريب فيه تُجزَى كلُّ نفسٍ بما كسبت فلها شغل بما هي فيه فقد هدر قولك وتهافت دعواك أنَّ على العرش مكتوباً لا إله إلاَّ الله محمدٌ رسول الله بعد فلم أرَ أحداً من أصحابك يوافقك على ذلك ولا يطابقك على رأيك بل كلهم وأكثرهم الرّاسخون في العلم يبطلونه ويردونه أشدّ ردّ ويكذبون به أعظم تكذيب وأنّه محال لم يأتِ ذكره في الأثر ولا له في كتابك الذي زعمت أنه منزل من عند الله عزَّ وجلّ ذكر البتةً فليت شعري من أين جئتنا أنت به بل أخاف يرحمك

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الله أنْ تكون أخذته من سماجات اليهود فإنَّ لهم مثل هذا وشبهه من التّشنيعات التي قد وضعوها ودّسوها إليكم بلطيف حيلهم ورقة كيدهم في الإدغال طلباً للمعاتب والمكايدة وإلقاء الشرور بين الناس فإنْ صدَقْت نفسك أصلحك الله علمت حقاً أنَّ هذا محال لا معنى له ولا منفعة وإنَّ الله في حكمته لا يفعل المحال وما ليس له معنى وقد وجدنا إجماعكم على أنَّ الرجل إذا قام خطيباً فيكم يبالغ في دعائه ويظن في نفسه أنه قد بلغ الغاية القصوى في خطبته فيفتتح كلامه قائلاً « اللَّهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم » فأراك أبقاك الله ظننت أنك قد بالغت له في الدعاء والصلاة عليه إذْ تمنيَّت له وطلبتَ متشفعاً أنْ يصير مثل إبراهيم وكأحد آل إبراهيم فهذا أصلحك الله نهاية الشناعة أنَّ رجلاً اسمه مع اسم الله جلَّ ذكره وتقدَّست أسماؤه مكتوب على العرش من نور وإنَّ آدم بل الدنيا كلها إنما خُلقت بسببه كزعمكم تتمنى له اللحاق برجل من آل إبراهيم ممن قد علمت وأكره ذكر اسمه في هذا الموضع وكتابك الذي تزعم أنَّه منزل من السماء يشهد ويكرر الشهادة في عدة مواضع قائلاً ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴾ (بقرة) فقد وجب عليك في هذا القول إن بني إسرائيل أفضل منك وممن ذكرته بالفضائل وإنَّما كان عهدي بمثل هذه الشناعات من عمهة اليهود ولم أظنَّ عقلاء المسلمين يعتقدون بمثل هذا وشبهه وجواباً لكَ أرشدك الله في الماضي والمستأنف من كتابنا هذا على قدر ما يحتمل من الكلام على

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

إنَّا قد وضعنا النصفة بيننا وبينك أساساً لكلامنا وطرحنا التطاول بالسلطة والبذخ والتّفاخر والأنساب لأنّا إذا حصلنا على علم بأنفسنا وصدقناها عرفنا إنّه ليس لأحدٍ على صاحبه فضلٌ في النّسب وأنّنا نرجع إلى أب واحدٍ وأم واحدة وجميعنا خلقنا من طينةٍ واحدةٍ ليس لحم أطيب من لحمٍ ولا دم أطيب من دمٍ وإنّما التّفاضل والتّقدم بالعقول والعلوم ولقد أحسن عندي القائل قيمة كلّ امرئ ما يُحسن من علمه وعمله وإنّي كثيراً ما استصوب هذا الكلام من قائله وإنَّما أدخلت هذا القول في هذا الموضع وإنْ كان ليس من جنسٍ ما نحن بصدده حتى إذا نظر في كتابي ناظر متعنتٌ ينظر بعين العماهية والجهالة التي ثمرتها الحسد لا يسبق إلى قلبه لضعفه وركاكته أنّي لم أكن عارفاً من حقكم أهل البيت ما أعرفه وأوجب ما أوجبه فكيف وأنا معتقد ذلك بجميع ذرية آدم ولكنّني استعملت ما قاله بعض الحكماء إنَّ ترك الجواب في موضعه عيّ وظلم للعقل فكرهت أنْ أكونَ ظالماً لعقلي ولم ألتفت إلى هذا الحاسد وهذيانه وجهله وطرحت كلامه وراء ظهري بل لم أتّوهمه إلاّ عدواً فضلاً عن التفاني إليه.

وأما ما دعوتني إليه من الصّلوات الخمس وصيام شهر رمضان فالجواب في ذلك إقرارك بلسانك في كتابك وما خططته بإصبعك من أمر صلواتنا وصومنا ومواظبتنا فقد رأيت ذلك معاينةً وسمعتَهُ وشاهدتَ تلك الأمور الإلهية المخالفة ما دعوتني إليه من الأمور المبهرجة المدلّسة فاكْتفِ أكرمك الله بما رأيت وليكن لك دليلاً وجواباً

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فلست أجيبك في هذا بأكثر مما عندك من المعرفة وكفاك بذلك حجة عند نفسك.

وأمّا قولك أنْ نستعملَ الوضوء ونغتسل من الجنابة ونختتن لنقيم سُنَّة أبينا إبراهيم فجوابك قول المسيح الرّب لليهود وقد قالا له لِمَ لا يغتسل تلاميذك فأجابهم الرّوح المحيي مخلص العالم وما[1] الذي يغني عن البيت المظلم أنْ يكون في ظاهره مصباحٌ يتّقد وباطنه مظلمٌ وإنّما يجب أن تغسل النيّات والقلوب من دنس الفكر وغلّ الخطايا الدنسة الرّجسة فأمّا ظاهر الأبدان فما معنى العناية في تنظيفها فيا أيها المراؤون الآخذون بالوجوه الذين يشبهون القبور المزخرفة من خارج وفي داخلها الجيف المنتنة كذلك أنتم تغسلون ظاهر أبدانكم وقلوبكم دنسة نجسة بالآثام. وما معنى غسل اليديْن والرجليْن والقيام على الصلاة وعقد القلوب والنيّات والضمائر على قتل النّاس وسلْب أموالهم وسبي ذراريهم. فانظرْ أصلحك الله كيف أجابهم السيد المسيح إنّما ينبغي للإنسان أولاً أنْ يغسل داخل قلبه ويطهره من الأفكار الرديئة المؤدية إلى الشّرور وإلى إدخال المكروه على الناس وإذا نظفَتْ نيّته وطهر ضميره من ذلك الاعتقاد الرديء حينئذٍ يغسل ظاهر بدنه بالماء. فميِّزْ هذا القول أصلحك الله وانظرْ فيه بعقلك أليس هو قول مقنع وجواب شافٍ. وأمّا الختان فينبغي لكَ أولاً أنْ تعلمَ قصته ثم تحثّ النّاس على ذلك وأنْ يمتثلوا سُنَّة إبراهيم أبيهم فأقول إنَّ الله جلّ اسمه لما كان مُزمعاً أنْ يُدخل بني إسرائيل الذين هم ولد إبراهيم أرض

---

(١) قابل مع مرقس ص ٧.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

مصر ولم يزل عالماً أنَّ الشرَ سوف يحملهم على ارتكاب الفواحش التي قد حرّمها عليهم ونجس أهلها جعل هذا سبباً لمن أرد ارتكاب الفاحشة من امرأة مصرية نظرت إلى هذه العلامة التي في جسده وهي الختان فامتنعت ولم تواتيه فوسمهم الله بهذه السّمة لهذه العلة فكيف تحثّ النّاس على الختان وأنت تعلم أنَّ صاحبك لم يختتن كزعم أهل مقالتك على ما نقلت الرّواة عنه أنه لم يكن مختوناً بتةً لأنهم شبّهوه كما ادّعوا له ذلك أنّه كآدم أبي البشر وشيث ونوح وحنظلة بن أبي صفوان وهذا خبر ليس أحدٌ من أصحابك ممن يعتقد مثل اعتقادك يشكّ في صحته. فإنْ قلت إنَّ المسيح قد اختتن قلنا لك قد اختتن لإقامة سُنَّة التوراة لئلا يُرى أنَّه استخفَّ أو نقص شيئاً من سُنتها ثم أكّد ذلك بقوله « لم آتِ لأَنْقُضَ بَلْ لأتمم وأُكَمِّلَ »[1] وكذلك قال الرسول الحقّ بولس[2] إنْ كنتم إنّما تختتنون لأن المسيح اختتن فإنَّ ذلك لا ينفعكم شيئاً ولا الغُرْلة أيضاً تضرّ شيئاً مع الإيمان الصحيح والقلب السّليم النقي وإلاّ فيجب لكَ أيضاً أنْ تقرّب القرابين وتحفظ السّبت وتعمل الفصح وتقيم شرائع التّوراة كلها كما أقامها المسيح سيدنا فإنّه فعل ذلك ورفعه عنا وأكمله وأتّمه بفعله إياه وكفانا مؤونة العمل بشيء منه وأغنانا بسننه الحسنة الإلهية وشرائعه الرّوحانية التي دفعها إلينا عن السنن التي شهد جلّ وعزّ على لسان نبيه قائلاً إنّي أعطيتكم يعني بني إسرائيل سنناً ليست بحسنة وشرائع لن تقدروا أنْ تحيوا بها. فإنْ أنصفتنا علمت أنَّ

---

(١) قابل متى (ص ٥: ١٧).
(٢) قابل رومية ص ٢ و٣.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الختان ليس هو عليك فريضة واجبة لأنَّ كتابك الذي تدعي أنَّ فيه شرائع ديانتك يذكر أنَّ ليس الختان شريعة واجبة وإنّما هو سنَّة من شاءَ استشنعها وعمل بها ومنْ شاء استشفها ولم يعمل بها. ومن اختتن من أصحابنا وأسبغ الوضوء واغتسل من الجنابة فليس يفعل ذلك لأنه سنّة واجبة وفريضة لازمة عليه لا يحلّ له إلاّ القيام بها بل يفعله على سبيل العادة الجارية عند أهل الزمان والتّشبه بأهل دهره الذي هو مقيم بين أظهرهم للنظافة الظاهرة لا غير لعِلْمنا أنَّ من تغوَّط كان أحق أن يُفيض عليه الماء السّابغ بقدر ما يخرج منه نتن الرائحة قبيح المنظر بخلاف من تصيبه الجنابة التي لا لون لها منكر ولا رائحة منتنة بل يتولّد منها إنسان كامل المعرفة بالعقل والعلم يكون منه النبي المرسَل والملك المسلّط والحكيم الناقد والعبد الصّالح المسبِّح لله ليلاً ونهاراً وكذلك يفعل من اجتنب منّا أكل لحم الخنزير كاجتنابه أكل لحوم الحمير والجمال لأن ذلك غير محرَّم عليه لأنَّ الله لم يخلق شيئاً قبيحاً كقوله جلّ اسمه في التوراة على لسان موسى نبيّه في سفر الخليفة « فنظر[1] الله إلى جميع ما خلق فرآه حسناً جداً » فالله تبارك وتعالى استحسن كلّ ما خلق أفأجترئ أنا وأقول عن شيء خلقه إنه قبيح أو حرام إذن أكون معانداً لله مقاوماً ما خلقه واستحسنه ومعاذ الله أن أكون لربي معانداً بل كلّ ما خلقه الله مما تقبله نفسي ويجوز لي في طبيعتي آكله فهو مطلق لي ولجميع ولد آدم غير أكل الدم والميتة وما ذُبح للأصنام فإنه نزل في تحريمه أمر من الله نصّ والسبب في تحريم الخنزير والجمل

---

(١) قابل تك (١: ٣١).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وغيرها مما حرّم على بني إسرائيل أكله فذلك إنّما حرّم عليهم لعلة معروفة مشـــهورة لأنهـــم حيث كانوا مقيمين بمصر نظروا إلى أهل مصر يعبدون الأصنام التي كانت على خلق الثيران والبقر والكباش وسائر الغنم ألا ترى كيف أجاب موسى لفرعون قائلاً له لن يجوز أن تقـــرب لله قرابين تُجاه المصريين لأننا إنّما نريد أنْ نقرِّبَ القرابين التي يعبدونها وهـــي آلهـــتهم فـــإذا فعلنا ذلك بين أيديهم لم نؤمن أنّهم يرجموننا إذا قرّبنا آلهتهم وذبحناها فدلّ بهذا القول أنَّ أهـــل مصر كانوا يعبدون الثيران والبقر الكباش وسائر الغنم ودليل آخر إنَّ موسى حيث أقـــام فـــي طور سيناء وثب بنو إسرائيل على هارون أخيه قائلين له اتّخذ لنا إلهاً نعبده فإنَّ موســـى قـــد أبطأ علينا ولا نعلم حاله وإنما اتّخذ لهم صنماً على صورة العجل على منهاج ما كانوا يـــرون من عبادة أهل مصر مثله فكان المصريون يعبدون هذه الخليقة مـــن البهـــائم ويقرّبـــون لهـــا القرابين مما كان خلافها كالخنزير والحمار والجمل والفرس وما أشبه ذلك من الأشـــياء التـــي هي عندهم أخسّ في الخلقة من خلقه آلهتهم فحيث أمرَ الله موسى بالقرابين أمره أنْ يقرّب لـــه من الثيران والبقر وسائر الغنم لا غير ذلك وأمر أنْ ينجسَ الخنزير والجمل والحمار والفـــرس ليعلموا أنّ هذه نجسة في أكلهم إياها فضلاً عن تقريبها لي إذا كان المصريون يقربونها لآلهتهم بل كل لحوم الثيران والبقر والكباش وسائر الغنم التي كانت آلهة عند أولئك وقرّبوا لـــيّ منهـــا وتجنّبوا أكل الخنزير والجمل والحمار والفرس وما أشبه ذلك ولا تقرّبوا لي شيئاً منها أصـــلاً لأنّها نجسة غير زكية لذلك السبب فزهدهم في عبادة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الثيران والغنم الكباش والبقر بإطلاقه لهم أكل لحومها وتقريب القرابين منها وزهدهم في عبادة الخنزير والجمل والحمار والفرس وما أشبه ذلك، ونفرهم منها بأنْ صيّرها نجسةً غير زكيـــة ولم يطلق القربان منها فحذرهم من عبادة الجميع بالقوانين جميعاً فليس الحـــرام والنَّجاســـة أنْ يُؤكلَ لحم الثيران والبقر وسائر الغنم والكباش والخنزير والجمل والحمار والفرس بل الحـــرام والنجاسة أنْ نعبدَ هذه ونتخذها آلهةً من دونه جلّ وعزّ فأما مَنْ لم يعبدها ولم يكن اعتقاده أنها آلهة من دونه جلّ وعزّ أو قرب منها شيئاً للأصنام فليس ذلك بحرام عليه ولا بالنجس عنـــده ومأكلة لحوم الثيران والبقر والكباش وسائر الغنم والخنزير والجمل والحمار والفـــرس حـــلال ورزق من الله طيب يأكله الإنسان مطلقاً ما لم تُعفْه نفسه أو ينفر منه طبعه فـــإنْ تـــرك أكـــل الجميع أو بعضه فذلك إليه لا لوم عليه فيه فأمَّا تحريم لحم الخنزير فقط من بين البهائم كلهـــا وإطلاق أكل الجمل وتقريب القربان منه ولحم الحمار والفرس الذي أتى به صاحبك فالســـبب فيه من ذينك اليهوديْن عبد الله بن سلاّم ووهب بن منبه اللذيْن أفســـدا الـــدنيا وأهلكـــا الأمـــة وصاحبك بريء من هذا كله.

وأماّ دعوتك لي إلى حجّ بيت الله الذي بمكة ورمي الجمار والتلبيـــة وتقبيـــل الـــركن والمقام فسبحان الله ما أعظم هذا الكلام لقد جئت بأمرٍ فري كأنك تكلم صبياً أو تخاطب غبيـــاً أو تجادل عيياً فليت شعري أليس هو الموضع الذي عرفناه جميعاً حقّ معرفته ووقفنـــا علـــى أصول أسبابه وكيف كانت القصة في ثباته وكيف جرى أمره إلى هذه

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الغاية أَوَلا تعلم أنَّ هذا فعل الشمسيّة والبراهمة الذي يسمّونه النُّسك لأصنامهم بالهند فإنّهم يفعلون في بلدهم هذا الفعل بعينه الذي يفعله المسلمون اليوم من الحَلْق والتّعري الذي يسمونه الإحرام والطّواف ببيوت أصنامهم إلى هذا الوقت على هذه الحالة فلم تزدْ عليه أنت شيئاً ولا نقصت منه ذرةً فإنّك أخذته بذلك الفعل الذي سمَّيته النُّسك متمسكاً بتلك العادة محتذياً تلك السُّبل إلاَّ أنك تفعله في السنة مرةً واحدةً في وقت مختلفٍ وأولئك يفعلونه في السّنة مرتيْن في دفعتيْن معروفتيْن عند دخول الشمس أول دقيقة من الحمل وهو الربيع وفي دخولها أول دقيقة من الميزان وهو الخريف ففي الأول لدخول الصيف وفي الثاني لدخول الشتاء فهم يضحّون كما تضحّي أنت وينسكون كنسكك لأصنامهم وإنذارهم فهذا سبب حجّك ونسكك ومقامك تلك المقامات وأفعالك تلك الأعجوبات وأنت وأصحابك عالمون أنَّ العرب كانت تنسك هذه المناسك وتفعل هذه الأفعال منذ قديم الزمّن منذ بَنَتْ هذا البيت فلمّا جاء صاحبك بالإسلام لم نره زاد في هذه الأفعال ولا نقص منها شيئاً غير أنَّه لبُعد المشقة وطول المسافة وتخفيف المؤونة جعله حجةً واحدةً في السنة وأسقط من التلبية ما كان فيه شناعة والقصة هي تلك القصة بعينها التي تفعلها الشّمسيّة والبراهمة ببلاد الهند إلى هذه الغاية وتنسك فيها لأصنامها. وإنّي أستصوب قولاً لعمر بن الخطاب وقد وقف على الركن والمقام فقال والله لأعلم أنكما حجران لا تنفعان ولا تضرّان ولكنّي رأيت رسولَ الله يقبّلكما فأنا أقبّلكما كذلك فإنْ كان الرّواة الصادقون الذين

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

رووا هذه الرّواية عنه كذبوا عليه أو لم يكذبوا فقد صدقوا في ما حكوه عن هـذيْن الحجـريْن وإنْ كانوا صدقوا عنه أنّه قال ذلك فلقد قال قولاً حقاً فكيفما أردت القول أيها الحبيب لم يخرج عن قانون الحق فأمّا ما يريد العاتب أنْ يعيبَ به من يحلق شعر رأسه ويتعرّى ويعدو ويرمـي بالجمرات فهذا فعل من قد غرب عقله وأنكر فهمه ومن يتّخبطه الشّيطان فقـد نجـد مسـاغاً للعيب وموضعاً للثلب ولقد احتججنا لكم عند من ثلبكم بهذا وقلنا إنَّما يفعلونه من جهـة التَّعبـد وليس من التّعبد عيب فأجابنا إنَّ الله عزَّ وجلّ حكيم ولم يتعبد خلقه بالسنن الفاحشة الشّنعة التي تنفر الطِّباع منها ويستمسجها العقل بل بالسنن التي يستحسنها العقل ويفضـلها أعنـي السـنن الواضحة التي ارتضاها الله وفرضها على عباده أنْ يدينوا له بها ويتقربوا بإقامتهـا إليـه وإلاّ فما إنكاركم على المجوس الأنجاس حيث نكحت الأمهات والبنات والأخوات وتطهرنّ بـالبول المعتق وأوقفت النساء أما الموابذة حتّى ينضحوا البول المعتق على... بعد الولادة فإنْ كان هذا قبيحاً في التّعبد فما أنت فاعلوه من الحق والتّعري والرمي بالحجاة والهرولة أقبح وأقبح مـن هذا كلّه ما جاء في ذكر الطلاق ونكاح المرأة رجلاً آخر يُسمَّى الاسـتحلال وأنْ يـذوقَ مـن عسيلتها وتذوق من عسيلته ثم مراجعة الرجل الأول بعد ذلك وقد يكون لها أولاد رجال نبـل وبنات كبار ذوات بيوت والزوج الذي له الشرّف النفيس والحسب الخطير وتكون هي المـرأة النبيلة في قومها المُشار إليها في عشيرتها البهية في أهلها ذات المجد والبيت الرّفيع فهذا أقـبح وأشنع من فعل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

المجوس الأقذار الأنجاس وإنْ كان ذلك في غاية القبح والقذارة والنجاسة. فهل ترى أصلحك الله ورضي عنك أنْ تدعوني إلى هذا الذي تستشنعه البهائم وتستقبح فعله فأنّي أظن بغير شكٍ أنَّها لو سُئلت فأُذن لها في النطق لأخبرتنا بقبح هذه الأفعال واستشناعها إياها وأعلمتنا لو أجبنا إلى دعوتك أنّا قد ظلمنا تمييزنا وطباعنا وأعوذ أنْ أكونَ من القومِ الظالمين. وأمّا قولك إنّك تنظر إلى حرم رسول الله وتشاهد تلك المواضع المباركة العجيبة فقد صدقتَ أكرمك الله في قولك إنّها مواضع عجيبة وأيّ عجبٍ أعجب من تلك المواضع عند ذوي العقول والتمييز التي يرتكب فيها ما يرتكب من ظلم العقل والتمييز الذي فضّل اللهُ به الإنسان عن سائر البهائم وأنعم به عليه. وأمّا قولك إنّها مواضع مباركة فخبِّرني ما الذي صحَّ عندك من بركتها أيّ مريض مضى إليها فبرئ من مرضه أو أيّ زَمِنٍ قصدها فنهض من زمانته أو أيّ أبرص زار ذلك المكان فذهب عنه برصه أو أيّ أعمى صيّرته إلى تلك البقعة فانفتحت عيناه أو أيّ مخبط من الشيطان حُمل إلى ذلك البلد فرجع صحيحاً سليماً فما أظنك أبقاك الله بل كيف أظنك وحدك ولا أجد أحداً ممن يتقلّد مقالتك أو يرى رأيك يجترئ أنْ يفكر في مثل هذا ويقول إنَّ مثل ذلك الموضع فعل مثل ذلك فضلاً عن أنْ يدلنا على أحدٍ يومى إليه أنَّه كان عُوفي وانصرف عن مثل الحال التي طالبناك بها. وكيف أقول وأنت وأهل ملّتك ونبيك الذي تفخر به وبحجكِ إليه وليس أحد على وجه الأرض ممّن يضمه هذا الفلك المحيط يقدر أنْ يدَّعي شيئاً ممّا طالبناك به أو يصحّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

في يديه إلاّ مَنْ انتحل الملّة النّصرانيّة فهذا أمر قاطع فيك وفي غيرك من جميع أهل الأديان والممل فما معنى إضافتك ذكر البركة والتّشريف وإلحاقك ذلك في هذه المواضع وإنّما عرفنا البركات تحلّ في المواضع التي يُعبد الله فيها حقّ عبادته، ويأويها الأبرار الصّالحون الأتقياء الذين قد وهبوا أنفسهم لله فهم في طاعته دائبون ليلهم ونهارهم لا يفترون لا يشغلهم عن ذلك شاغل قد رفضوا الدنيا وخلوّها ونزعوا عن قلوبهم الفكر منها والاهتمام بشيء من أمرها فهم أحقّ بأنْ تنزل البركات من عند الله عليهم وعلى مساكنهم وتنزل الأشفيّة والعوافي على أيديهم وإذا سألوه أعطاهم وإذا طلبوا أنجح طلبتهم وإذا تشفَّعوا إليه شفعهم وإذا دعوه أجابهم لأن موعده لا يُخلَف فيه ولا يضيع عنده أجر المحسنين وكذلك قال الله تبارك وتعالى على لسان داود النبي « يطلب الأبرار فيجدون » وقال في موضع آخر « الرَّبُّ قَرِيبٌ ممن يدعوه بِالْحَقِّ ويأتي مسرة أتقيائه ويسمع دعاءَهم فيخلصهم والرب يحفظ جميع من يخشاه » (مزامير ٣٤ و١٤٥[1]) وأكّد هذا القول الرُّب المسيح في إنجيله المقدس بقوله « اِسْأَلُوا تُعْطَوْا اُطْلُبُوا تَجِدُوا » ثم قال في موضع آخر « أيّما رجلان منكما يتفقان على مسألة أمرٍ ما من الأمور باسمي فإنّهما يعطياها من أَبِي الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ »[2] فقد أنجز موعده وحقق قوله وصدق ما جاء به من النورِ والهدى في إنجيله فليس من مكروب ولا ملهوف

---

(١) قابلهما.
(٢) قابل متى (١٨: ١٩).

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ولا محزون ولا مريض ولا مستغيث يسأله بإيمانٍ صحيح ونيةٍ صادقة وقلب سليم من أولياء المسيح باسم المسيح المقدّس الطّاهر إلاَّ فرج عنه همّه وغمّه وكربه وكُفي مؤونة حزنه ونزلت له العافية والشّفاء من الله بوساطة أوليائه وبركة دعاء الصّالحين من عباده لأنّه طلب الأمر من جهته وسأل حاجته من الناحية التي تُسال الحوائج منها فهذه الديارات العامرة بالبِيَع وجميع المواضع التي يُذكر فيها اسم المسيح مخلص العالم ويأوي فيها الرهبان ممتلئة من هذه البركات تفيض إلى جميع من صار إليها وقصدها بإخلاص نيته وسلامة قلبه واسترسال إلى مَنْ يسكنها وتصديق لما في أيدي مَنْ يطلب منه ذلك فيضاً لا يطلب من أحد ثمناً ولا مكافأة ولا ينال على ذلك جزاءً ولا شكراً لأنّ المسيح مخلّص العالم قال في إنجيله الطاهر « مَجَّاناً أَخَذْتُمْ مَجَّاناً أَعْطُوا ولا تَقْتَنُوا ذَهَباً وَلا فِضَّةً » (متى ١٠). فهم حافظون لوصيته تابعون أمره مقتفون أثره وهو جلّ ذكره يسمع دعاءهم ويؤتي البركات وينزل الرحمة والأشفية على أيديهم للناس كافة لا من عاند الحقّ وارتد خائباً وصدّ معرضاً عن التَّقوى فإنّه يخيب ويخسر على أنّه إنْ رجع قُبِلَ كما يقبل الآب الابنَ الحبيب الذي نظير الضّالة يشرد عن بيت أبيه ثم يعاتب نفسه فيرجع نادماً تائباً عارفاً بما يجب عليه من الحقّ اللاّزم له مقراً بخطيئته متنصلاً من ذنبه منخذلاً ذليلاً لما جنى من نكوصه وشرّه فتتلقاه رحمة أبيه فيقبله حقّ القبول ويسرّ بتوبته واعتذاره ويفرح بموافاته وأوبته ولا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يؤاخذه بما جناه على نفسه بقلّة معرفته وجهل صبائه ثم يقول له إنّك أنت كنتَ ميتــاً فعشــت ضالاً فاهتديت ومستغوياً فرشدت.

فميّز أصلحك الله الأمريْن ولا تتداخلنك الحمية لأنّها ثمرة كيد الشــيطان إنَّ الشــيطان كان للإنسان عدواً فهل ترى لي يرحمك الله أنْ أدع ما في يدي من هذه النعمة العظيم قــدرها الجليل خطرها التي تغبطني الملائكة عليها فضلاً عن بني البشر من ذريــة آدم ومــا كانــت الأنبياء والملوك والأبرار تترجاه وتتوق أنفسها إليه ويأخذ بما كتبت به إلى ما يأنف منه طبعي ويأباه تمييزي ويلومني عليه عقلي وينفر منه ما أظنني أكون إذا فعلــت ذلــك لنفســي مــن النّاصحين ثم قلتَ أدعوك إلى سبيل الله الذي هو غزو المخالفين والكفــرة المنــافقين وقتــال المشركين ضرباً بالسيف وسلباً وسبياً حتى يدخلوا في دين الله ويشهدوا أنْ لا إلــه إلاَّ الله وأنَّ محمداً عبده ورسوله أو يؤدوا الجزية عن يدٍ وهم صاغرون فهل أردت أبقاك الله أنْ تــدعوني إلى فعل الشيطان المنزوعة منه الرحمة الذي إنَّما أفرغ حسده لآدم وذريته في شــرذمةٍ مــنهم استغواهم فأفرغ فيهم غيظه وملآهم حنقه وحدته وجعلهم سلاحاً له وأولياءً ينقــادون لإرادتــه ويبلغون مشيئته ويأتون مسرّته وينتهون إلى طاعته ومحبته في القتل والسلب والسبي فعرّفنــي كيف أجمع بين قولَيْك وبين تباعدهما وأنت القائل نقضاً لهذا في كتابك الذي تدعي أنه منــزلٌ من عند الله ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَــوْنَ عَــنِ الْمُنْكَــرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ (آل عمران) ثم تكتب ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ﴾ (بقرة) ثم تزيد في هذا شيئاً ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لآمَنَ مَنْ فِي الأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعاً أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللهِ ﴾ (يونس) أفلا ترى كيف يناقضك هذا القول ثم تكتب ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ واتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ واصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴾ (يونس) ثم تكتب أيضاً في موضع آخر ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلاَّ مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ ﴾ (هود) ثم تكتب تأكيداً لهذا القول عن صاحبك أنّه « بُعث بالرّحمة للنّاس كافة » فأيّ رحمة مع القتل والسبي والسلب وإنني لكثيراً ما أتذكّر بعض اليهود إذْ يُسمي كتابك ناقض نفسه فأنا لا أسمّي كتابك بهذا الاسم الشنيع بل أسمّي كلامك حقاً مناقض نفسه إلاّ فأنت مدعٍ ما أنت دائب تدعي ثم ترجع لنفسك وتنقض كلامك لكنني أسألك أنْ تخبرني عن سبل الشيطان هل هي إلاَّ القتل والسفك والسلب والسّبي والسّرقة أتقدر أنت أو غيرك أنْ تقول في هذا إنّه ليس كما كتبت إليك فإنْ احتججت علينا بموسى نجي الله تبارك وتعالى أنَّه قاتل الكفار وعبدة الأصنام قلنا لك أذكر أصلحك الله ما قرأته في التوراة كم من أعجوبةٍ وكم من آيةٍ فعلها موسى حتى صدقناه وإنَّ الذي أتاه من الحرب وقتال عبدة الأصنام كان من أمر الله وكذلك يشوع بن نون حيث استوقف الشّمس والقمر فوقفا له وكان ذلك منه آية معجزة لا يقدر على مثلها إلاَّ من كان من أولياء الله جلّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وعزّ فأية آية تقدر أنت على ذكرها أو أية أعجوبة تخبرنا أنّ صاحبك جاء بها مقدمةً تكون شاهدةً له يجب علينا بها تحقيق قوله وتصديق ما جاءنا به وخاصة قتل الناس بأمره وأنْ يسلبهم أموالهم ويسبي ذراريهم ويقصد بذلك قوماً هم أولياء الله المعتصمون بعبادته القائمون بفرائضه وسننه وقد بذلوا مهجهم في دينه وآمنوا بمسيحه واتّقوه حقّ تقاته فهداهم إلى الحقّ المستقيم فوجوههم مضيئة في الدنيا والآخرة. ثم لم يقنعك حتى سمّيته سبيل الله فحاشا لله جلّ وعزّ أنْ يكونَ هذا سبيله أو يكون اقترف شيئاً من هذه المآثم أحد من أوليائه أو من أهل طاعته لأنَّ الله جلّ وعزّ لا يحب عمل المفسدين وكيف أقول في تناقض هذا الأمر وتضاده إذْ تكتب ﴿ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ (بقرة) وتزعم أنَّ الله تبارك وتعالى قد قال ﴿ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ والأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ واللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ (آل عمران) وأنت الذي تقول ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ (بقرة) وأنت الذي تقول ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴾ ثم تختتم ذلك فتقول ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ (الكافرون) وتقول ﴿ وَلاَ تَجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلاَّ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ (عنكبوت) ثمَّ أنت تحثّ على قتل الناس ضرباً بالسيف وسلباً وسبياً حتى يدخلوا في دين الله كَرْهاً وقهراً وكيف أصنع بك وبأي قوليك آخذ بالأول أم بالثاني فندخل على قولك إنّه ناسخ ومنسوخ فإنّك الذي تدعيه هذا وإنْ ادّعيته لم تلحق معرفته

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لأنّك لا تدري أيهما الناسخ ولا أيهما المنسوخ فلعلّ النّاسخ هو الذي عندك المنسوخ وكذلك ينعكس عليك القول فيه إنّ الذي هو عندك المنسوخ هو النّاسخ فإذا قد أقررت بالجهل بهذا وأنّك لم تحط معرفة به ولم تثبت له عندك حجة ولا تقدر أنْ تقيم فيه برهاناً صحيحاً عند مَنْ يطالبك بالبرهان الصحيح فليس بك ولا بنا حاجة إلى ذكره. فقد خلصنا منك الآن على أنّك خالفت وادّعيت أنَّ صاحبك بُعث بالرحمة والرأفة إلى الناس كافة وأنَّ لا إكراه في الدين وفي قولك أنْ تضرب الناس بسيفك وتسلبهم وتسبيهم حتى يدخلوا في دينك كرهاً ويقولوا بقولك قسراً ويشهدوا بشهادتك قهراً.

فإذا كنّا إلى هذه الغاية لم نقف بعد هذا كلّه على صدق أحد قوليك وأيهما المنزل والمأخوذ به وجب عليك من هذه المقدمات أنْ تكونَ النتيجة في ذلك أنَّ القوليْن كليهما باطلان غير محقيْن لأنَّ الذي هو عندك حقّ يحب أنْ يُعمل به لعله هو الباطل المتروك الذي لا يجب أنْ يؤخذ به ولا يُعمل عليه وأنّ الله جلّ ثناؤه لم يأمر ولا بشيء منهما فهل بلغك يرحمك الله أو قرأت في شيء من الكتب المنزلة أو غيرها أنَّ أحداً من الدعاة استجلب الناس إلى مقالته ودعاهم إلى الإقرار بما جاء به قهراً وكرهاً أو ضرباً بالسيف وتهديداً بالسلب والسبي غير صاحبك فقد عرفت قصة موسى وما أتى به من الآيات المعجبة وقرأت قصص الأنبياء بعده وما فعلوا وكان ذلك محققاً وشاهداً لما جاءوا به إنّه من عند الله. وقد هذرت المجوس الأنجاس في ما أدّعت وزعمت عن زردشت أنَّه حيث صار إلى جبل سيلان

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

نزل عليه الوحي هناك فحينئذٍ دعا كشتاسف الملك ودعاهم فأجابوه وأذعنوا له حيث أراهم بسحره ومخاريقه وتمويهاته ما هو عندهم آية تمتنع في الطباع مثل الفَرس الذي أحياه بعد موته ومثل ذلك الكتاب أتى به من الزمزمة الذي زُعم أنَّه يشتمل على كل كلّ لسانٍ وجُمع فيه كلام أكمل لغة نطق بها الآدميون وكتبه في اثني عشر ألف مجلد من جلود الجواميس وسمّاه زندوستا أيْ كتاب الدين فهم إذا سئلوا عن تفسيره أنكروا معرفته وأقرّوا بجهله وكذلك فعل البد بالهند حيث أراهم على ما زعموا عنقاء مغرب وفي بطنها جارية وهي تهتف بهم وتخبرهم إنّ البد صنمٌ محقٌ في كلّ ما دعاهم إليه وخبرهم به. فهذه بعض أخبار المستحسنين وخدعهم فهل تجد أكرمك الله أحداً من الدعاة الذين دعوا إلى حقٍ أو باطل إلاّ وقد جاء بحجةٍ أو دليل صحيح بأنَّ ذلك أمر بين وهو مموه في الظاهر ممتزج إلى أنْ يدخل في ميزان المحنة فحينئذٍ يتبيّن صحَّته من خُبثه وكذلك فعل كل ذي دعوة بأهل دعوته غير صاحبك فإنّا لم نره دعا الناس إلاّ بالسّيف والسّلب والسّبي والإخراج من الديار ولم نسمع برجلٍ غيره جاء فقال من لم يقرّ بنبوَّتي وأني رسول رب العالمين ضربته بالسيف وسلبت بيته وسبيت ذريته من غير حجة ولا برهان. فأمّا المسيح سيد البشر ومحيي العالم فيتعالى ذكره ويجلّ قدره أنْ تُذكر دعوته في مثل هذا الموضع وأنت عالمٌ بالقصة كيف كانت وكفى بعلمك أفرأيت أصلحك الله من استخار لنفسه في مثل عقلك وأدبك أنْ تدعوا مثلي مع شدة امتحاني وتحصيلي لها إلى مثل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ما دعوتني إليه وخاصة وأنا أتلو كلام سيدي يسوع المسيح ليلي ونهاري وهو شعاري ودثاري وأسمعه يقول « تفضلوا على الناس جميعاً وكونوا رحماء كي تشبهوا أباكم الذي في السماء فإنّه يشرق شمسه على الأبرار والفجّار ويحدر مطره على الأخيار والأشرار »[1] فكيف يظن بمثلي والمسيح يخاطبني بمثل هذه المخاطبة وقد ربيت في هذه النعمة ونجحت بهذه البركة وجرت في أعضائي وفي جسمي مع الدم دماً وفي عظامي مع المخ مخاً ونشأت في هذا النجاح والرحمة ونبت لحمي وشعري عليها فحاشا أنْ يقسو قلبي وأتمرد متشيطناً حتى أصير في صورة إبليس العدو القاتل فأضرب وأقتل أبناء جنسي وذرية آدم المجبول بيد الله وعلى صورته تعالى والله جلَّت قدرته هو القائل لست أحب موت الخاطئ لأنَّه اليوم في خطاياه وغداً يتوب فأقبله كالأب الرحوم سيَّما وقد شرَّف الله سبحانه وتعالى النوع الإنساني بأن كلمته الخالقة تجسَّدت منه واتَّحدت به وأعطته ما لها من الربوبية والألوهية والسلطان والقدرة فصارت الملائكة تسجد له وتقدّس اسمه وتسبّح ذكره كما يسبّح اسم الله وذكره ولا تفرِّق في ذلك بينهما ثمَّ زِيد نعمةً إلى النعمة المتقدمة بأن أُعطي الجلوس عن يمين ذي العزة تشريفاً لذلك الجسد المأخوذ منا الذي هو من ذرية أبينا آدم فهو مثلنا وأخونا في الطبيعة وخالقنا وإلهنا باتحاد الكلمة الخالقة به بالحقيقة ثم دفع إليه تفضلاً منه عليه وإكراماً له وإنعاماً جميع السلطان في السَّموات والأرض وخوَّله تدبير الخلائق وصيَّر

---

(١) قابل متى إصحاح ٥.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

البعث والنشور والدِّين إليه وأنْ يحكم حكماً نافذاً جائزاً على الملائكة والإنس والشياطين أفتريد يا حبيب أنْ أضادَ أمر الله تبارك اسمّه وأضربهم بالسيف وأسلبهم وأسبيهم إنّ هذا لجورٌ على الله عز وجلّ وعناد لأمره وظلم لنعمته وجحد لمعرفته وكفران لإحسانه وقلة شكر لتفضّله وأعوذ بالله من خذلان الله وغضبه. فإنْ قلت إنَّ جلّ ذكره قد نراه يميتهم ويبليهم بالأسقام والأوجاع فما يمنعك من التشبُّه به فأجيبك أصلحك الله أحضر جواب وأصحّه ليس كجوابك في الروح حيث سُئلت عن أمر الرّوح فكان جوابك إنه من أمر الله وهو جواب لم يسمع السّامعون بمثله. أما نحن فنجيبك في هذا ونقول إنَّ الله تبارك وتعالى إنَّما يبتلي ويُميت عباده لا لأنّه يريد الإضرار بهم أو عن بغضٍ منه لهم ولو كان ذلك كذلك لما خلقهم فكيف وإنّما خلقهم جوداً منه وتفضيلاً وإنعاماً عليهم إذْ نقلهم من العدم إلى الوجود وأصارهم من لا كون إلى كونٍ لنقلهم من هذه الدنيا التي هي زائلة غير باقية وفانية غير دائمة وناقصة غير تامة إلى دار الخلود الباقية الدائمة الكاملة فلا يُقال لمن نقل من مدينة خسيسة إلى مدينة شريفة أو من مدينة وضيعة إلى مدينة رفيعة إنَّه أراد بصاحبه سوءاً وتعدى عليه ظلماً بل هو مُحسنٌ متفضّل أولاً وآخراً وأمّا قولك إنّه أبلاهم بالأسقام المؤلمة والأوجاع المؤذية فجوابنا في هذا أنه إنّما أراد بذلك أنْ نكونَ مستحقين الأجر والثواب وأنْ يكون تبارك وتعالى مع تفضّله عليهم ينالون من حسن الثواب باستحقاق منهم فهو عزّ وجلّ متفضّلٌ عليهم في الحالتيْن جميعاً كالطبيب الماهر المشفق الذي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يشفي المريض بالأدوية المرَّة الطعم البشعة الرائحة وربما كوى بعضهم بالنار وقطع بعض الأعضاء من أجسادهم بالحديد ويمنعهم شهواتهم من المطاعم والمشارب نظراً منه وإشفاقاً عليهم أفتقول إنَّه يفعل ذلك بهم على سبيل العداوة والبغضة بل إنّما يريد بذلك صلاحهم وصحة أبدانهم واتقاءهم من الأسقام والأدواء المؤذية لهم ونقلهم من تلك الحال الكريهة التي هم فيها إلى حال العافية وطيب العيش فإنْ قلت قد كان يمكنه أن يتفضَّل عليهم ويأجُرهم من غير أنْ يعذّبهم بالأسقام والأوجاع، قلنا لك وقد كان أيضاً يمكنه ألاَّ يخلق الدنيا وكان يخلق الآخرة والجنة ويُدخل الناس النعيم من غير محنة ولا بلوى ولا استحقاق فهذا كان ممكناً في قدرته لكنه خطأ في التدبير لأنَّ المتعقب كان يتعقب فيقول لم يكن يمكنه أنْ يخلق إلاّ خلقاً واحداً فخلق عزّ وجلّ هذه الدنيا وجعلها فانية دار محنة ومتجر لأوليائه وجعل الناس فيها مسافرين ينزلونها على ظعن كما ينزل بنو السبيل الخانات نزول ميت لا نزول إقامة فينقلون منها إلى دار الإقامة التي هي الغاية القصوى ليكون لهم فيها تقرّة الخلود هذا هو الصّواب في التدبير فخلقهم تبارك وتعالى جُوداً منه وأبلاهم بالأسقام والأوجاع خِيرةً لهم في زمانٍ متقطع زائلٍ وحياة مفارقة ليجزيهم ويأجرهم تفضلاً منه عليهم واستحقاقاً من ثوابهم وإتماماً للنعمة عندهم في تلك الدار التي لا زاول فيها لحياتهم ولا فناء لنعيمهم ولا انقطاع لفرحهم وسرورهم، فإنْ كان صاحبك هذا يرحمك الله الذي ادّعيت له ما ادّعيت ودعوتنا إلى إتباعه بما دعوتنا إليه إنّما يقتلهم بسيفه

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ويضربهم بسوطه ويسبي ذراريهم ويجليهم عن ديارهم يريد بذلك لهم الخير لينقلهم مما هم عليه إلى ما هو خير منه فقد لعمري نصح وتفضَّل وأحسن وتشبَّه بفعل الله تبارك وتعالى اسمه ولكنه ما فعل الذي فعله لهذا ولا خطر بباله ولا فكّر فيه وما أراد إلاَّ نفع نفسه وأصحابه وإقامة دولته في العاجل والدليل على ذلك قوله ﴿ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ أفلا ترى أيها المُميز أنه لم يرد بما فعل أنْ ينقلهم مما هو عنده أنه شرك وكفر إلى ما زعم أنّه الدين القويم نظراً منه لهم ومحبة لمنفعتهم وصلاحهم ولكنه أراد بلوغ أربه وإنفاذ مرامه وتوطيد سلطته كما يفعل المتغلّب هذا وهو يقول في كتابه الذي يدعي أنّه منزل ﴿ قُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ والأُمِّيِينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ واللهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ ألا ترى أصلحك الله أنه أُمر أنْ يقول ويبلغ بلسانه ونُهي عن القتل والسبي فأمعن يرحمك الله في هذا الأمر وميز هذا التناقض وافهمه ثمّ أعجب من هذا تسميتك من قُتل من أصحابك شهداء فهلمّ ننظر في أخبار الذين قُتلوا من أصحاب المسيح على عهد ملوك الفرس وغيرهم هل كانوا مستحقين لاسم الشهادة أم أصحابك الذين يُقتلون في طلب الدنيا والمحاربة على سلطانها فقد بلغنا كيف صبر أولئك وكيف كانت مسارعتهم إلى بذل دمائهم ومهجهم ودماء أولادهم والخروج عن دنياهم ونعيمهم وكيف كانت نياتهم وصحّة ضمائرهم وشدة يقينهم بما كانوا عليه من ديانتهم وكانوا يسارعون إلى أنْ يقرِّبوا أجسادهم إلى الذبح والقتل وأنواع العذاب قرباناً لله وقد كان

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يُقتل الواحد فيتنصَّر من ساعته في ذلك المكان المائة والأكثر والأقل فقتل في زمان من تلك الأزمنة أحد ملوك الروم المردة وقد لجّ قتلهم مقتلة عظيمة فقال له بعض أصحابه أيها الملك إنك إنّما تزيد فيهم من حيث تظن أنك تُنقِص منهم فقال كيف ذلك فقيل له إنّك قتلت أمس كذا وكذا فتنصَّر أضعاف هذا العدد فقال وما السبب في هذا فقيل له إنَّ القوم يقولون إنّ رجلاً يطلع عليهم من السماء فيشجعهم فعند ذلك أمر أن يُرفع عنهم السيف وكان هذا القول داعياً إلى تنصُّر الملك ورجوعه عمَّا كان عليه من الكفر وقتل أولياء الله فانظر إلى هؤلاء الذين كانت لهم البصائر بالديانة وشدة اليقين والإخلاص وجودة الإيمان كيف لم يفتُرْ إيمانهم والسيوف تأخذهم وكانوا يُعذَّبون بأنواع العذاب وهم على ذلك محبُّون لما ينالهم غير ممتنعين فرحون مسرورون جذلون متيقِّنون أنّهم إذا أتوا ذلك فهم مقصِّرون عمّا في أنفسهم من أداء حق النعمة التي أُوتوها من الدخول في الديانة النصرانية فيبذلون أجسادهم اختياراً كما بذلوها فمنهم من سلخ وهو حيّ ومنهم من قطعت أعضاؤه وهو ينظر إلى ذلك ومنهم من أحرق بالنّار ومنهم من ألقي للسباع وبعض نشر جسده بالمنشار وهذا دائم ثابت في من ينتحل دين النصرانية ليس يخلو في وقت من الأوقات من أنْ يبذل نفسه للموت طوعاً واختياراً ويرغب بها عن الحياة وعن جميع ما يحويه العالم ونحن نعلم وأنت وجميع من يقول بالحقّ أنَّه ليس في دينٍ من الأديان أحدٌ يأتي بمثل هذا الأمر ويحمل نفسه عليه غير أهل هذه الشريعة إذْ كان هؤلاء في العذاب الذي لا توصف

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

شدته وهم في جميع ذلك على غاية التّمسك بديانتهم وفي غاية الفرح بما ابتلوا حتى سُئل واحد منهم وهو يعذّب عذاباً شديداً وهو في حاله تلك يتلفَّت يمنةً ويسرةً ويضحك فقيل له ما سبب ما كنا نراه من تلفتك وضحكك وأنت في ذلك العذاب أما كنت تجد ألماً فأجاب ما كنت أحسّ فيما كنت أعذب به وقد كنت أرى رجلاً شاباً بالقرب مني وهو يضاحكني ويمسح الدماء التي كانت تسيل من جراحاتي بخرق بيض كانت معه وكنت أرى ذلك العذاب كأنّه إِنَّما يقع بواحدٍ من الذين يعذبونني فعلمنا أنّه كان صادقاً في قوله وإلاَّ فما صبره على تلك الشدة من العذاب وتعلم إنَّ الله سبحانه وتعالى يصرف عنايته بأهل طاعته ويصبّرهم على الشدائد فإنْ قلت لو أمر الله ذلك الذي وكّله بتشجيعه ومسح الدماء من جروحه أنْ يصدّ عنه من كان متولياً تعذيبه فيكون سبباً لتوبتهم ورجوعهم قلت أنت أصلحك الله تعلم أنَّ الله جلّ ثناؤه وتقدّست أسماؤه لو شاءَ أنْ يجمعَ الناس كلّهم على الإيمان به ويجبرهم عليه لكان قادراً على ذلك غير أنّه طبع سبحانه وتعالى جوهرهم بعدله على استطاعة الحرية ليثيبهم أو يعاقبهم على ما اكتسبوا لأنفسهم لا على الذي يجبرهم عليه ولولا ذلك لم توجب الحجة على الممتنع من قبوله فلذلك أظهر على يد هؤلاء في ذلك الزمان آياته وبراهينه ليستكملوا قبول الدين وأمسك عن الباقين ليظهر أنّهم مستطيعون ولو تابوا بذلك السبب لم يكن لهم في ذلك أجر لأنّهم إنما تابوا قهراً وقسراً ولكنّه تركهم حتى بلغوا إرادتهم ولم يغفل عن معونة أوليائه ليظهر استطاعة الحريّة وثمرة العقل

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وجعل فكره في كيفية قبول الأولين لأنّه برهانٌ واضح وحجةٌ لازمة ويجب على كلّ ذي لـــبٍ اليقين بأنّه لم ينتقل هؤلاء المختلفون في أجناسهم وأهوائهم وأديانهم إلى هذه الدين إذْ خلا مـــن الخصال كلها إلاّ بالآيات المعجبة ومع ذلك فإنَّ قوة أصل تلك الآيات قائمة باقية في أصل هذا الدين إلى هذه الغاية نعاين آثارهم بأبصارنا ونسمعها بآذاننا ونعي منها بعقولنا مـــن الجـــرائح التي تجري على أيدي أصحابهم ورهبانهم وأحبارهم من دفع الجنون والتّخيل وإبـــراء أنـــواع الأمراض في الكنائس والديارات والبيع المبنية على اسم هؤلاء الشهداء الذين وصفنا أحـــوال صبرهم على العذاب الذين هم بالحقيقة مستحقون لاسم الشهادة فمنها ما فيها قبورهم ومنها مـــا فيها الجزء من عظامهم فتكون منها هذه النعمة في كلّ موضع من المشرق والمغـــرب وبـــلاد الروم وأرض الشّام وبلاد فارس وأرض الحبشة وجزائر البحـــر وأمصـــار العـــراق وبـــلاد خراسان لا يخلو ذلك ممن يلوذ بهم ويلتجئ إليهم في هذا النحو وشبهه غير منكرٍ لهـــم ذلـــك سوى بلاد صاحبك فإنها من ذلك خلو صفر لأنّه لم يقع إليه من هؤلاء القوم ولا صـــار فـــي ناحيته أحد ممن يعبد هذا الدين غير الرجليْن اللذين تعرفهما سرجيوس المُسمّى نســـطوريوس ويوحنا المعروف ببحيرا ثم ليست هذه الفضيلة في شيء من الأديان ولا يدعيها أحدٌ من أهـــل المقالات خلا دين النصرانية فإنَّ ذلك لهم ورثة قائمة فيهم إلى هذه الغاية وإلى انقضاء الـــدنيا فأيّ دليل أوضح وأي حجة أضوا وأنور وأسطع من هذه لطالب الحقّ. فهلمّ أكرمك الله ننظـــر في هذا الأمر نظر نصفة ويقين

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

واستقصاء ونجعل بيننا نظر ناظر بعين عقله ينصح لنفسه ويعدل عن الهوى فمن هو أصلحك الله أحقّ بأن يُسمَّى شهيداً ويشهد له أنّه قُتل في سبيل الله مَنْ قرَّب نفسه قرباناً عن ديانته وقد قيل له اسجدْ للقمر والشمس وغير ذلك من الذهب والفضة والخشب مما صنعته الأيدي واتخذها أرباباً لكَ من دون الله واتركْ عبادة الله وكلمته وروحه فأبوا ذلك وبذلوا مهجهم ودماءَهم وأموالهم وحياتهم وأهاليهم وأولادهم أم من خرج طالباً للسلب والسرقة والغنيمة وسبي الذراري ونكاح الفروج التي هي محرّمة وشن الغارات ثم يسمّي ذلك جهاداً في سبيل الله ويقول من قُتل أم قَتل فهو في الجنة فانصف أيها الحبيب فإنّنا رجلان تقدمنا إليك فحكمناك في الأمر فأيّ حكمٍ كنت تحكم إذا أنت آثرت الحقّ وترضيت العدل والنصفة فنقول إنَّ لصاً نقب منزل رجل ليسرقه فسقط عليه حائط أو وقع في بئر أو بادره صاحب البيت فضربه ضربةً تلفت نفسه منها أتوجب لهذا اللص ديَّةً ما أظنك أيها القاضي تفعل ذلك فكيف توجب الجنة لمن مضى إلى قوم آمنين مطمئنين في مساكنهم لا يعرفهم ولا يعرفونه فسرقهم ونهبهم وسباهم وقتلهم وفجر فيهم ثم لا يقنعك ذلك إذْ فعلته وتعود إلى ربك نادماً على ذنبك مستغفراً تائباً عمّا كان منك بل تقول إنَّه إنْ قُتل أو قَتل فهو في الجنة وتسمّيه شهيداً في سبيل الله فإنْ أنت حكمت بهذا فما حكم الشيطان الذي هو عدو آدم وذريته قديماً إلاّ دون حكمك على أنّي أعلم أنَّ عقلك وعدلك يمنعانك من ذلك ولا يطلقانه لكَ وقد علمنا أحاطك الله ما اشترطته لنا في الصّبر على الحجة إذا وردت بك إذا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

لم تكنْ منا المسألة وإنَّما كان الابتداء في المبالغة في الحجة منك فقبلنا ذلك في قولك وعلى كلّ حال فلم نكتب بما كتبنا به إلاّ وقد قصرنا لأنا لو كشفنا في هذا الفنّ من كلامنا لفعلنا كما فعل غيرنا وكلامنا هذا إنما هو جواب اقتضاه ابتداؤك وإذا عدلت في القول علمت أنَّ الأمر كالنار التي تسكن في الحجر والحديد فكلما استقدحتها بزنادك استعرّت اضطراماً وقولي أكرمك الله لكَ في هذا ولغيرك ممن ينظر في كتابي هذا قول واحدٌ فأمّا ما دعوتني إليه وعددته من الأمور الزائلة الفانية التي هي كأحلام النائم والبرق الخلب الذي يضيء قليلاً ويذهب وشيكاً ويبقى راجيه في الظلام مقيماً ولو كانت أشياء دائمة غير زائلة ولابثة غير ذاهبة ثم باقية غير فانية ومقيمة غير منقطعة لما كان يجب على ذي رأيٍ ولا على ذي لبٍ أنْ يرغبَ فيها ولا يميل إليها فكيف وهي مشاركة الخنازير والكلاب والتّشبه بالحمير وسائر البهائم التي همّها الأكل والشرب والنوم وإنّما هذه الدنيا كلها لا قدر لها ولا قيمة عند ذي عقلٍ إذْ يعلم أنَّ الأمر فيها أسرع وأعجل من أنْ يبقى على شيءٍ وأوشك أنْ يفنى ويضمحل في أسرع وقتٍ وإنّما يميل إلى مثل هذه الأوضاع من قد غلب عليه الشَّرَه في أخلاقه وطباعه ولا أظنك أكرمك الله عرفتني بالراغب في هذا وشبهه فليت شعري فكيف أردت أن تصيدني بمثل هذه المصائد الدنية الخسيسة التي إنّما يميل إليها ويغترّ بخدعتها من كان طبعه يشاكل طبع البهائم فأما المميَّزون الذين قد نظروا في الأمور فإنّهم أبرياء من مثل ما ذكرتَه وعدَّدْتَه بل هم مجتهدون غاية الاجتهاد في

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

أنْ يدفعوا آفات أبدانهم التي لا قِوام لهم إلاّ بها ولو تهيّأ لهم دَفْعها في الطبائع أو كان ممكناً لهم ذلك لدفعوها فكيف تريد أنْ يطلبوا الملك ويحتالوا الحيل بخلاف ذلك وما لهذا خلق الله الخَلْق ولا لمثله يبعثهم من الموت يوم القيامة وأنت تزعم في كتابك ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ والإِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ ﴾ (ذاريات) فلا أراك إلاّ مناقضاً لقولك لأنّك قلت إنّما خُلقت للعبادة ثم تقول فتنقض وتهدم بناءَك المتداعي وتقول ﴿ فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَثُلاثَ وَرُبَاعَ (ومن الإماء) مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴾ وأنْ نأكل ونشرب مثل البهائم التي لا خطر عليها من ناموس عقلٍ ولا إلزام سنةِ الكتاب.

فأمّا باب الطّلاق والاستحلال والمراجعة الذي حلّه صاحبك فلولا كراهية التطويل لتلوْتُ عليك مما قرَّع الله به أهله على لسان إرميا النبي لكنّك تعلم ما في هذا الأمر من العيب والشناعة عند جميع الأمم وسائر أهل الملل وكيف استقباحهم له وإنكارهم إياه وإني لأَنْهى نفسي عن سُفْه المخاطبة فيه وترديد الذكر له وأرفع قدر كتابي عن إدخال شيء من ذكره أنفاً منه وتنزيهاً لكتابي فهذا الجواب فيه. وأمَّا قولك فاكتب آمناً مطمئناً لا فرق ولا خائف إنّك لا تظلم لا يتعدى عليك فإنْ سيدنا المسيح مخلّص العالم بحيث شجَّعني في إنجيله المقدّس وأعلمني ما هو عتيد أنْ يكونَ قال « لا تخف ممن سلطانه على الجسد وليس له سلطانٌ على النفس بل ينبغي لكَ أنَ تخافَ ممن هو قادرٌ أنْ يعذبَ الجسد والنفس معاً في جهنم[1] » فقد

---

(١) قابل متى ١٠: ٢٨.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

آمنت بقوله أنْ ليس لأحدٍ على نفسي سلطان إلاَّ الذي خلق نفسي وخلق جسدي وقد زادني في ذلك أماناً ما بسط الله من عَدْل سيدي أمير المؤمنين وإنصافه ورأفته للضعيف الذي مثلي ممن يقرب من جوده ويعيش في ظل حمايته فإنَّه قد شملنا عدله وعمَّنا إنصافه ووسعتنا رحمته أثابه الله تعالى على ذلك وأعطاه مأموله في نفسه وولده من أمر دنياه وأجاب صالح دُعاي له بمنه.

وأما قولك أصلحك الله إنّ هذا دينك القيّم وهذه شريعتك وسُنّتك ومَن ينتحلُ نحلتك وإنّي إذا دخلتُ فيه وشهدت مثل شهادتك كنتَ مثلي وحسبي بك شرفاً في الدنيا والآخرة فقد فهمتُ ذلك فأمّا دينك وشرائعه وسننه فقد سبق من قولنا ما فيه كفاية لمن أراد أنْ يمتحن ما ذكرتَه وأمّا الشرف في الدنيا والآخرة فلعمري لقد أتاك الله في هذه الدنيا الخلافة التي جعلها في أهل دينك فنسأله تعالى أنْ يديمَ لك النعم ويُبقي عليك ذلك ولا ينزعه عنكم يا أهل البيت وأمّا شرف الآخِرة فلا يُعرَف إلاَّ بالعمل الصالح وقد حُكي عن صاحبك أنَّه قال يا بني عبد مناف إني لستُ أُغني عنكم شيئاً عند الله فلا تأتوني بالأنساب ويأتيني غيركم بالأعمال فإنَّ خيركم عند الله أتقاكم فإنْ كان قال هذا فقد هدر شرف الآخِرة إلاَّ بالعمل الصّالح ولم نجد أولياء الله إلاّ القوم الذين لا حسَب لهم ولا شرف في الدنيا وإنما شرفهم في الآخِرة العمل الصالح فأنت وغيرك إنْ عملتم الصّالح كان لكم الشرف والنسب ولسنا نحب أنْ نفخرَ بما لنا من السبق والنسق في العربية وشرف الآباء فيها إذْ كان ذلك معروفاً لآبائنا وأجدادنا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فقد علم كلّ ذي علمٍ ولبٍ كيف كانت ملوك كِنْده الذين ولدونا وما كان لهم من الشّرف على سائر العرب لكنّنا نقول ما قاله رسول الحقّ بولس[1] ألا من يفتخر فليفتخر بالله والعمل الصالح فإنّه غاية الفخر والشرف فليس لنا اليوم فخر يُفتخر به إلاَّ دين النصرانية الذي هو المعرفة بالله وبه نهتدي إلى العمل الصالح ونعرف الله حق معرفته ونتقرب إليه وهو الباب المؤدّي إلى الحياة والنجاة من نار جهنم. أما قولك بأنَّ نبيّك يقول يوم القيامة إذْ يكون كلٌّ مشغولٌ بنفسه أهل بيتي أهل بيتي أمتي أمتي وما يجاب إليه من الشّفاعة فنامت عينك يا خليلي وخيراً رأيت يا حبيب ما هذه إلاَّ أضغاث أحلام وخرافات العجائز ومواعيد النسيئة وآمال التدليس لأنّنا لا نشك أنَّ سيدنا ومخلصنا يسوع المسيح الذي شهد له كتابك أنّه وجيه في الدنيا والآخرة ولا وجيه سواه ديّان الخلائق يوم القيامة لا بدّ من أنْ يكافئ كل أحدٍ على عمله إنْ خيراً فخيراً وإنْ شراً فشراً ولا محاباة عنده ولا هوادة لأحد بل يحكم بالقسط ويقضي بالحقّ بين الخلائق في ذلك اليوم فأنا لكَ من النّاصحين فاقبلْ منّي ولا تملْ إلى هذا الطمع الكاذب الغرار المبهرج وتدع ما يجب عليك من العمل الصّالح ما دمت في هذه الدنيا مقيماً فتزود منها ما تنتفع به فلن ينفع في ذلك اليوم إلاّ التقوى فدعْ عنك الميل إلى أحاديث الكسالى وعليك بالجد الجد فإنّ الرحيل سريعٌ والموت قريبٌ والوقوف بين يدي المسيح الديّان صحيح ولا بدَّ من مناقشة الحساب حيث لا عذر ولا

---

(١) قابل كورنثوسَ ١: ٣١.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

حجة ولا طلب ولا توبة يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون فاتقِ الله في نفسك يا هذا واعلم أنَّ تقوى الله خير تجارة تأتيك الأرباح فيها بغير بضاعة فقد رأيت اجتهاد أولئك الرّهبان كيف هو وكيف تصبوا أجسادهم لله وقد وجبت عليك الحجة بما طبع الله عزّ جلّ في نظرك من التمييز والمعرفة فلا عذر لكَ ولا علّة إنْ قبلت مني فإنّي لكَ من النّاصحين، فأما ما ذكرت من التّسهيلات في شرائعك وسننك وكيف يكون هذا الذي حكيت هيهات هيهات بئسما سوّلت لكَ نفسك والمسيح سيدنا يقول في إنجيله المقدّس حيث بالغ في الوصايا وأكّد وحتّم « إذا فَعَلْتُمْ كُلَّ مَا أُمِرْتُمْ بِهِ وأكملتم كلَّ البر قولوا إِنَّنَا عَبِيدٌ بَطَّالُونَ إِنَّمَا عَمِلْنَا مَا أمرنا به فأي فضلٍ كان لنا[1] » وهو السيد الذي قال « ما أضيق[2] الطريق الذي يؤدي إلى النّجاة والخلاص وما أقلّ السالكين فيها والواردين إليها وما أوسع الباب الذي يُدخل إلى التّهلكة وما أكثر السّائرين إليه والداخلين منه » فهذا أكرمك الله خلاف ما تدعو أنت إليه وأشبه بأمور الآخرة من تسهيلاتك العجيبة وأبوابك الواسعة وقولك حُبِّب إليَّ الطِّيب والنساء. وانكحوا ما طاب لكم من النساء ونظائر هذه الوصايا والله المستعان على ما قد انشرح له قلبك وتصور في فهمك من هذا الأمر الذي قد توهمت أنك منه على صحة واستقامة ويعزّ علي كيف قد خفي عنك تدليسه وبهرجته فأسألْ الله الذي يهدي من الضلال إلى الرّشاد أنْ يشرقَ عليك من نور المعرفة

---

(١) قابل لوقا ١٧: ١٠.
(٢) قابل متى ٧: ١٣ و١٤.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ما تهتدي به وتستضيء بضوئه حتى تخرج من ظلمة هذه الضلالة التي أنت منغمس فيها فإنْ ذلك واجب على أنْ أدعو لكَ خاصّة وللناس جميعاً عامة إذْ كان عندنا معشر النصارى أنَّ صلاتنا لا تتم إلاّ بالدعاء للناس بالهدى للتائهين عن سبيل الحقّ أنْ يفتحَ الله على بصائرهم ويكشف عن قلوبهم حتى يروا خطأ ما هم فيه ويرجعوا عنه إلى طاعته وللمهتدين أنْ يثبتهم في ما أنعم عليهم به فعل الله ذلك بك وبجميع إخواننا بحوله وقوته.

أما قولك أصلحك الله دعْ ما أنت عليه من الكفر والضّلالة وقولك بالآب والابن والروح القدس وعبادة الصليب التي تضرّ ولا تنفع فأمّا الكفر والضلالة فقد كشفنا لك عن أمرهما كشفاً يغني عن الإعادة وأتينا بالحجة على من تقع هاتان اللفظتان ومن هو المقيم على الكفر ولا حاجة لنا إلى أكثر من ذلك وأما التّخليط فكأنك أصلحك الله كلّ ما لا تفهمه كان عندك تخليط كقول القائل إنَّ الإنسان عدوٌّ لما جهل وأعوذ بالله من ذلك فليس الأمر على ما توهمت فلا تحكم لنفسك ولا تشهد لها ما دام خصمك غائباً لأنّه ليس من فعل أهل التخرج والأدب فإنَّ الذي وسمته بالتّخليط واجترأت عليه بمثل هذا القول هو سر الله الذي كانت الملائكة المقرَّبون والأنبياء المرسَلون يركضون في طلبه ويرغبون في معرفته منذ خلق الله تبارك وتعالى الخلق فلم تكن تُعطى منه إلاَّ الشيء اليسير باللمح الخفي ولم تطّلع منه إلاَّ على النذر بالرمز المستور حتى جاء الابن الحبيب السّيد نازلاً من حضن أبيه فكشفه لأوليائه وأهل طاعته فألهمهم

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

معرفته ودفعه إليهم كاملاً مشروحاً مفسَّراً مبيَّناً فقال لهم مصرحاً « امضوا فادعوا النّاس إلى المعرفة الصحيحة الكاملة التي هي بِاسْمِ الآبِ والابْنِ والرُّوحِ الْقُدُسِ[1] » فقبل ذلك الحواريون من فِيهِ الطّاهر فأدوه إلينا معشر المؤمنين بالمسيح فقبلناه منهم بالآيات العجيبة ونحن مقيمون عليه بفضله ونعمته إلى انقضاء العالم. وأما قولك عبادة الصليب التي تضرّ ولا تنفع ما رأيت من تعظيمنا إياه وتقبيلنا له وتبرّكنا به فنجيبك عن قائلين إنّا نفعل ذلك للذي مثّل لنا فيه من أمر المسيح وما جرى به تدبيره في خلاصنا واستنقاذنا من الهلكة باحتماله الصلب عليه والموت لأجلنا فإنَّ النعمة عندنا في ذلك مما لا يبلغه منا وصف ولا يفي به شكر والصليب ممثل هذه النعمة نصب أعيننا يحثّنا على شكر موليها والمنعم بها وإليه نقصد بالتعظيم والتبجيل لا إلى الخشب وغيره مما تُصنع منه الصلبان ولو كنا نعظّم الخشب كما توهّمْتَ لما اتخذنا الصليب من غيره ولكننا نتخذه من الخشب والذهب والفضة والحجارة والجواهر وغيرها ونخطه خطاً ونرسمه بإيماننا وذلك دليل على أنّنا لا نقصد بالتعظيم الجواهر التي تُتَّخذ منها الصلبان بل من هو ممثَّلٌ بالصليب وكما أنّه من السنّة تعظيم كلّ شيءٍ من أمر الملك وما نُسب إليه وخاصة الممثَّل فيها شخصيته فإنَّ السنّة جارية فيها على وجه الدهر بأنْ نتحفها بالسجود تعظيماً للملك وما مثل فيها من أمره فكذلك نوجب نحن تعظيم الصليب وتكرمته إذْ كان ممثلاً لنا أمر المسيح سيدنا وملكنا

---

(١) قابل متى ٢٨: ١٩ و٢٠.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وجسيم نعمته عندنا لما صلب دوننا ثمَّ إنَّ الناس في هذا الدهر أيضاً على بقية من هذه السُّـنّة فإنهم يقبلون أيدي ملوكهم وأقدامهم وكتبهم إعظاماً لهم فيحظون بذلك عندهم ويرونه لهم مـن أنفسهم براً ورشداً فكيف الآن تنكر علينا تعظيم الصليب واستلامه ومحله عندنا المحـلّ الـذي وصفنا وأننا نجد في الكتب المنزَلة من عند الله أنَّ الأنبياء كانوا يعظمون التابوت الذي عملـه موسى بأمر الله تبارك اسمه ويسجدون بين يديه وكان موسى كلما حمل التابوت يقول « قمْ يـا ربّ ولينهزمنّ شانئوك » وإذا وُضع يقول « عُدْ يا ربّ إلى الألوف وعشرات الألوف من بني إسرائيل » ومما حدّث يشوع بن نون عن بني إسرائيل أنهم خرّوا سجداً بـين يـدي التـابوت معظمين له عائذين به مما نالهم وداود النبي حين نقل التابوت إلـى أورشـليم عظّمـه غايـة التّعظيم واتحفه بالذبائح والقرابين وشيّعه بالتسبيح والتّهليل وافتتح ذلك مقالة موسى النبي فقـال « ليقم الله وليتبدد جميع أعدائه ويهرب شانئوه من بين يديه ». وكان فعلهـم هـذا بالتـابوت تعظيماً لله لا للخشب وغيره فنحن على هذه السنّة أيضاً في تعظيم الصليب ونجري فيها علـى ما جرى عليه الأنبياء الأبرار فلِمَ أصلحك الله غلب عليك النسيان في هـذا الموضـع كأنـك جاءتك حمية الإسلام وحرّضتك العصبيّة الهاشميّة فأزاغتك عن سبيل الحق وحادت بـك إلـى خلاف ذلك السبب الذي أنت أقررت به بفيك ولَفَظَ به لسانُك مما جربت من القوة الحالّـة فـي الصليب حين استعذت به عند سقوطك عن الدّابة وحين هربت ممن هربت منه وحـين لقيـت الذي لقيت في طريقك وأنت ماضٍ إلى عمر

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الكرخ وحين تلقاك الأسد وقاربت ساباط المدائن أفتراك أصلحك الله نسيتَ هذه المواقف فإنْ كنتَ أنت نسيتها فنحن ذاكرون لها فلِمَ أصلحك الله تكفر بالنعمة وتكافي بالشر وتقلّ من الشكر وتنكر المعروف وليس هذا مذهب من هو مثلك من أهل التّخرج والتّمسك بالصدق ولِمَ قلتَ إنَّ عبادة الصليب تضرّ لا تنفع فليت شعري أي ضررٍ نالك عند تعوُّذك بالصليب وأنت تعلم أنّا معشر النصارى لا نعبد الصليب وإنّما نعبد القوة الحالّة في الصليب والتأييد الذي أيَّدنا به والخلاص الذي أُوتيناه بسببه ألم يجرِ بيننا من الكلام والحاجة بحضرة من جرى ما قد أقنعك وتعلم كيف كان الحكم عليك في ذلك المجلس فلم رجعت عمّا كان صحَّ عندك وأقررت بصوابه حتى ذكرت أنك امتحنت ذلك فوجدته صحيحاً أو كان ذلك من الحكم الذي جرى عليك ممن قد علمته أم إنّما أردت مدافعة ذلك الوقت على أنّي أرجو أنْ لا يكون هذا القول منك في الصليبِ اعتقاداً ولا إبطالاً للفضيلة التي رأيتها حالّة فيه.

وأمّا قولك إنّك أشفقت عليَّ من النار ورضيت لي ما رضيته لنفسك فهذا القول يجب شكرك على ظاهره وإذا عكست قولي لكَ فيه وجب شكري عليك في باطنه فميّز أعزّك الله هذا الموضع وافهمه فإنَّه أصلح في البدء والعاقبة وما شرط الكلام الذي لا نفع فيه ولا خير وكيف أقول وأنت تسأل وتتضرع إلى الله كلَّ يومٍ في صلواتك الخمس قائلاً ﴿ اهدِنَا الصِّرَاطَ المُستَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمتَ عَلَيهِمْ غَيرِ المَغضُوبِ عَلَيهِمْ وَلاَ الضَّالِّينَ ﴾ فإنْ كنت يرحمك الله مهتدياً فقد

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

استغنيت عن المسألة والتّضرع في كلّ وقتٍ وعند فاتحة كلّ صلاة أنْ يهديك إذْ لا معنى لطلبك الهداية وأنت مستغنٍ عنها وإنْ كنت لم تهتدِ بعد وكنت طالب الهداية فأعلمني أكرمك الله من هم هؤلاء المنعَم عليهم الذين تسأل ربك تبارك اسمه ليلاً ونهاراً أنْ يهديك إلى صراطهم ويلحقك بهم وأنت تدعي أنَّكم « خير أمةٍ أُخرجت للناس » وإنَّ الدين عند الله الدين الذي رضيته أنت لنفسك وأنه لم يقبل غيره من الأديان والنحل أَهم المجوس عبدة الشمس والنّار ذوو الشّرائع النَّجسة التي تبيح نكاح الأمهات والأخوات والبنات وما شاكل ذلك من السنن الدَّنسة التي تأنفها وتستشنعها العقول وتنفر منها الطبائع فأنت تعلم وكلُّ ذي خبرة أيضاً أنّ هؤلاء لم يُنعَم عليهم بالمعرفة التامة إذ هم لا يوحّدون بل يشركون مع الله سبحانه وتعالى معبودهم إبليس فليست المجوس إذن المنعَم عليهم فأخبرني هل هم اليهود الذين تبرّأ صاحبك منهم وقال كتابك فيهم إنّهم هم المغضوب عليهم المرذولون المشتتون بين الأمم الملقى عليهم الذلّ والمسكنة منهم القردة والخنازير الملعونون على لسان كلّ نبي ورسول فليست اليهود إذن المنعَم عليهم الذين تسأل أن تُهدَى إلى صراطهم وما صراطهم بمستقيم وإنْ قلتَ عبدة اللاّت والعزّى ويغوث ويعوق وكسرى وشمس وجهار وهبل ونسر وسواع وودّ وأساف ونائلة وذي الكفين ومناة وسعد وذي الخلصة وسائر الأصنام التي كانت العرب تعبدها بمكة وتهامة فهذا كتابك ينقض عليك قولك ويدحض حجتك من قرب قائلاً ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى ﴾ فالضّالون إذن هم عبدة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الأوثان إذْ قال ﴿ وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى ﴾ لأنّ صاحبك لم يكن يهودياً ولا نصرانياً ولا مجوسياً وإنّما كان حنيفاً يعبد أساف ونائلة الصنميْن اللذين كانت قريش تعبدهما والأحابيش فلمّا منَّ الله عليه بمعرفة التوحيد بالسبب الذي ذكرناه سالفاً سأل ربه أن يُعيذه من صراط الضّالين الـذين هم عبدة الأصنام فإنْ ادّعيت وقلت إنَّ صراط الدّهريـة والجرهانيّـة والسـماتية والبراهمـة وغيرهم ممن أشبههم في المقالة واعتقاد الزنادقة هو الصراط المستقيم وهم المنعم عليهم قلنـا لكَ هذه المقالات أنت تعلم وكلّ ذي عقلٍ وعلم أنَّ صاحبك لم يسمع بها قـطّ ولا عرفهـا ولا حضر المجالس التي يجاوب فيها عنها بل تعوّذ منها ومن صراطهم وإذْ قد تعوَّذت من صراط المجوس وصراط اليهود المغضوب عليهم وصراط عبدة الأصنام الذين هـم الضّـالون ولـم يخطر ببالك صراط الدّهرية والجرهانيّة والسماتيّة والبراهمة فما بقي إلاّ صراط المنعَم علـيهم الذين هم النصارى وهو الصراط المستقيم وهداية رب العالمين المنعَم عليهم بالمعرفة الكاملـة بالله وكلمته وروحه عزّ وجلّ وبالسنن الحسنة والشرائع الروحانية وما قلتُ أصلحك الله شـيئاً لا تفهمه وإنّما ذكرتك بما تعلمه وإلاّ فهل تقدر أن تجحدنا حقنا هذا الذي في أيدينا ولنـا مـن النعمة التي أوتيناها وهو نور الإنجيل وهدايته ما أقرّ لنا به صاحبك في كتابـه ولـم ينكـره وجميع الأديان والأمم مقرّون مذعنون لنا به لا يتهيأ لهم دفعه، ولا يمكـنهم إبطالـه فـأمعْنْ يرحمك الله النظر في هذا الفصل من كتابنا وردّد فكرك فيه كفعل من يريـد نصـح نفسـه لا كفعل من يريد غشّها فإنَّ النّصيحة واجبة على

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الناس جميعاً وهي على المرء لنفسه خاصة حقّ والحق أحقُّ أن يُتَّبع فلا ينبغي أنْ تبخسَ الحقّ حقه أرشدك الله إلى الخير وهداك إلى الصراط المستقيم بحوله وقوته.

وأمّا قولك يرحمك الله أنْ أكتب بما عندي من أمر ديني والذي صحّ في يدي منه آمناً مطمئناً لتبصر فيه وتجمعه إلى ما في يدك فما أولاك بذلك أصلحك الله وما أجدرك بفعله لأنَّ الحجة عليك أوجب منها على غيرك لما قد فضَّلك الله به من العقل والتمييز ولما عرفته ودرسته من الكتب واختبرته من المقالات والحقّ أهم أنْ تفضّله ذوو العقول على الأمور كلها لجلالة مرتبته لأنَّه ميزان الله سبحان ودستوره ونحن نسأله تعالى أنْ يقبل بقلبك وينير عقلك ويفتح عين نفسك لتنظر في ما يمليه علينا الروح القدس نظراً ينفعك الله به في العاجل والآجل كما نسأله عزَّ وجلَّ أنْ يفعل ذلك أيضاً بكلِّ من ينظر في كتابنا هذا بمنه وكرمه.

فلنبدأ الآن بتطهير قلوبنا وأسماعنا وتقديس ألسنتنا بالإخبار عن أسباب البشارة الطّاهرة المقدسة ونصدر بعض شهادات الأنبياء الذين استودعهم الله سرّه وكلمهم بوحيه وأمرهم بأنْ يخبروا الناس بما هو مزمع عليه من سابق علمه وإكمال نعمه عندهم وإتمام تفضّله عليهم ببعث ابنه الحبيب الذي هو كلمته الخالقة فاتخذ منه جسداً[1] بشرياً وصار إنساناً يجب له بذلك المجد والسجود والطاعة من الملائكة والإنس والشياطين والإذعان بالربوبيّة المتحدة والألوهية

---

(١) انظر يوحنا ١: ٤.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الحالّة فيه وليعلم الناس مخاطبته إياهم شفاهياً مصرحاً أنَّه الله والحدّ المثلث الأقانيم آب وابن وروح قدسٍ إنّه واحد تامٍ فيستكملوا النعمة بالمعرفة فيكون جلّ وعزّ قد أتمّ جوده عليهم وإحسانه إليهم بتعريفهم سرّه المخزون وتكون حجته بالغة عليهم وتنقطع حجة المتعنت ويضمحل قول القائل إنَّه لم يؤتَ المعرفة وإنّ الأمر كان مستوراً عنه محجوباً دونه مرموزاً لا يفهمه فحينئذٍ لا عذر لمن جحد الحقّ ولا علّة لمن عانده كما قال بولس رسول المسيح « لينسد كلّ فمٍ ويصير كلّ العالم تحت قصاص من الله[1] » وقال الله تبارك وتعالى على لسان موسى في التوراة في سفر الأول الذي هو سفر الخليقة إن يعقوب المعروف بإسرائيل الله لمّا قرُبت وفاته دعا أولاده كلهم فباركهم وأخبرهم واحداً فواحداً حتى انتهى إلى يهوذا الذي من نسله وُلدت المغبوطة مريم أم المسيح مخلص العالم فقال « يَهُوذَا لكَ تخضع إِخْوَتُكَ يَدُكَ عَلَى أكتافِ أَعْدَائِكَ يَسْجُدُ لَكَ بَنُو أَبِيكَ شبل ليث يَهُوذَا مِنْ فَرِيسَةٍ صَعِدْتَ يَا ابْنِي جَثَا وَرَبَضَ كَأَسَدٍ وَكَلَبْوَةٍ من ينهضه لا يَزُولُ القَضِيبُ مِنْ يَهُوذَا والمدبّر من فخذه حتى يجيء الملك وإياه تنتظر الشّعوب[2] » فانظرْ أعزّك الله في هذا الكلام نظراً روحانيّاً مستقصيّا بعين العدل والإنصاف وتفهمه فإنّ منْ لم يتفهمّه لم ينتفع به هل تليق هذه النبوّة من ذلك الشيخ المبارك إسرائيل الله وصفيه إلاّ على المسيح مخلص العالم لأنّه هو الخارج من يهوذا بإنسانيته وله

---

(١) انظرْ رومية ٣: ١٩.
(٢) انظر تك ٤٩: ١٠ ــ ١٨.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

خضع بنو إسرائيل لما دخلوا في دعوته وصارت يد الروم التي هي يده على أكتاف من عاداه من بني إسرائيل وجحدوا ربوبيته وكفروا به فقتلتهم الروم ومزقتهم كلّ ممزق فلا تقوم لهم قائمة أبداً ولا يزالون أذلاء إلى الانقضاء وزوال الدنيا وهو الذي بُعث من بين الأموات حياً بعد ثلاثة أيام من صلبه وهو الذي سجد له بنو إسرائيل حيث رأوا الأعاجيب والآيات التي أظهرها بين أيديهم وهو شبل الليث لأنَّه ابن الله القوي العزيز الجبار. لم تزل النبوة تترادف في بني إسرائيل حتى جاء المسيح رجاء البشر الذي أنبأت عنه النبوات كلها التي كانت تهتف بالدلالة على مجيئه وتشهد لظهوره وتبشّر بطلوعه فلمّا جاء المسيح سيدنا انقطعت النبوات عن يهوذا وبني إسرائيل فلم يقمْ نبي بعد مجيئه وإياه كانت تنتظر الشعوب وله كانت تترجى الأمم وكما أنّه لا معنى لمجيء الرّسل بعد طلوع الملك عليهم كذلك لا معنى للأنبياء بعد ظهور الإله المسيح الذي هو بالحقيقة ملك كما سبقت الأنبياء وسمَّته ملكاً وتنبأ زكريا النبي هاتفاً بصوته عن الرّوح القدس على كلمة الله تبارك وتعالى فقال « افرَحِيْ[1] يَا بْنَتَ صِهْيَوْنَ واهْتِفِي يَا بِنْتَ أُورُشَلِيمَ هُوَذَا مَلِكُكِ يَأْتِيكِ باراً ومخلصاً ومتواضعاً ورَاكِباً عَلَى حِمَارٍ وَعَلَى جَحْشٍ أَتَانٍ فتهلل لمجيئه المراكب مِنْ أَفْرَام والخيول مِنْ أُورُشَلِيمَ ويكسر قسيّ القتالِ ويخاطب الشعوب بالسّلام والأمان » فهل أصلحك الله تصدق هذه النبوة إلاّ على المسيح إنَّه جاء بالبر والخلاص والتواضع ثم أباد بمجيئه من بيت المقدس

---

(١) قابل زكريا ٩: ٩ و١٠.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وأورشليم التي هي صهيون جميع ما كان فيها من المراكب والخيل المعدَّة للحرب وانكسرت القسيّ التي هي من آلات القتال ودالّة عليه وركب جحشاً ابن اتان تواضُعاً وكلّم الأمم الذين هم الشعوب بالسلم والأمان وأدخلهم في ميراث دعوته وجعلهم أبناء ملكوت السَّماء الذي هو موعد الله تبارك اسمه. وهذا داود النبي وهو لسان الله يقول مصرحاً « الربُّ[1] قَالَ لِي أَنْتَ ابْنِي أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ. اِسْأَلْنِي فَأُعْطِيَكَ الأُمَمَ مِيرَاثاً لَكَ وَأَقَاصِيَ الأَرْضِ مُلْكاً لَكَ » أيْ إنّهم مزمعون أنْ يدخلوا في دعوته وطاعته وإنَّ سلطانه يمتد إلى أقاصي الأرض وقال أيضاً: « يَا أَيُّهَا[2] الملوك افهموا ويا حُكّام الأرضِ اعلموا اعْبُدُوا الرَّبَّ بخشية وسبّحوه برِعْدَة وأقَبلُوا الابْنَ لِئَلا يَغْضَبَ فتهلكوا بسخطه لأَنَّهُ عَمّا قَلِيلٍ يستشيط غَضَباً طُوبَى لِلْمُتَّوكِلِينَ عَلَيْهِ » معنى ذلك اقبلوا ما يأتيكم به الابن وهو المسيح ويقوله لكم بشفتيه ولسانه فإنَّكم إنْ لم تقبلوا ذلك غضب فيهلككم بغضبه لأنّه بعد قليل يشتد غضبه على اليهود الجَّاحدين لربوبيته الذين لم يقبلوا منه ما قال فهلكوا وبدَّد شملهم وطوبى للمتوكلين عليه أيْ المؤمنين به والمصدقين لقوله وقال أيضاً « قَالَ[3] الرَّبُّ لِرَبِّي اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أجعلَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئاً لِقَدَمَيْكَ لأنَّ الرَّبَّ يبعث عصا العزَّ مِنْ صِهْيَوْنَ ويسلّطك على أَعْدَائِكَ » فافهم أفهمك الله خير قول النبي داود هذا

---

(١) انظر مز ٢: ٧ و٨.
(٢) انظر عدد ١٠ ــ ١٢.
(٣) انظر مز ١١٠.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

فإنَّ فيه سراً يحتاج إلى معرفته كلّ ناظرٍ في كتابنا هذا ليصح عنده الأمر.. فأقول إنَّ عادة العبرانيين منذ عهد موسى نجي الله أنَّ الأحرف التي يكتبون بها اسم الله تبارك وتعالى أحرف منفردة لا يكتبون بها شيئاً غير ذلك وهكذا كانت هذه الأحرف في اللوحتيْن اللذيْن دفعهما الله تبارك وتعالى اسمه إلى موسى النبي ففي قول داود عن الله عزّ وجلّ قال الرب لربي هما اسمان مكتوبان بالأحرف التي تسمَّى المنفردة التي لا يُكتب بها إلا اسم الله تبارك وتعالى فهذا عند اليهود والنصارى وهما أمتان متعاديتان لا اختلاف بينهما فيه ولا شكّ وذلك عن غير تواطؤ فافهم السر الذي أوعزه الله تبارك وتعالى إلى نبيّه فإنَّك إذا وقفت الفكر فيه وجدته تصريحاً لقوله قال الرب لربي وقال في موضع آخر « الرَّبُّ[1] أَشْرَفَ مِنْ عُلْوِ قُدْسِهِ، مِنَ السَّمَاءِ ظَهرَ عَلَى الأَرْضِ لِيَسْمَعَ أَنِينَ الأَسِرى ويُطْلِقَ المربوطَ من الْمَوْتِ » ومعناه موت الخطيئة الذي هو عبادة الأصنام وانقطاع الرّجاء من موعد الحياة الدّائمة التي بشر بها المسيح مخلصنا أنَّه يعطينا إياها يوم القيامة قال « ليدارسوا فِي صِهْيَوْنَ اسْمِ الرَّبِّ وَبِتَسْبِيحِهِ فِي أُورُشَلِيمَ عِنْدَما تجتمع الأممُ والملوكُ معاً لِعِبَادَةِ الرَّبِّ » فقد كملت نبوّة داود وهذه أورشليم تجتمع فيها الأمم ويدارسون اسم الرّب أيْ اسم الآب والابن والروح القدس الذي هو اسم الرَّب المخزون ويمجدونه بأنواع التماجيد وأصناف التسابيح بالألسن المختلفة واللغات الغريبة آناء الليل والنهار لا يملّون ولا يفترون ولا

---

(١) قابل مز ١٠٢: ١٩ ــ ٢٢.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ينقصون ما يجب عليهم من حقّ عبادته بقصدهم إياها من البلدان الشاسعة وجميع أقطار الأرض البعيدة فمن عاند هذا يا خليلي فما هو عند أهل الحقّ إلاّ جاحدٌ كافر قد أعماه الجهل وطمس على قلبه بالحسد وهذا إشعياء المغبوط قد تنبأ بأعلى صوته قائلاً « قال الله تبارك وتعالى تقوّي[1] أيتها الأَيَادِيَ الضعيفة ويا أيتها الرُّكَبَ الْمُرْتَعِشَةَ تثبّتي وقل لضعفاء الْقُلُوبِ تقوّوا ولا تَخَافُوا فإنَّ إِلَهُكُمُ يجيء إلهاَ مخلّصاً فيخلصكم هناك تَتَفَتَّحُ أعين الْعُمْيان وَآذَانُ الصُّمِّ تسمع ويقفز المقعد في ذلك اليوم كَالايَّلِ وَلِسَانُ البكيم يتكلّم » وأنت أرشدك الله الحق تعلم أنَّ كتابك يشهد أنَّ المسيح الإله قد فعل هذا كله وأنه أبرأ المقعد الذي كانت قد أتت عليه ثمان وثلاثون سنة فقال له « قُمِ[2] احْمِلْ سَرِيرَكَ واذهب إلى بيتك ». فقام عاجلاً ومضى وهو الذي ابرأ الأبرص والأخرس الأبكم المعتوه المشروح خبره في الإنجيل الصَّادق وما جرى من قولِ اليهود الكفرة البهت عندما عاينوا برءه وخروجه سليماً من جميع العاهات التي كانت به وتقريع سيدنا إياهم ودحضه حجّتهم وقال إشعياء النبي أيضاً في موضع آخر مشيراً إلى مولد المسيح « اسمعوا[3] يا بيت داود الرَّب يعطي علامة لشعبه هوذا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْناً وَتَدْعُو اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ » تفسيره إلهنا معنا فأيّ شيءٍ يكون أكثر توضيحاً من هذا فهذه بعض النبوات التي

---

(١) انظر إش ٣٥: ٣ ــ ٦.
(٢) قابل متى ٩: ٦.
(٣) انظر إش ٧: ١٤.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

تنبأ بها الأنبياء عن مجيء السيد المسيح محيي العالم وكنا نريد أن نزيد من الشـــهادات ولكنّـــا كرهنا أنْ نطوّل كتابنا فيملّه القارئ وفي ما أتيناه كفايةً لمن لا يعاند الحقّ ويظلم نفسه وكـــأنّي بك أصلحك الله قد ذكرت التّحريف في هذا الموضع واحتججت علينا بأننا حرَّفنا الكلـــم عـــن مواضعه وبدلنا الكتاب وكأن هذا القول جعلته كهفاً لك تستتر به وإنّي لأخبـــرك خبـــراً حقـــاً فاسمعه مني واقبله فإنَّ قولي ليس قول باغٍ ولا حاسدٍ ولا متعنتٍ معاند بل إنّما هو نذر منـــي لكَ ونصح إذْ كان ديني يوجب عليَّ نصيحة كلّ أحدٍ فأنا بذلك مشفق عليك من كثـــرة الجهـــل وصرعته وخيمة وما أعلم أين سمعت قطّ بحجة أشد انقطاعاً وأوحش انفساخاً من حجتكم فـــي باب التحريف والتبديل وإنَّي لأعجب منك ومن نظائرك ممن فتش كتب مقالات الحقّ وكان له ذهن صحيح يميّز به كيف يجوز مثل هذا عليه وأنت تعلم أنّنا نحن واليهود الأعـــداء الكفـــرة الجاحدين لما جاء به نور العالم وضياء الدنيا المسيح سيدنا ومخلصنا قد اجتمعنـــا عـــن غيـــر تواطؤ على صحة هذا الكتاب وأنه منزّل من عند الله لا تحريف فيه ولا تبديل ولم تلحقه زيادة ولا نقصان وإلاَّ فنحن ندعوك إلى واحدة هي نصفة لنا ولك آتنا أصلحك الله أنت أيها المـــدّعي علينا التحريف والتبديل إنْ كنت صادقاً بكتابٍ غير محرَّف ولا مبدَّل يشهد لك علـــى صـــحة الآيات العجيبة كما شهدت الأعاجيب للأنبياء والحواريين حيث جاؤونا بصحة هذا الكتاب فقبلنا ذلك منهم وهو في أيدينا وأيدي اليهود بلا زيادة ولا نقصان وإنّي أعلم أنّك لا تقدر على ذلـــك أبداً حتّى نأخذه

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

منكَ أيضاً كيف وكتابك يشهد بصحة ما في أيدينا شهادة قاطعة ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَؤُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءكَ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴾ (يونس) ثم فسَّر هذا القول وأكَّده معترفاً لنا بالفضيلة التي أُوتيناها قائلاً ﴿ الَّذِينَ آتيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (بقرة) فافهمْ يرحمك الله كيف قال وشهد لنا كتابك بحق التلاوة في موضع تكون فيه تلاوتنا وقد أمر أن نُسأل ويُقبَل منا كل ما نقوله فكيف تدّعي وتقول إنّه قد وقع منّا التبديل والتّحريف للكلم عن مواضعه فهل هذا إلاّ حكمان متناقضان يتبيْن لكلِّ أحدٍ السبب فيهما إذْ كنت تشهد لنا بحقّ التلاوة ثم تعود فتزيف شهادتك وتكذّب نفسك وتقول بالتّحريف والتّبديل فبهذا غاية المحال والشنّاعة، فإذا كنت لا تقدر أنت ولا غيرك أنْ تأتيَ بمثل الشريطة التي شرطناها وهو ممتنع من إمكانك فمالك والمباهتة التي ليست من عادتك ولا أخلاقك وتشنّع علينا وتقول إنّا حرّفنا الكتاب وبدّلنا تنزيل الله وغيَّرنا كلامه ونحن نتلوه حقّ تلاوته كما شهد لنا صاحبك فانصفْ واطلب رضا ربك كما يجب على ذوي العقولِ وانظرْ مَنْ هو المحرِّف والمبدِّل أنحن الذين أخذنا الكتاب عن قوم جاؤوا به على صحته بالآيات والعجائب الإلهية الخارجة عن إمكان طبائع الآدميين واتفقت عليه الأمم المختلفة الألسن والأهواء والديانات والبلدان البعيدة الذين لا يمكن أنْ يقعَ بينهم في مثله تواطؤ بحيلة من الحيل أم الذي قبل كتاباً بلا حجة ولا دليل ولا شهادة عن نبي ولا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ذكر أعجوبة تشهد له وإنّما تناوله عن ناقل نقله بلسانه ولسان أهل بلده فقط فجعل ذلك برهاناً له وزعم أنَّ الكتاب الذي هذه حاله وقصته يجري مجرى فَلْق البحر وإحياء الموتى وإبراء الكمه والبرص وإقامة المقعَدين وأخذه لذلك الكتاب عن قومٍ كانت بينهم الأحن والضغائن وكلٌّ منهم زاد فيه ونقص وبدّل وغيَّر واجترأ حتى نسبه إلى الله تعالى وزعم أنَّه دليلٌ على نبوّة نبيّه وأنَّه شاهد عدل له بأنَّه رسول رب العزة ثمّ لم يرضَ بهذا بل تعدَّاه وقال من لا يقبل كتابي هذا ويقول إنّه منزل من عند الله وإنّي نبي مرسَل قتلته وسلبته ماله وسبيت ذراريه واستبحْتُ حريمه فقبل ذلك منه كرهاً وخوفاً وفرقاً لما توعَّده به من البلاء والشقاء بلا حجة ولا برهان فاجعلْ أصلحك الله عقلك هو الناظر والحاكم في هذا والمميز له وانظرْ إلى ما يؤديك فألزمه واعتقده فإنِّي واثقٌ بعقلك أنَّه يخلص لكَ ولا يغشك لأنَّ تبارك وتعالى اسمه إنّما جعل العقل ميزان العدل فاستعمل ما فضلك الله به فإنَّك إنْ بحثت تدرك الحقائق بحول الله تعالى.

فلنرجع الآن إلى ما كنا فيه من ذكر البشارة الطّاهرة فنقول إنَّه قد صح عند ذوي العقول الأصلية أهل البحث والتدقيق وتقرّر عندهم بالقياسات والاجتماع عن غير تواطؤ أنَّ النبوات التي أودعتها الأنبياء كتبهم عن الله جلّ وعزّ قد تمت وكملت عند مجيء المسيح المرتجى فلننظرْ الآن في الآيات التي جاء بها المسيح سيدنا الدّالة على سلطان ألوهيته وقدرة ربوبيته فنقول إنّ أوّلَ ذلك ومبتداه أنّ الله الرحيم المتفضّل على خلقه اختار من جنس آدم الذي خلقه بيده وشرفه

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بصورته وفضله بشبهه على الخلائق كلها جاريةً عذراءً زكيّةً طاهرةً مقدّسةً نقيّةً لا عيبَ فيها لا في نفسها ولا في بدنها ليحلّ فيها كلمته وروحه ويأخذ منها جسداً بشريّاً تاماً فيتّحد به ويخاطبنا وجعل المبشِّر لها جبرائيل رئيس الملائكة ائتمنه على هذه البشارة وفضَّله على سائر أجناد السّماء وأحلّه أشرف المنازل ببعثه إياه رسولاً إلى خيرته من ذرية آدم سيدة نساء العالمين مريم المغبوطة بنت يواكيم والدة ربنا يسوع المسيح الإله المخلص فجاءها مبشِّراً من عند الله مكرِّماً ومهنِّئاً وقال « السّلام[1] عليكِ أيتها الممتلئة نعمة سيدنا معك » ولم يقلْ « سيدي » بل جمع أجناد الملائكة كلها بقوله « سيدنا » فمن سيد الناس والملائكة جميعاً إلاّ كلمة الله الأزلية التي خلقت السَّموات والأرض كما قال داود فافهمْ يرحمك الله هذا السرّ المخزون في كتب الله ودعْ عنك عماء الجهل والعصبية أنار الله عقلك وخلّصك من ظلمات الضّلال ثم قال جبرائيل في إثر ذلك القول « إنّك تحبلين وتلدين ابناً وتدعين اسمّه يسوع » الذي تفسيره المخلّص « هذا يكون عظيماً وابن العليّ يُدعى ويعطيه الرَّب الإله كرسي داود أبيه ويكون ملكه على آل يعقوب إلى الأبد ولا يكون له انقضاء » فلمَّا خاطبها جبرائيل بهذا تعجبت من قوله فردت عليه قائلةً « من أين يكون لي هذا ولم يباشرني رجلٌ » فأجابها جبرائيل قائلاً « الرّوح القدس يحلّ عليك وقوة العلي تظللك ولذلك يكون الذي يولد منك قدوساً وابن العلي يُدعى » ثم أعقب قوله ذلك بإعطائها الدليل لتزداد يقيناً ولا ترتاب ولا يكون للشكّ عندها موضع بقوله ثانيةً

---

(١) قابل لوقا ١: ٢٨ ــ ٣٦.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

« وهوذا أليصابات قريبتك قد حبلت بابن على كبرِ سنّها وهذا هو الشّهر السّادس من حبل تلك التي كانت عاقراً » فهذه أعجوبة البشارة التي لا تكون ولا يليق مثلها إلاّ بهذا السيد المخلّص. فأصغِ الآن لشهادة المخالف التي تؤكد الحجّة عليه إذْ يقول صاحبك طائعاً مقراً ﴿ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ واصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ واسْجُدِي وارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ... يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهاً فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلاً وَمِنَ الصَّالِحِينَ قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ والْحِكْمَةَ والتَّوْرَاةَ والإِنْجِيلَ وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللهِ وَأُبْرِئُ الأَكْمَهَ والأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَأَطِيعُونِ ﴾ (آل عمران). فهذا قول صاحبك وشهادته وإقراره بالحقِّ مذعناً ومصدقاً فهل تعلم أصلحك الله أو تذكر في ما قرأته من كتب المخالفين أحداً كان له في ابتداء أمره من البشارة مثل ما قصصنا عليك عن الله عزّ وجلّ في الإنجيل الطّاهر المقدس وعن كتابك الذي تدعي أنت بصحته وتقرّ

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

بعدالته وشهادته ثم إنَّ مريم[1] الطّاهرة المباركة صارت إلى أم يحيى بن زكريا وقد كانت هي وزوجها باريْن تقييْن عندما حبلت بيوحنا فلمَّا قرعت باب منزلها بالتسليم عليها على السنّة الجارية عندهم اضطرب الجنين في أحشائها فرحاً وهتفت أمه بصوت عالٍ قائلةً « مِنْ أَيْنَ لِي هذَا أَنْ تَأْتِيَ أُمُّ رَبِّي إِلَيَّ. مذ وقعَ صَوْتُ سَلامِكِ فِي أُذُنَيَّ اضطرب الْجَنِينُ فِي بَطْنِي ساجداً فرحاً »[1] ومن قول صاحبك في زكريا ﴿ هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقاً بِكَلِمَةٍ مِنَ اللهِ وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيّاً مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (آل عمران) فعنى بذلك المسيح كلمة الله وسيد ذرية آدم عليه السلام فإن ﴿ مُصَدِّقاً ﴾ صفة ليوحنا ولكن « كَلِمَةً اللهِ وَسَيِّداً » ليست بصفة ليوحنا لأنّه لم يؤمن بيوحنا أنّه كلمة الله ولا كان سيداً فأمَّا حصوراً ونبياً ومن الصَّالحين فأنت أصلحك الله إنْ لم تعسف الكلام وتحيله عن حقه علمت علماً حقاً إنَّ هذا معناه. ثم إنّه ظهر للمجوس في بلاد فارس الكوكبُ الدّالُ على ميلاد الملك العظيم الذي لا زوال لملكه وأنَّ له الملك بالحقيقة وكان علماؤهم قد سبقوا فأخبروهم بخبره في الكتب وعرّفوهم وقت ظهوره وأعطوهم الدليل على ذلك والعلامة ظهور كوكب يتقدمهم في المسير إليه وقضاء بعض حقّ عبادته بالسّجود له والخضوع لطاعته فلم يزلْ المجوس ينتظرون

---

(١) قابل لوقا ١: ٣٩ ــ ٤٤.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ذلك ويتوقعونه راجين ومؤمّلين حتى جاء الوقت وظهر الكوكب[1] الذي هو الدليل على ميلاد السيد العظيم فجاءوا من بلاد فارس إلى بيت المقدس الذي هو أرض اليهودية بهداية الكوكب حتى وقف ببيت لحم فقضوا الغرض وأدّوا حق الطاعة ورأوا ما كانوا يؤملونه وانصرفوا مؤمنين غير شاكين ولا مرتابين بل فرحين مسرورين لما أهلوا له. ثم ظهر ملك[2] من الملائكة عند ولادته لقوم من الرعاة يرعون أغنامهم فقال لهم عندما أشرق عليهم نور البشارة بميلاد السيد « هَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لكم وللناس كافةً أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ مُخَلِّصٌ يعني لأولاد آدم جميعاً وهُوَ السيد الْمَسِيحُ الرَّبُّ والدليل لكم إنّكم إذا صرتم إلى الموضع تَجِدُونَ طِفْلاً ملفوفاً في أطمار موضوعاً فِي مِذْوَدٍ فلم يفرغ من كلامه حتى ظهرت لهم أجناد الملائكة مع ذلك الملك وهي تطير ما بين السماء والأرض بتهليل وترتيل وتهتف جميعاً بصوتٍ عالٍ وتسبح وتقول المجد لله في العلا وعلى الأرض السّلام وفي الناس المسرّة والأمن والرجاء الصّالح للناس كافة، ثم أقبل الرّعاة إلى ذلك الموضع مسرعين فوجدوا المولود ملفوفاً في أطمارٍ على ما أخبرهم به الملك فصدقوا وآمنوا وأخبروا بخبرهم وما عاينوه من أجناد الملائكة وما سمعوه من التسبيح العجيب وقصّوا قصة مجيئهم فتعجب من ذلك كل مَن سمع. فهذه أصلحك الله قصة البشارة والميلاد على غاية الاقتصار من القول. فلنخبرْ الآن كيف كان

---

(١) انظرْ متى ٢: ١ ــ ١٢.
(٢) قابل لوقا ٢: ٨ ــ ٢٠.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ابتداء الدعوة فنقول لما أتت على سيدنا المسيح ثلاثون سنة وظهر يحيى بن زكريا بتلك المعمودية بماء نهر الأردن التي للتوبة صار إليه المسيح ليصطبغ منه. فلمّا رآه يحيى قال « هذا[1] حَمَلُ اللهِ الحامل خطايا الْعَالَمِ » ثم قال « يا سيدي أنا محتاج أن أطّهر منك وأنت صرت إلى لتتطهر مني » فأجابه يسوع قائلاً « دعْ الآن لأنّه هكذا يجب علينا أنْ نكملَ كلّ البر » ثم لم يزل مجتهداً حتى عمده فلمَّا صعد المسيح من الماء انفتحت أبواب السماء ظاهراً مكشوفاً تجاه العالمين الذين كانوا هناك فرأوا الروح القدس قد حلّ عليه في صورة حمامة وإذا بهاتفٍ يهتف من السماء بصوت عال « هذا هو ابني الحبيب الذي به سُررت » فتعجب لذلك يحيى بن زكريا وجميع من حضر. ثم ابتدأ المسيح في إظهار دعوة الناس بعد ذلك إلى اليوم الذي طلع فيه إلى السماء وحثَّهم على التوبة ورفض الدنيا والزهد فيها وترك الأهل والولد والأموال واللحوق به والترغيب في أعمال البر والكفّ عن المآثم والتحبيب لاصطناع المعروف في كلِّ أحدٍ وترك الضغائن والحسد والطلب بالطوائل والأخذ بالثأر وترك المكافأة عن الإساءة والصفح عنها والتفضل على كل أحدٍ بما هو حسن وأعلمهم أنَّ هذا يقرّبهم إلى الله تبارك اسمه وحثَّهم على فعل ذلك ليستحقوا به جزيل الثواب وعظيم الأجر في دار المآب التي لا زوال لحياتها ولا انقطاع لنعيمها وأنذرهم بالبعث والنشور والقيام بعد الموت للحساب والثواب والعقاب فمن عمل صالحاً فله ثواب ذلك في ملكوت السماء ومن عمل

---

(١) انظرْ متّى ٣: ١ ــ ١٧ ولوقا ٥٣: ٢١ ــ ٢٢

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

شراً فعليه العقاب في نار جهنم خالداً فيها أبداً وحقق قوله بعمله الأعاجيب وصدق وعده ووعيده بالآيات الظاهرة والعلامات الباهرة والدلائل الواضحة التي لا يمكن للمخلوقين أنْ يأتوا بمثلها وذلك بغاية الرفق والخشوع ومجانبة الفخر والبذخ اللذيْن هما من فعل الشيطان وأشباهه وإظهار الرّحمة والمحبة والشفقة على الناس كافة وبذله كل ما سئل أو طلب منه لا يطلب على ذلك من أحدٍ أجراً ولا شكراً إلاّ تمجيد الله وتحميده والتصديق بأنَّ الله جلّ وعزّ قد أنجز وعده الذي وعد على ألسن أنبيائه وأكمل جوده وتفضله على آدم وذريته إذْ بعث إليهم كلمته متجسداً منهم وأنقذهم من ضلالة الشيطان وسلطان الموت وعرَّفهم نفسه أنَّه إله واحد ذو ثلاثة أقانيم آب وابن وروح قدس فكان أوّل ما دعاهم به قوله « توبوا[1] أيها النَّاس فقد دنا مَلَكُوتُ السّماء » فأوعى في آذانهم ذكر التوبة والبعْث اللذيْن لا عهد لهم بهما ولا يعرفونهما ورغَّبهم في ملكوت السماء ليعملوا أعمالاً يستحقون بها الدخول إليها وزهَّدهم في الأفعال التي كانوا مقيمين عليها والرجوع عنها إلى الأمر الذي يوجب لهم مغفرة الخطايا وصام أربعين يوماً بلياليها تخدمه فيها الملائكة وتتعبد له وهو مجاهد في صومه كيد الشيطان معرِّفاً للناس أنّ الله تبارك اسمه قادرٌ على أنْ يحيي الإنسان بغير خبزٍ ولا ماء ممثلاً في ذلك حال حياتنا بعد الموت في القيامة وأنَّه في ذلك الوقت ترتفع عنا الحاجات كلنا ونحيا بلا أكل ولا شرب.

---

(١) قابل متى ٣: ٢.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ثم ابتدأ في فرض الشّرائع والسّنن الرّوحانية وتعليم النّواميس الإلهية التي تليق بالإلـــه ونفي الأمور الجسدانية فكان من قوله في القتل « قَدْ[1] سَمِعْتُمْ ما قِيلَ للأولين إنَّ منَ قتلَ يُقتل وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ إِنَّ مَنْ غَضِبَ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلاً فقد استوجب العقوبة ومن عاب أَخِـــاه فقـــد وجبت عليه لائمة الجماعة ومن أساء إلى أخيه فقد استوجب نَارِ جَهَنَّمَ ولا تغربن الشمس على أحدٍ وهو غضبان على أخيه » ثم قال « إذا كنت قائماً في صلاتك وتَذَكَّرْتَ أنَّ أخـــاك واجـــدٌ عليك فاقطعْ صلاتك وأمضِ إليه مترضياً له ثم أقبل وأتمم صلاتك » فقطع بهذه الشريعة أصل العداوة وأسباب البغيضة التي تنمي القتل، ثم قال « قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لا تَزْنِ وَأَمَّا أَنَـــا فَـــأَقُولُ لَكُمْ مَنْ نَظُرَ إِلَى امْرَأَةٍ نظرة شهوةَ فَقَدْ زَنَى فِي قَلْبِهِ » فدلّنا بهذا أن الله جـــلّ ثنـــاؤه عـــارفٌ بالظاهر والباطن لا تخفى عليه خافية وهو المكافئ على السرِّ علانية ثم قال « قد سمعتم أنـــه قيل مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَلْيُعْطِهَا كِتَابَ طَلاقها وأَنَا أَقُولُ لَكُمْ مَنْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ من غير فاحشةٍ أتتها فقد ألجأها إلى الزّنا وَمَنْ تَزَوَّجُ مُطَلَّقَةً فهو زانٍ » ثم قال في ذمّ الكذب « قد سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لا تكذب في قسمك أمَّا أنا فأقول لكم لا تقسمن الْبَتَّةَ لا بِالسَّمَاءِ لأَنَّهَـــا كُرْســـيُّ الله وَلا بِـــالأَرْضِ لأَنَّهَا مَوْطِئُ قَدَمَيْهِ وَلا بِأُورُشَلِيمَ لأَنَّهَا مَدِينَةُ الْمَلِكِ الأعظم وَلا بِرَأْسِكَ لأَنَّكَ لا تَقْدِرُ أَنْ تحـــدث فيه شَعْرَةً وَاحِدَةً سَوْدَاءَ أَوْ بَيْضَاءَ بَلْ لِيَكُنْ كَلامُكَ النَعَمْ نَعَمْ واللا لا وَمَا زَادَ عَلَى ذلِكَ فَهُوَ مِنَ الشّيطان » ثم قال في ذم الأخذ بالطوائل والتّرغيب في الصّفح

(١) قابل كلّ هذه الوصايا في متى الإصحاح الخامس والسّادس والسّابع.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

والامتناع من الانتقام « قد سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ العَيْنُ بالعَيْنِ وَالسنُّ بالسنِّ والجراح قصاص وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ لا تُقَاوِمُوا الشَّرَّ بَلْ مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَحَوِّلْ لَهُ الأيسر وَمَنْ طلبَ أَنْ يأخذ قميصك فلا تمنعه رداءَك وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً وَاحِداً فَامضِ معه ميليْن ومَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَقْتَرِضَ مِنْكَ فَلا تَرُدَّهُ »، فقطع بهذه الوصية سبيل الخصومات وبرّد نار الملاحمات ورفع الشر القاطع بين الناس وقرَّب بعضهم من بعض وجمع بينهم بالتحابب وألان قساوة الغلظة وآنس وحشتها وجعل النّاس إخوة في الرحمة والشفقة. وقال في التفضل والإحسان « قد سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ أحببْ قَرِيبَكَ وأبغض عَدُوَّكَ وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ بَارِكُوا لاعِنِيكُمْ وأَحْسِنُوا إِلَى مَنْ أساءَ إليكم وادّعوا لمن اضطهدكم وساقكم كرهاً لِتَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاء وتتشبهوا به فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأخيار والأَشْرَارِ وَيُحدر قطره عَلَى الأَبْرَارِ والفجّار » ثم قال مؤكداً لهذه الوصية ومرغباً فيها « وَإِنْ كنتم تحسنون إلى مَنْ أحسن إليكم فأيّ أجرٍ لكم أليس يفعل هذا السّفهاء بل كونوا كاملين محسنين متفضلين كيما تشبهوا الرّب الذي يمهلكم ويتفضّل عليكم » ثم قال في البر « انظروا في صدقاتكم لا تعطوها تجاه الناس تزيدون بذلك براً منهم فيضيع أجركم لكن أنت أيها المتصدق أيّما تصدقت بصدقةٍ إياك أنْ تعلم شمالك ما صنعت يمينك لكيما تكون صدقتك سراً والحقّ أقول لكَ إنَّ أباك الذي في السَّماء يكافيك على صدقتك علانيةً » ثم قال « وأنت أيها المصلي إذا أردت الصّلاة فلا تقفن في الأسواق وعلى ظهور الطرقات ترائي

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

النّاس بصلاتك لكي يمدحوك اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكَ إِنْ فعلت هذا فلا أجر لكَ بل قد أخذت أجرك من الناس الذين مدحوك » ثم قال « أيها المصلّي إذا أردت أنْ تصلي فَادْخُلْ إِلَى مِخْدَعِكَ وصلِّ بين يدي أبيك سراً وأبوك الذي يعلم السرّ يكافيك علانيةً » ثم قال « إذا صمتَ فلا تعبس وجهك وتضعف كلامك لكي ترائي الناس بذلك فيضيع أجرك بمدحة الناس ولكن إذا صمت فاغسلْ وجهك وادهنْ رأسك وقوِّ كلامك لكيما يخفى على الناس صيامك والحقّ أقول لكَ إنَّ أباك الذي إياه قصدت بصومك يجازيك » ثم قال في ذمّ الشَّره والحرص والبخل « لا تدّخروا ذخائركم حيث يصل إليها اللصوص والآفات بل ادّخروها في السّماء حيث لا تصل اللصوص وتأمنون عليها حيث تكون ذخائركم فهناك تكون قلوبكم » ثم قال « لا يَقْدِرُ العبد أَنْ يَخْدِمَ ربّيْن إلاّ بإكرام أحداهما واحتقار الآخَرَ وكذلك لا تَقْدِرُونَ على خدمة ربّكم وخدمة الدنيا » ثم قال « لا تَهْتَمُّوا بِمَا تَأْكُلُونَ وَلا بِمَا تَشْرَبُونَ فإنّ عنايتكم بأنفسكم وخلاصها من الآثام والخطايا أفضل وأوجب عليكم من عنايتكم بأجْسَادِكُمْ لأنَّ النفس أفضل من الجَسَدِ إذْ كان لا قوام للجسد إلاّ بالنفس ولكن تشبّهوا بطير السَّمَاءِ التي لا تَزْرَعُ وَلا تَحْصُدُ وَلا تَجْمَعُ بل تغدوا خماصاً وتروح بطاناً لأنَّ أباكم الذي في السّماء يؤتيها رزقها والحقّ أقول لكم إنّكم في الخليقة أفضل وأكرم عند الله منها فلا تهتموا بما تقيتون به أجسادكم بل اصرفوا عنايتكم إلى ما يرضي ربّكم ولا تحملوا اليوم همَّ الغدِ إنّما يكفي اليوم همّه فلا تهتموا برزقِ الغد لأنَّكم لستم خالقيه وإنَّما خُلق لكم فخالق الغد هو يأتيكم فيه

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

رزقه ولا يقولن أحدكم إذا أقبل الشّتاء ماذا أكل وماذا ألبس وفي الصّيف من أين آكل ومن أين أشرب فإنَّ أباكم الذي في السَّماء يعلم إنكم تحتاجون إلى ذلك وهو يؤتيكم إياه » ثم قال في اغتياب الناس « لا تَدِينُوا ولا تعقبوا لكي لا تدانوا ولا تعقبوا فإنَّ الدين الذي به تَدِينُونَ تُدَانُونَ وَبِالْكَيْلِ الَّذِي تَكِيلُونَ به يُكَالُ لَكُمْ فما بالك أيها الإنسان ترى الْقَذَى الَّذِي فِي عَيْنِ أَخِيكَ وفي عَيْنِكَ خَشَبَةٌ لا تهمّك أو تَقُولُ لأَخِيكَ دَعْنِي أُخْرِجِ الْقَذَى الذي في عَيْنِكَ وفِي عَيْنِكَ أنت سارية أخرجْ أولاّ السَّارية مِنْ عَيْنِكَ وَحِينَئِذٍ تنظر في إخراج الْقَذَى مِنْ عَيْنِ أَخِيكَ » ثم قال في الطلب والتضرع إلى الله جلّ وعزّ ووعده بالإجابة « اُطْلُبُوا تَجِدُوا اِسْأَلُوا تُعْطَوْا اِقْرَعُوا يُفْتَحْ لَكُمْ فإنَّ مَنْ سأَلَ بنيّةٍ صادقةٍ أعطي وَمَنْ طَلَبَ بإيمانٍ خالصٍ وجد ومن استفتح بقلبٍ سليم فُتح له من مِنْكم يسأله ابْنُهُ خُبْزاً فيُعْطِيهِ حَجَراً أو يسأَلَهُ حوتاً فيناوله حَيَّةً فَإِنْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ الأَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلادَكُمْ العَطَايَا الجَيِّدَةَ فَكَمْ بِالْحَرِيِّ أَبُوكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاء عنده الخيرات ويأتي الحسنات والبركات ويفيض نعمه على أوليائه وأهلِ طاعته الَّذِينَ يَسْأَلُونَه بنيّةٍ صادقةٍ ويقينٍ خالصٍ » ثم قال في اصطناع المعروف إلى الناس « كُلُّ مَا أحببتم أنْ يَفْعَلَ النَّاسُ بِكُمُ افْعَلُوه أَنْتُمْ بِهِمْ ولا ترضوا للناس إلاّ ما ترضونه لأنفسكم فإن هذا هو كمال البر[1] » ورضي الله عزّ وجلّ.

ولعلّ عايباً عاتيّا بقلة دينه يعيب ألفاظ الإنجيل ويقول في تسمية المسيح سيدنا الله تبارك وتعالى أبانا فنجيبه في هذا بجواب مقنعٍ

(١) كلّ هذه الإشارة فهي منقولة عن الإنجيل بالمعنى لا في اللفظ.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

ونقول إنّ المسيح له العالم وسيده أراد أنْ يحبّب طاعة الله إلى الناس ويقرّبها من قلوبهم لتكون طاعتهم له بالمحبة والمودّة لا بالقهر والرهبة وأنْ يؤلِّف بين قلوبهم ويُخرج العداوة منها ويرفع ذكر التفاخر بالأنساب الذي أوقعه الشيطان بينهم ويجعلهم متعارفين بعضهم ببعض بالإخوّة التي هم فيها كما هم في الطبيعة أجمع إخوة لأب واحد وأم واحدة وكذلك أحبَّ أنْ يكونوا في جميع الحالات ليس كما فعل صاحبك حيث زرع البغضة بين الناس بقوله ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوّاً لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا وَتَصْفَحُوا وَتَغْفِرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ (تغابن) والسيد المسيح كان يخاطبهم ويقول لهم أبوكم الذي في السموات يفعل بكم كذا وكذا ويصطنع إليكم كيت وكيت كلّ ذلك ليزرع في قلوبهم محبة بعضهم لبعضٍ فتنحل الضغائن ويرتفع التفاضل ولعمري إنَّ الله جلّ وعزّ هو الآب الرحيم المشفق المتحنّن المجمل إذْ كان بدأ فخلقنا جوداً وإحساناً قبل أنْ نكونَ تفضلاً منه علينا وهو يقوينا ويرزقنا بنعمته ويتفقَّدنا بجوده ويتّعهد هفواتنا ويغفر ذنوبنا ويحتمل بكرمه وطول أناته جهلنا ولا يعجل علينا كما يفعل الأب المشفق على ولده. ثم « إذا[1] أدَّبنا خلط بأدبه الرأفة والرحمة » فلا يصل إلى الغاية التي نستحقها بذنوبنا فمن أحقّ وأوْلى أن يُسمَّى باسم الأبوّة الحقيقية من الله تبارك اسمه وتعالى ذكره فلا حجة إذن للمنكر في إنكاره على المسيح سيدنا حيث

---

(١) قابل عبرانيين ١٢: ٥ ــ ١١.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يسمّي الله أبانا. ثمّ قال في أداء الفرائض « فإذا[1] فعلتم ذلك كله فقولوا إِنَّنَا عَبِيدٌ بَطَّالُونَ إِنَّمَا عَمِلْنَا مَا أمرنا به » وقد تحققت لنا أقواله ووصاياه بما كان يظهر لنا من سيرته أنّه كان صائماً مصلياً لا بيت له ولا مأوى ولا شيء من القنية أكثر من ثوبيْن يواري بهما جسده فقد قال له بعض السّائلين يا عظيمنا أين منزلك لآتيك فيه فأجابه إنّ للثعالب[2] أوجرة ولطيور السماء أوكاراً وأمّا أنا فلا بيت لي ولا مأوى حيث أدركتَ فهناك مبيتي ومتى طلبتني وجدتني لم يتكلم بإفك قطّ ولا همّ بخطيئة ولا اقترف ذنباً ولا ارتكب إثماً ولا قبيحة ولا أعاب أحداً ولا أذاه ولا منع طالباً ولا ردَّ سائلاً ولا أعرض عن مستغيث كما سبق قول النبي فيه (إشعياء ٥٣) ثمّ أتبع ذلك فحقق قوله بالأعاجيب والآيات التي فعلها وكان يشفي المرضى الذين لا يعرف عددهم إلاّ هو تبارك اسمه ويبرئهم من أدوائهم ويكشف عن أسقامهم ويهب لهم العافية بكلامه طهّر البرص وأخرج الشياطين وبسط أيدي العُسم وأحيا الموتى الذين ماتوا وأتت عليهم الأيام الكثيرة مثل لعازر أخي مريم ومرثا ومثل ابنة يايروس رئيس الكهنة وعبد العامل وابن أرملة وغيرهم وأخبر بالغيب وبما تخفيه صدورهم وتكنّه أفئدتهم وبكلمته أبرأ المفلوج وأمر المقعد الذي أتت عليه ثمان وثلاثون سنة زمناً أنْ يحملَ سريره على عاتقه ويمضي محاضراً فكان ذلك ونادى الشياطين فأجابته مذعنة لأمره

---

(١) قابل لوقا ١٧: ١٠.
(٢) قابل متى ٨: ٢٠.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

طائعة لربوبيته مقرَّة أنّه كلمة الله الحي وأنّه هو الذي يبطل سلطانها وتسأله أنْ يذهل عنها وغفر الخطايا وعفا عن الذنوب بالكلمة الخالقة الممجدة بروح القدس الحالّة فيه وفتح أعين الأكمه المعروف بالعمى على طول الأيام وخلق لبعضهم الأعين من الطين المجبول بريقه قدرةً منه على الخليقة وأشبع من خمس خبزات وسمكتيْن خمسة آلاف رجلٍ خلا النساء والصبيان وفضّل من ذلك اثنا عشر مناً كسراً وكان مباركاً حيث كان وغيَّر الماء المصبوب في ستة أجاجين خمراً وذلك في عرس الجليل وتباركت به الصبيان ونادت به الأطفال ولعن شجرة التين فجفت من ساعتها وزجر أمواج البحر في شدة الريح فانتهت ومشى على الماء ظاهراً وتجلى لتلاميذه في الجبل مع موسى وإيليا النبييْن وخبَّر السامريّة بخبرها مع الأزواج وأبرأ المرأة التي كان بها نزيف دمٍ منذ اثنتي عشر سنة وذلك بمجرد لمسها ثوبه وظنت أنّه لا يعلم بها فعلم بالقوة التي خرجت منه وقال للجماعة من لمس ثوبي وأتت المرأة وسجدت له وأقرَّت بما فعلت فقال لها إيمانك شفاك امضي بسلام وكوني بريئةً من عللك وأمر الشّياطين أنْ تدخلَ في الخنازير وتغرق في البحر فأجبت وانتهت إلى طاعته وفعل أفعالاً كثيرة لو نسق جميعها الرسل لطال الكتاب بها وقد تركنا أيضاً كثيراً منها لئلا يطول كتابنا هذا ولأنّني أعلم أنّك قد قرأتَ الإنجيل المقدَّس حيث كان ما أثبته التلاميذ من ذلك منسوقاً فيه ومن قول صاحبك وشهادته ﴿ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ ﴾ فكيف يحيل عليك أصلحك الله أنَّ هذه

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الأفعال ليست إلهية ولا يحيل ذلك إلاّ على من أظلم عقله بالجسد وأعمى بصره بالغيرة ومَنْ حملته محبة الدنيا على إهلاك نفسه ومن اتّبعه بالإفك وكل ذي لبٍّ ناصحٌ لنفسه إذا هو نظر في كتابنا هذا وتصفّح هذه الأمور بعين الحقّ والنصفة وقاسها بأفعال صاحبك تبيَّن له الحق من الباطل وإن كان لا يقاس بأمر المسيح شيء من الأشياء بالبهت والكذب والدّعوى الباطلة ونحن نعلم وأنت أنَّ أفعال المسيح ليست من أفعال البشريين وأنَّ أمر صاحبك قد تهيأ لجماعة من الناس ممن قد رأينا وسمعنا به من الملوك المتقدمين في سائر الأزمان فإنْ قلت إنَّ الأنبياء كانت تفعل الأشياء المعجبة التي ليس في قدرة العالمين أنْ يفعلوا مثلها مثل موسى وغيره قلنا لك إنَّ الأنبياء كانت تفعل ذلك لكن بعد التّضرع الشديد والطلب الطويل والمسألة الملحفة لا بالقدرة القاهرة والأمر النافذ الذي لا مرد له ولا شيء يعتاص عليه أو يضاده مثلما كان يفعل سيدنا المسيح لأنَّ أولئك إنَّما كانوا يفعلون الشيء المعجز كما يفعل العبيد المشفقون بحسب الطّاعة لإنفاذ الأمر الذي وجِّهوا به وتبليغ الرسالة وأنت تعلم أنَّ موسى قبل فلق البحر لبني إسرائيل ما زال مصليّاً راكعاً ساجداً طالباً حتى قال الله له لِمَ تصلّي « قم[1] فاضربْ البحرَ بعصاك فإنَّه ينفلق بين يديك » هكذا تجده في التوراة وكذلك يشوع بن نون وإيليا وأليشع كانوا يتضرعون ويطلبون في صلواتهم فعند ذلك يُؤذن لهم في عمل الآية وذلك بعد المسألة الملحفة على أنَّ بعضاً دعا وصلّى وتضرع فلم

(١) قابل خر ١٤: ١٥ و١٦.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

يُجَب مثل موسى نجي الله فإنّه تعالى قال له لا أدخلك أرض المواعيد وهي بلاد الشّام لأنّك لم تصدقني ولم تقدّس اسمي أمام بني إسرئيل وذلك في المكان المعروف بماء الخصام لضربه الصخرة ضربتيْن فحرمه من دخول أرض الميعاد ومثل إرميا المغبوط في الأنبياء قد دعا فقال الله عزَّ وجلّ إني لا أسمع دعاءَك ولا أقبل صلاتك.

فأما سيدنا يسوع المسيح الذي هو الابن الحبيب كما شهد أبوه له قائلاً « هـذَا[1] هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ » فإنّه فعل الأشياء بالقوة القاهرة التي هي الكلمة الخالقة للسموات والأرض المتحدة به فهل يقدر مخالف أنْ يتعنّتَ أو يبطلَ هذا القول إلاَّ بالحسد والمعاندة للحقِّ والافتراء على الله الآب وكلمته وروح القدس مثل من يقول إنَّ الشمس مظلمة والنار غير محرقة فباهت بذلك العيان وكفاه بهذا خجلاً.

وإذا قد نقلنا بعض شرائع المسيح سيدنا وأخبرنا ببعض عجائبه لنذكرْ الآن كيف اتّخذ تلاميذه الحورايين وبعث بهم إلى أهل العالم دُعاةً إلى الحقّ فنقول إنّه اتخذ قوماً أميين لا علم لهم ولا معرفة ولا شرف ولا حسب ولا أيسار صيّادي سمك وعشّاري خراج ففتح قلوبهم وملأها نوراً وحكمةً فقهروا بذلك كل فيلسوف حكيم وفاقوا كل طبيب ماهر وتذلل لهم كلّ ملكٍ عزيز وسلطان شديد وكل جبار عنيد ودخل في طاعتهم كل شريف وحسيب وافتقر إليهم كل غني حتى دان لهم ذوو الأيسار وأقرّ لهم كل ذي علمٍ وفهمٍ وانقطع عند حجتهم كلّ ذي بلاغة ودانوا لهم بالطّاعة وأقرّوا لهم بالإجابة غير

---

(١) متى ٣: ١٧.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

منكرين ولا جاحدين بل قائلين بالفضل الذي أوتوه ومعترفين لهم بالنعمة التي ظهرت عليهم والأيد الذي أيّدوا به وتلك الآيات العجائب التي أظهروها حين قال لهم « اذهبوا[1] فادعوا الأمم إلى حياةٍ الأبد وبشرّوهم بالبعث والنّشور وقيامة أجسادهم وفيها أرواحهم وتخليصهم من سرّ الموت وفكهم من سلطانه وإطلاقهم من حبسة الذي هم فيه وقد أعطيتكم على تحقيق ما تضمنون لهم من ذلك القدرة على فعل الآيات والعجائب مجاناً أعطيتكم مجاناً أعطوا لا تأخذوا ذَهَباً وَلا فِضَّةً من أحدٍ تضعون أيديكم على المرضى فيبرأون والموتى فيحيون باسمي ليعجب العالم منكم ويكون لي حجةً عليهم » فساروا بسيرته وبلغوا ذلك وبشَّروا الناس بالرحمة والمغفرة ودعوهم إلى الحقِّ مجتهدين غير مفترين ولا مستأثرين لشيء من الدنيا وعدة هؤلاء سبعون رجلاً الذين وجَّههم قبل ارتفاعه إلى السماء بالكرامة والمجد. واختار اثني عشر رجلاً كانوا ملازمين له وهم حواريوه وتلاميذه المشاهدون لكلّ أموره في كلِّ أحواله وهم الناقلون أخباره بالحق والصدق إلى الأمم وكانت مخاطبته إياهم وعهده إليهم قائلاً إنَّ الذي يعمل ويعلّم هذا يُدعى اسمه كبيراً في ملكوت السَّموات وعظيماً وإذا أنتم طلبتم فاطلبوا المغفرة لخطاياكم والرّحمة وملكوت السماء والعمل بالبر ولا تكثروا الخطب والتعديد وتشغلوا قلوبكم بطلب

---

(١) قابل متى ١٠ ولوقا ١٠: ١ ــ ١٠.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

الرزق الذي قد كُفيتموه فإنَّ أباكم الذي في السماء أعلم بحوائجكم وما يصلح لكم ولكن إذا دعا أحدكم فليدعُ هكذا[1]:

« أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ أعطنا خُبْزَنَا كَفَافَنَا يَوماً فَيَوماً واغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وخطايانا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ لِمَن أساءَ إِلَيْنَا وَلا تُدْخِلْنَا فِي التَّجَارِبِ لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ لأَنَّ لَكَ الْمُلْكَ والْقُوَةَ والْمَجْدَ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ ».

ثم قال لهم « إنّي موجهكم مثل الحملان بين الذئاب[2] ولكنّي مؤيدكم فكونوا حُكماء في أموركم وإذ قدمتم إلى السّلاطين والحكام والقضاة فلا تهابوهم ولا تميلوا عن الحقّ معهم ولا ترهب قلوبكم عند مخاطبتكم إياهم بالمواعظ لأنّهم لا يملكون لأنفسكم ضراً وإنما سلطانهم على أجسادكم فقط فاصبروا إذا ألجؤوكم إلى الحبس والضرب والقتل واذكروا من له سلطان على أنفسكم وأجسادكم معاً لأنّه هو القادر على أنْ يميتكم ويحييكم ويعذبكم ويعفوا عنكم ولا تهتموا بما تكلمونهم وتحاجون به فإنّي معطيكم في الوقت من الحكمة بالروح القدس ما تحتاجون إليه واعلموا أنَّ من جحدَ دعوتي وأنكر البشارة باسمي أنكرته يوم القيامة إذا وقف مع الخلائق بين يدي للحكم والقضاء ومَنْ أقرّ بدعوتي والبشارة باسمي بين يدي النَّاس ولم يجحد ذلك ولم يكتمه قررت به أنَّه من أوليائي يوم الدين

---

(١) قابل متى ٦: ٧ ــ ٤.
(٢) قابل متى ١٠: ١٦ ــ ٣٣.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

إذا وقف مع الخلائق بين يدي، ثم قال لهم عليكم بالتّواضع فطوبى[١] للمتواضعين طوبى للمطهرة قلوبهم كونوا رحماء فطوبى للرحومين فإنَّهم يستحقون الرّحمة من ربهم. ثم قال لهم صلوا من قاطعكم أعطوا من منعكم أحسنوا إلى من أساء إليكم سلموا على سبّكم صالحوا من بغضكم اصفحوا عمّن أهانكم أنصفوا من خاصمكم واعفوا عمّن ظلمكم كعفو الله مولاكم عنكم فإنّكم إذا لم يرحم بعضكم بعضاً كيف يرحمكم الله وإذا لم تحسنوا إلى الناس كيف يحسن الله إليكم كونوا متفضلين حتى يجود الله عليكم فحقاً أقول لكم كما تفعلون كذلك يُفعل بكم. ثم قال إنَّ[٢] ضوء الجسد عيناه فإنْ كان البصر مستضيئاً استضاء الجسد كلّه وإنْ كان البصر مظلماً كان الجسد أيضاً في الظلام كذلك العبد إذا كان عالماً بربه أبصر ذنبه وإذا كان جاهلاً بربه عمي عن ذنوبه وكما أنَّ لا قوام للجسد إلاّ بالنفس الحيّة كذلك لا قوام للدين إلاّ بالنيّة الحسنة الصّادقة وإياكم والنظر إلى عيوب[٣] الناس وأن تعاتبوهم على صلاحها لكن أبدأوا بإصلاح عيوب أنفسكم وغطّوها بأفعالكم لا تعطوا القدس للكلاب ولا تنشروا دركم قدّام الخنازير ولا تذكروا الحكمة للسفهاء ولا تتكلموا بها عند المظلمة قلوبهم من خوف الله. ثم قال ما أسهل[٤] السبيل التي تؤدي إلى

---

(١) قابل متى ٥: ٣ ــ ٩ و٤٤ ــ ٤٦.
(٢) قابل متى ٦: ٢٢ و٢٣.
(٣) متى ٧: ١ ــ ٦.
(٤) قابل متى ٧: ١٣ و١٤.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

العطب والهلاك وما أوسعها وأعمرها وأكثر سالكيها وما أثقل السبيل التي تؤدي إلى الحياة وما أبطأ سالكيها وأقلّ عامريها[1] احتفظوا من الكذابين واحتراسوا من المرائين على ظهورهم ثياب الصّوف كالحملان وهم من داخل كالذئاب الخاطفة يُعرفون بسيماهم هل يجتنى من العوسج عنب أو من الحنظل تين كذلك لا ينتفع بقولٍ ولا بموعظة من مثل هؤلاء واحذروا من الأنبياء الكذبة الذين يأتونكم بعدي بلا آية ولا حجة بل بالسيف والمغالبة. أمضوا[2] فادعوا النّاس إلى حياة الأبد وعلّموهم ما علمتكم من الحكمة الرّوحانية وخبّروهم بما رأيتموه مني وأهدوهم في هذه الدنيا الفانية الغرارة ورغبوهم في دار الآخرة وأعلموهم إنَّ الله تبارك وتعالى باعث من في القبور ومحيي الموتى ومدين الخلائق فمن عمل صالحاً ورث الحياة الدائمة التي لا موت يقطعها في ملكوت السمّاء وجوار رب العالمين الذي لا شيء أفضل منه مع الأمن والعافية في نعيم لا يزول ولا ينقضي فمن أفسد ولم يسمع قولكم وكذب بشارتي وجحد دعواي وناصبها بالنقض والمخالفة والعداوة والمعاندة فجزاؤه يوم الدين نار جهنم التي لا تنطفئ خالداً فيها والعذاب الدائم الذي لا انقضاء له وغضب الله وسخطه الذي لا رضى بعده فمن ردّ دعوتي فقد ناصب الله وردّ أمره. وقد أعطيتكم من الأيد والسّلطان والقوة والقدرة ما يحقق للناس

---

(١) قابل متى ٧: ١٥ ــ ٢٠.
(٢) قابل متى ٢٨: ١٩ و٢٠.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

دعوتكم لتكون الحجة البالغة عليهم ضعوا أيديكم على المرضى[١] الميئوس منهم فيبرأون باسمي ونادوا الموتى فيحيون وأخرجوا الشياطين من الناس وافتحوا أعين العمى وطهّروا البرص فلا شيء يعاندكم ولا يقاومكم وكلّ ما ربطتموه[٢] على الأرض كان مربوطاً في السَّماء وكلّ ما حللتموه كان محلولاً حتى تنير دعوتي في جميع[٣] الأرض ولا يكون موضع خالياً من دعوتي لأنَّها إلى الناس كافةٍ لأنها نعمة مبثوثة على جميع ذرية آدم فمن دخل فيها حظّ نفسه وربح وأمن وسلم وفاز وغنم ومن ضلّ معرضاً خاب وخسر. ها أنا ذا موجهكم بلا سوطٍ ولا عصا ولا سيفٍ ولا سلاحٍ ولا ملك لا جنود ولا قهر ولا مجاهدة ولا مقاومة ولا مجاحفة ولا جدال ولا مناظرة ولا اضطهاد ولا عنف ولا ترغيب في ملك ولا ملذات الدنيا وشهواتها ولا تسهيل في السنن فنادوا في الناس وادعوهم إلى التّوبة والخروج عن الأهل والولد والأموال والنعيم ورفض الدنيا والتذلل والخضوع وصححوا قولكم وضمانكم لهم ملكوت السّموات بالآيات المعجبة التي أعطيتكم السلطان والقدرة على صنعها وخبروهم خبر البعث والوعيد ورغبوهم في الثواب وحذّروهم من العقاب ولا تأخذوا ذهباً ولا فضة ولا تريدوا من أحدٍ أجراً ولا شكراً كلوا من كدِّ أيديكم وما فضل من قوتكم تصدقوا به على المساكين ولا تدخروا للغد

---

(١) قابل ١٠: ٨.
(٢) قابل يوحنا ٢٠: ٢٣ ومتى ١٩ و٢٠.
(٣) متى ٢٨: ٢٠.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

وامنحوا الناس منحتكم بلا غشٍ ولا غلٍ وأعطوهم من ذلك مجاناً كما أعطيتكم لا تمنعوا طالباً ولا تردوا سائلاً وأسعفوا الناس جميعاً وابذلوا لهم المجهود من أنفسكم سيروا بالبشارة ولا تفتروا فإنَّ ملكوت السّماء قد دنت وها أنا[١] معكم ومع كلّ من دعا باسمي جميع أيام الدنيا إلى انقضاء الدهر. ثم إنّه أراد أنْ يكملَ التواضع إلى الغاية القصوى فلم يمتنع من أيدي الكفرة حتى نالوا منه ما نالوه من صلبه على خشبة وهو مع ذلك يقول « يَا أَبَت[٢] اغْفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لا يَعْلَمُونَ مَا يَفْعَلُونَ » ثم مات بجسده وأقام على الصليب إلى وقت الغروب من يوم الجمعة ثم أُنزل ودُفن وأقام في القبر إلى صبيحة يوم الأحد ثم انبعث حياً بلاهوته وتراءى[٣] للنّسوة اللاّتي جئن إلى قبره زائرات وظهر بعد ذلك لحواريه مرةً في الجليل ومرتيْن في الغرفة التي كانوا فيها نزلاً ومرة في الطريق وبعضهم ماضٍ إلى القرية التي تُدعى عمواس ومرة على شاطئ البحر وهم يتصيّدون السّمك وأكل معهم عدة مرار كل ذلك في خلال أربعين يوماً وكان يجدد عليهم الوصية ويذكرهم العهود التي عهدها إليهم ويخبرهم أنّه سيوجه لهم البارقليط الذي هو الروح القدس لتأييدهم فلم يزالوا كذلك إلى أن صعد[٤] إلى السماء صعوداً ظاهراً مكشوفاً بحضرة من كان

---

(١) قابل مرقس ١٦: ١٥.
(٢) قابل لوقا ٢٣: ٣٤.
(٣) قابل متى ٨: ٩ و١٠ ومرقس ١٦: ٩.
(٤) قابل لوقا ٢: ٥١ وأعمال ١: ٩ ــ ١٢ ومرقس ١٦: ١٩.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

حاضراً في ذلك الوقت وهم ينظرون إلى أبواب السّماء مفتحةً وقد نزلت الملائكة ورفعته بالتمجيد والتهليل والتسبيح وهي تخاطب وتقول أيّها الناس ما بالكم تنظرون متعجبين حائرين هذا يسوع المسيح ابن الله الوحيد قد صعد إلى السماء ممجداً وهو مزمع أنْ يأتي ثانيةً في آخر الأيام فيُرَى نازلاً في ذلك الوقت كما ترونه السَّاعة صاعداً ليبعث مَنْ في القبور ويدين الخلائق ثم غاب عنهم وغابت الملائكة معه وذلك الجبل الذي صعد منه هو جبل الزيتون من بلاد الشّام معروف مشهور بهذه الصّفة إلى هذا الوقت.

فلنذكر بعد هذا شهادة المخالف إذْ يقول معلناً ﴿ إِذْ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً شَدِيداً فِي الدُّنْيَا والآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ واللهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الآيَاتِ والذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴾ (آل عمران) فهذا فتح الله عقلك إلى الصّواب قول صاحبك واعترافه وشهادته عن الله كما أدّعى وادّعيت له فتثبت في النّظر وانصح لنفسك في الاستقصاء ولا تَمِلْ إلى غير الحق فإنك إنْ أنصفت ظهر لك أبيض النور وتلألأ الحق.

ثمّ لمّا كان بعد صعوده إلى السّماء بعشرة أيام كان الحواريون مجتمعين في الغرفة[1] التي كانوا ينزلون فيها معه إذ سمعوا هادة

---

(١) قابل أعمال ١: ١٣ و٢: ٢ ــ ١٣.

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

عظيمة شديدة وتجلّى عليهم الروح القدس الذي هو البارقليط فصار على كل رجلٍ مثل اللسان من النار فجعل يتكلم بلسان البلد الذي وُجِّه ليبشر فيه بالمسيح مخلّص العالم ومنقذه ويدعو أهل ذلك البلد إلى النّصرانية ويخاطبهم بلسانهم ويريهم الآيات المعجزة فعند ذلك تفرّق الحواريون كل رجلٍ منهم إلى البلد الذي نُدب إليها وأُعطي معرفة لسانها وكلام أهلها وكتبوا الإنجيل الطّاهر وجميع أخبار المسيح وأقاصيصه بكلّ لسان عن إملاء الروح القدس فدانت لهم الأمم واستجابوا لقولهم ورفضوا هذه الدنيا ومالوا إلى الأمر الواضح وتركوا أديانهم ودخلوا في النصرانية عندما أشرق لهم نور الحقّ وتلألأ نور البشارة فأيقنوا وآمنوا مصدِّقين غير مرتابين ولا شاكين حيث ميّزوا الحقّ من الباطل والكفر من الإيمان والهدى من الضّلالة والرّشد من الغي ورأوا الأعاجيب والآيات الباهرة والدلائل الواضحة والسيرة الحسنة المشبهة لسيرة المسيح التي آثارها قائمة ثابتة حتى اليوم والساعة فنحن الذين قبلناه منهم ولم نزد فيه ولم نُنقص منه وعليه نحيى وعليه نموت ونُبعث حتى نقوم به بين يدي المسيح سيدنا يوم نقف بين يديه إذا هو دان الخلق جميعهم ليس هذا كسيرة صاحبك وسيرة أصحابك الذين لم يزالوا يتقدمون في القتل والنهب والخبط بالسيوف وسبي الذراري والتغلّب على البلدان ونهب الناس أموالهم وهتك حريمهم واستعباد الأحرار وهم في هذه الحال إلى هذه الغاية يحملون الناس على المحارم وعلى مساوي الأخلاق حتى تعلموا فقالوا في ذلك ما لم تفعلوه مثل قول عُمرِ بن الخطّاب ألا من كان

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

جاره نبطياً واحتاج إلى ثمنه فليبعه ومثل هذا كثير مما يشاكله من القول والفعل وهذا خلاف ما كان يفعله سمعان وبولس من إبراء المرضى بأمرهما وطلبهما وإقامة الموتى باسم المسيح سيدنا.

وإنْ قلت ما بال الرّهبان لا يفعلون اليوم من الآيات والعجائب والجرائح مثلما كان الحواريون يفعلون حيث توجهوا إلى البلدان رجعنا إليك بالجواب وقلنا إنّهم لمّا مضوا للبلدان للدعوة واجتذاب الناس إلى الإقرار بربوبية المسيح احتاجوا عند ذلك إلى كثرة الآيات وتواتر العجائب لتصحّ دعوتهم وليعلم الذين يدعونهم صحّة دعواهم فليس الرّهبان اليوم دُعاةً وإنْ كان كثير منهم يتكلّفون فعل ذلك لدى الخواص خفية ليُعلم أنَّ تلك النعمة ثابتة فيهم باقية فإذا جرى لهم أمر احتاجوا إلى إظهار قوتهم للعامة أظهروها ليُعرف ذلك من أفعالهم في المشرق والمغرب حيث حلّوا ولو أنَّ الرهبان تكلفوا إحياء كل ميتٍ وإشفاء كل مريضٍ في كل وقت لم يمت أحد ولم يكن للقيامة رجاء ولا للدنيا زوال وكان في ذلك تكذيب لوعد الله تبارك وتعالى ووعيده في الآخرة وإنّما يفعل الرّهبان ما يفعلونه ويجري على أيديهم الواحد بعد الواحد ليزدادوا ثقةً لما هم فيه من ذلك التعب والنصب وليعلموا كيف مرتبتهم عند الله في طاعتهم ليلهم ونهارهم وأيضاً فمن قصدهم بقلبٍ سليمٍ ونيّة صحيحةٍ وأتاهم مستغيثاً فبصلواتهم وبركة دعائهم أدركوا طلبتهم وأيضاً لو كانت الآيات والعجائب تظهر لدى التَّجارب كما ظهرت للأولين كانت دائمة كما كانت في أيام الجهل وعدم الأدب لمَّا كان للناس في إيمانهم وطاعتهم حمد إلاّ كحمد الدواب التي لا

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

تستغني في الاستقبال بها والاستدبار عن اللجم والضرب بالعصا لكن إذْ فضّل الله تبارك اسمه جوهر الإنسان على البهائم وأنعم عليهم بالعقل والتمييز كلّفهم استعمال رأيهم في إحراز علم ما غاب عنهم من برهانٍ الحقّ عن دينه فإذن ليس يحتاج الناس اليوم إلى معاينة الآيات في تحقيق هذا الدين إلاّ من رفع نفسه عن استعمال العقل وشارك البهائم في جهلها وقلة إدراكها.

لقد شرحت لك قصّة المسيح سيدنا على غاية الاختصار وبعض أخبار الحواريين الذين نقلنا عنهم ديانتنا التي نحن متمسكون بها ومنتحلون لها فاجمع الآن ما تريد جمعه منها إلى ما في يدك واستعمل الإنصاف واصدق نفسك ولا تغشّها وإنْ قبلت مني فإنّي لك من النّاصحين يشهد الله والملائكة علي بذلك إنْ تركت مشاركة الفجرة الجَّهال وأقبلت إلى إحراز علم ما غاب عنهم من برهان الحقّ عن دينه فإذن ليس يحتاج اليوم الناس إلى معاينة الآيات في تحقيق هذا الدين إلاّ من رفع نفسه عن استعمال العقل وشارك البهائم في جهلها وقلّة إدراكها. وأقبلت إلى نور الإنجيل وضياء بشارة المسيح تَصر من أوليائه وترد ملكوت السَّماء وحياة الأبد التي لا انقطاع لها والنعيم التي لا تبلغه صفة الأميين وخف من سلطانه على بدنك ونفسك الذي هو يقدر أنْ يرحمك ويقبلك كما يقبل الأب الولد الشَّارد فإنَّك تكون من الموفقين فإنَّ حجة الله تبارك اسمَّه عليك ظاهرة لما قد خصّك الله به من العقل وفضلك من الزيادة على غيرك فلا تغفلْ ولا تغترْ بهذه الدنيا وتتعلّق بأسبابها وتنغمس في شهواتها فإنّها غدّارة

© Muhammadanism.org — All Rights Reserved.

مهلكة لمن مال إليها وانظرْ لنفسك قبل فوت النظر وردّد فكرك في ما قد كتبتُه إليك وشـــرحته لك من الأشياء التي قلدتها كتابي هذا وقسْ بعضها ببعض واستعمل في ذلـــك قـــانون العـــدل وميزان الحقِّ وآثره وملْ إليه وتجنّب الباطل وتنح عنه واهربْ من الأمور المذلّة فإنهـــا إنَّمـــا هي بهرجة على قومٍ جهالٍ أغبياء لا علم لهم ولا معرفة ولا تأدب ولا حكمـــة ولا نظـــر ولا شريعة فليس هذا الأمر من الأمور التي يجوز أن يُغفل عنها حتى لا يلتفت إليه لأنّه هو الأمر المحصول عليه في الوقتيْن معاً في هذه العاجلة وفي الآجِلة وقت لا يُقبل منك فيه العـــذر ولا ينفع الاحتجاج واعلمْ علماً يقيناً إنَّ من كفر بالطّاغوت وآمن بالله فقد استمسك بالعروة الـــوثقى التي لا يخيب مَنْ طلبها لرضى الرّب وأجهد نفسه بالتقرّب إليه بما قد فرضه في كتبه أمّا أنـــا فقد بلغتُ جهد طاقتي في النّصيحة لك ولكل من نظر في كتابي هذا وما أبقيت عند نفسي فـــي ذلك غاية واسأل الله أنْ يوفقك وإيانا على العمل الصَّالح بطاعتـــه ويعصـــمنا مـــن معاصـــيه ويشركنا في ملكوته مع أوليائه الذين رضي عنهم بجوده وكرمه.

والسّلام عليكَ ورحمة الله وبركاته ــ آمين